الجامعة اللبنانية

كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية

الفرع الثاني، جل الديب

رسالة لنيل شهادة ماستر بحثي في العلوم السياسية بعنوان

العلاقة الجدلية بين اليسار والإسلام الحركي

إعداد

اندرو رينيه حبيب

لجنة المناقشة

أمين جرجس لبوس	الأستاذ المشرف	رئيسًا
منى نخلة الباشا	أستاذ مساعد	عضوًا
محمد بشير مواس	أستاذ مساعد	عضوًا

٢٠١٧

الإهداء

أهدي عملي هذا إلى والدَيّ أوّلًا، وهما من أمّنا لي الظروف المسهّلة والمناسبة طوال مساري العلمي مذ كنت ولدًا يافعًا.

أهديه إلى حبيبتي ثانيًا، التي تحمّلت انشغالي وغيابي لفترات غير قصيرة، بسبب إعداد هذا البحث.

أهديه إلى "م" ثالثًا، الذي عمل بذكاء وحكمة على بناء ثقافتي السياسية وعقلي البحثي.

الشكر والتقدير

أودّ عن أعبّر عن امتناني للرعاية العلمية والثقافية التي تقدمها الجامعة اللبنانية، وخاصة كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية فيها، وبالتحديد الفرع الثاني في جل الديب، بإدارة الدكتورة أوجيني تنّوري. لولا رعايتكم لكل طالب من طلابكم، ولولا الجهد الذي تبذلونه لتأمين كافة الشروط اللازمة للطالب الذي قرر استكمال تكميله العالي، لكان التلكّؤ في الاستمرار، أصاب الطالب هذا، ربما.

وأود أن أشكر أيضًا، الأستاذ المشرف على رسالتي، الدكتور أمين لبّوس، الذي ما توانى عن المتابعة والإرشاد وإعطاء النصائح التي أفادت بحثي كثيرًا. وأيُّ تحسينٍ طرأ على الرسالة هذه، فهو منه، وأيّ خطأ، فهو منّي.

وشكري الثاني هو للدكتورة منى الباشا، التي كرّست وقتًا وجهدًا غير قليلَيْن لقراءة البحث والتعليق عليه، والتي كتبت في تقريرها لقبول مناقشته، كلامًا مدّني بثقة للاستمرار وبحماس للمضي قُدُمًا.

شكري الثالث هو للدكتور العزيز محمد مواس، الذي درست على يده أيام تحصيل الإجازة في العلوم السياسية في الفرع الثالث في طرابلس، والذي سيكرّس من وقته لمناقشة الرسالة.

شكري أيضًا لجامعة الروح القدس – الكسليك، وبالتحديد لمركز فينيكس للدراسات التابع لها، والذي فتح لي أبواب مكتبة الجامعة الغراء لأحصل على كتاب لم أجده في أي مكان خارج الجامعة، وللدخول إلى أرشيف جريدة النهار الموجود رقميًا بالكامل في المكتبة.

شكر آخر لمكتبة الأمل والسلام في طرابلس لصاحبها الأستاذ بلال المجذوب، التي أمنت لي الكثير من الكتب التي طلبتها لأجل الرسالة، بوقت قياسي.

أخيرًا، امتناني الكبير لأهل العلم والصحافة والسياسة والدين، الذين سأذكرهم هنا والذين طلبوا ألا أذكرهم، فهم الذين أفردوا لي مساحات من أوقاتهم الثمينة لإجراء مقابلات مرتبطة بموضوع الرسالة، إما مباشرة أو من خلال شبكات التواصل الاجتماعي، وهم، بحسب الترتيب الأبجدي لمن لم يرفضوا ذكر أسمائهم: أحمد بيضون، بلال المجذوب، توفيق الهندي، سعود المولى، نديم قطيش، نيكولا دوت بويار.

المقدمة – ص ١

الفصل الأول: من اليسار إلى اليسار الإسلامي – ص ٦

القسم الأول: في إمكانية التلاقي اليساري الإسلامي – ص ٧
الفقرة الأولى: في بعض المفاهيم والمصطلحات – ص ٧
الفقرة الثانية: إمكانية نظرية للتلاقي بين اليسار والإسلام – ص ١٠
القسم الثاني: في ظروف التلاقي اليساري الإسلامي – ص ١٨
الفقرة الأولى: سقوط السلطنة العثمانية – ص ١٨
الفقرة الثانية: فشل الشيوعية الروسية في التعاطي مع الإسلام – ص ٢١
الفقرة الثالثة: فشل الحراك الوحدوي وخيبة من سوفياتية داعمة لإسرائيل – ص ٢٥
الفقرة الرابعة: الماوية وخطّ الجماهير – ص ٢٧

الفصل الثاني: من اليسار الإسلامي إلى الإسلام – ص ٣٣
القسم الأول: اليسار الإسلامي لاهوتًا وتجسّدًا – ص ٣٣
الفقرة الأولى: "لاهوت التحرير" الإسلامي – ص ٣٣
الفقرة الثانية: تنظيم اليسار الإسلامي الوحيد: "منظمة مجاهدي خلق" – ص ٤٥
القسم الثاني: من اليسار إلى الإسلام – ص ٤٧
الفقرة الأولى: في التحول من اليسار إلى الإسلام – ص ٤٧
الفقرة الثانية: في تقييم التحول من اليسار إلى الإسلام – ص ٥٦

الفصل الثالث: العلاقة الجدلية بين اليسار والإسلام بعد تسيّده – ص ٦٥

القسم الأول: اليسار بالنسبة للإسلام: مدرسة ومعسكر وخطاب – ص ٦٦
الفقرة الأولى: إسلام حركي منشّأ عسكريًا برعاية اليسار في لبنان – ص ٦٦
الفقرة الثانية: تأثُّر الإسلام الحركي باليسار على الصعيد التنظيمي والخطابي-السياسي – ص ٧٥

القسم الثاني: اليسار مستتبَعًا، اليسار مواجِهًا، اليسار مسانِدًا – ص ٨٠
الفقرة الأولى: أزمات في العلاقة بين الإسلام المتسيّد واليسار في لبنان – ص ٨٠
الفقرة الثانية: اليسار العالمي داعمًا الإسلام الحركي – ص ٨٨

الخاتمة – ص ١٠١

المقدمة

قد يحمل عنوان البحث أعلاه، للوهلة الأولى، تناقضًا حدْسيًا (intuitionnel) عند جمع القارئ للتصوّرين - اليسار والإسلام - كما قد يحمل هذا القارئ على التمهّل، لتتبّع مسار التحوّل – الممكن أو المستحيل، المُنجَز أو المُستمرّ، الحقيقي أو المُصطنَع – من اليسار إلى الإسلام. والجمع والتحوّل هذان، مبرَّران من العنوان، والعنوان مبرَّر من أحداث الواقع، وهو لبّ هذه الرسالة. فتبعًا للبداهة المتسرعة أو للوهلة الأولى، يذهب القارئ فورًا إلى تشكيل حاجز معرفي، ذاتي، ضمني، بين الفكر اليساري بشكل عام وبين أي فكر ديني، سواء الإسلام أو المسيحية. وذلك ناتج ربما، عمّا علق في الأذهان، من "لا-دينيَّةْ" – وحتى في بعض الأحيان "أنتي-دينية" – اليساريين، ومن تناقل الألسن لعبارة "كارل ماركس" الشهيرة "الدين أفيون الشعوب"، وهو ما فُسِّر على أنه دعوة واضحة للتخلص من الفكر الديني إذا ما أردنا تحرير الشعوب - أو الأصح بحسب التعبير الماركسي، "الطبقات" - المقهورة والكادحة. وتستقي البداهة المتسرعة إياها، في عملية تشكيل الحاجز المعرفي بين اليسار والإسلام، من مجموع الأحكام أو النصوص أو المجادلات أو الآراء التي عبّر عنها إسلاميون من مختلف المدارس الإسلامية، بشأن مهاجمة الإلحاد ورفض العلمنة. ولكن في الواقع، خاصة في المجال السياسي، أو بشكل عام في كل المجالات المرتبطة بالإنسانيات، قلّما تكون البديهيات مدخلًا إلى فهم حقيقي للمسائل، وغالبًا ما يكون التعمّق بكافة جوانب البحث والتركيز على التفاصيل الدقيقة - ولو المتناقضة ظاهرًا - هو السبيل إلى معرفة حقيقية وموضوعية وجدلية توفي الموضوع حقّه، وتضع الباحث على الطريق الصحيح لفهم ما يدور حوله.

إن لليسار أثرًا بارزًا في تطوّر الإسلام الحركي بفاعلَيْه الأساسيين – السنّي والشيعي – سواء على صعيد التشكّل الفكري للأفراد أو على صعيد منح هؤلاء أدوات الحرب، تدريبًا وتنظيمًا وتسليحًا. وغاية هذا البحث هي تفنيد هذا الأثر وتحليل التفاعل بين الفريقين على صعيد النهج والآلية ومسائل الالتقاء والاختلاف، خاصة في مراحل الجمع بين الإسلام واليسار، وفي مراحل التحول من اليسار إلى الإسلام، وبعدها في مراحل الاختلاف ثم الالتقاء بينهما حين عادا كُلًّا على حدى.

إن التتبّع لمسار الحركات السياسية والثورية في منطقتنا أقله في المئة سنة المنصرمة، يُظهِر حدوث نوعَيْن من الروابط بين الإسلام واليسار. رابط أوّل، عنوانه "الجمع"، ورابط ثانٍ عنوانه "التحول". وحين نتكلّم عن جمع، فإننا نعني به المجموعات أو الحركات التي جمعت – وبعضها ما يزال – بين النموذجين العقائديين، الماركسية (بصورة من صورها) والإسلام (بمدرسة من مدارسه الفقهية)،

و"منظمة مجاهدي خلق" المولودة في إيران، هي مثال مستمرّ على ذلك. وحين نتكلّم عن تحوّل، فإننا نقصد تحوّل أفراد، بشكل فردي أم جمْعي، من المنظومة الفكرية اليسارية إلى المنظومة الإسلامية، ومجموع الحركيين الإسلاميين الذي تنشّأوا داخل صفوف "سرية فتح الطلابية / كتيبة الجرمق" في لبنان (ثم في فلسطين)، مثال مضى على ذلك، وسنتناوله ببعض التركيز في بحثنا. ولا يعني هذا، اقتصار الأمثلة على "مجاهدي خلق" و"الكتيبة الطلابية" (على الرغم من أن مجاهدي خلق هي المثال الوحيد عن تنظيم فعلي يساري-إسلامي)، إنما هما مثالان بارزان في هذا المضمار. ولا يقتصر الانتقال من اليسار إلى الإسلام على المولودين في بيئة إسلامية، ممن حملوا، كنتاج لولادتهم من والدَيْن مسلمين أو أب مسلم، صفة "مسلم" على هويتهم، بل يتعداه إلى بعض اليساريين العقائديين المسيحيين، طلّاب الفكر الثوري ودعاته، الذين اعتنقوا الإسلام كمحرّك للثورة، واعتقدوا به بعد اعتناقهم ثوريّته.

كان لبنان، وما زال، أحد أهم مسارح الأحداث التي تظهّرت وتتظهّر فيها المسألة قيد البحث. ولعل نماذج الالتقاء بين اليسار والإسلام، والتحول من الأول إلى الثاني، التي ظهرت على المسرح اللبناني، تكفي أو تزيد، لتوضيح الصورة. فقد وفّرت منظمة التحرير الفلسطينية، إبان الحرب اللبنانية - أو "الحروب الملبننة" على ما يذهب إليه "وضاح شرارة" - بيئة حاضنة لمجموع أصحاب الأفكار والتوجهات الثورية في منطقتنا. وكانت التيارات اليسارية داخل منظمة التحرير - وهي التيارات الفكرية الغالبة، بكل تلاوينها - الراعي الفكري والعسكري والتنظيمي لعدد من المجموعات ولكثير من الأفراد، الذين تحولوا فيما بعد إلى الإسلام الحركي. صحيح أن دور منظمة التحرير هذا، ظل مستترًا في السرديات العامة والسطحية لمجريات الأحداث في لبنان – خاصة في العقدين الثامن والتاسع – لكن تتبّع المسارات بشكل متعمّق ودقيق، ومتابعة بعض الإصدارات القليلة في هذا المضمار، وتقصّي أخبار الأحداث اللبنانية ممن عاشوها عن قرب، يُرينا ما ليس ظاهرًا وما ليس معروفًا عند العامة. وبالتالي، أصبح من ضرورات البحث، التعمق بدور منظمة التحرير – وحركة فتح خاصة، وهي الحركة الأهم في المنظمة – عند التكلم عن العلاقة الجدلية بين اليسار والإسلام الحركي، وإفراد مساحات غير قليلة في البحث، لهذه المنظمة ولدورها، وهذا ما سنقوم به.

ومن جهة أخرى، وعند النظر في ما يرتبط بأحد أهم تنظيمات الإسلام الحركي في لبنان، وهو "حزب الله"، تبدو مسألة العلاقة باليسار أكثر وضوحًا في الشكل، وإن أكثر التباسًا في المضمون. وهي أكثر وضوحًا في الزمن الحالي، مما كانت عليه أيام الحرب. وفي الحالين، يبقى نموذج حزب الله، نموذجًا موضحًا جدًا في أي بحث يتناول العلاقة الجدلية بين اليسار والإسلام الحركي، وهذا ما سنخصص له أيضًا مساحات غير قليلة في بحثنا. فعدا عن إظهار ما كان مستترًا في هذا المجال، في السرديات التي تتناول أحداث الماضي، فإن الإضاءة على المستمر منه في الزمن الحاضر تحمل إفادة سياسية وعلمية

وتحليلية. فليس قليل الأهمية، أن تدور معظم التيارات والأحزاب اليسارية في لبنان في فلك حزب الله، وفي مدار سياساته وطروحاته. وليس قليل الأهمية، أن تُدار إحدى أهم الصحف التي تدور في فلك الحزب، والتي يُقال عنها أنها شبه ناطقة باسمه – وهي صحيفة "الأخبار" – من قبل كتاب يساريين، ما زال البعض منهم مجاهرًا بيساريته. وليس قليل الأهمية، ما يتداوله محللون وقارئوا سياسة في لبنان، عن إمساك الحزب بجانب مهم من الحراك النقابي والعمالي، وهو مجال تحرّك يدخل في صلب الطروحات والمشاريع اليسارية في لبنان. لهذا كله، ولغيره أيضًا، تمثّل تجربة حزب الله بيئة صالحة للبحث في العلاقة الجدلية بين اليسار والإسلام الحركي، وستكون هذه التجربة محطّ تركيز في بحثنا.

إن ما سيق أعلاه، فيه إشكاليات واضحة جليّة لكل قارئ متنبّه. وقد تنبّهنا لها في قراءاتنا الأولية للكتابات المتعلّقة بالموضوع الذي نبحثه، أو التي تدور حول جانب من جوانبه. وهذه الإشكاليات، شكّلت الطريق الذي سرنا على هدْيِه في بحثنا علّنا نصل إلى الإجابة عنها. وهي تتلخّص بالأسئلة الآتية: هل يمكن أن ينشأ التقاء فعلي بين الإسلام والفكر اليساري؟ وإذا كان ذلك ممكنًا، ما هي ظروفه، وما الأسباب المؤدية إليه، وكيف يتجسّد في الواقع النظري والعملي؟ وهل غياب إمكانية الجمع بين اليسار والإسلام، تعني غياب إمكانية الاستفادة المتبادلة بينهما أو التحول من واحد إلى الآخر؟ وإذا كان الجواب بالنفي، كيف تجسّدت العلاقة بينهما، والتحول بينهما، وفي أية ظروف ولأية أسباب؟

وقد جاء بحثنا، في محاولة الإجابة على هذه الأسئلة-الإشكاليات، مقسّمًا إلى ثلاثة فصول. يبحث الفصل الأول عن الانتقال من اليسار إلى اليسار الإسلامي، وهي مرحلة الالتقاء بين اليسار والإسلام، وذلك من خلال قسمين. يتناول القسم الأول إمكانية التلاقي اليساري الإسلامي على الصعيد النظري لينتهي إلى الإجابة بالإيجاب شرط توفّر شروط معيّنة. ويبحث القسم الثاني في ظروف هذا التلاقي بين اليسار والإسلام. أما الفصل الثاني، فهو مخصّص لبحث عملية الانتقال من اليسار الإسلامي إلى الإسلام، وذلك من خلال قسمين. يتناول القسم الأول اليسار الإسلامي لاهوتًا وتجسّدًا، وذلك من خلال فقرتين، تتناول الأولى ما يُسمّى "لاهوت التحرير الإسلامي" أما الثانية فتتناول التجسيد الأهم لهذا الفكر وهو منظمة مجاهدي خلق. أما القسم الثاني من الفصل الثاني، فيبحث في الانتقال من اليسار إلى الإسلام، وذلك من خلال فقرتين. تتناول الأولى أسباب التحول من اليسار إلى الإسلام ومظاهر هذا التحول. وتتناول الثانية تقييمًا له. أما الفصل الثالث والأخير من بحثنا، فيتناول العلاقة الجدلية بين اليسار والإسلام بعد تسيُّد الأخير على الساحة السياسية في منطقتنا، وذلك من خلال قسمين أيضًا. يضيء القسم الأول على مناحي الاستفادة الإسلامية من اليسار، وذلك من خلال فقرتين. تتناول الفقرة الأولى تنشئة الحركيين الإسلاميين عسكريًا على يد اليساريين وبالتحديد على يد اليسار الذي رعته "حركة فتح" في لبنان. أما الفقرة الثانية فتتناول الأثر اليساري في الإسلاميين، على الصعيد التنظيمي وعلى صعيد الخطاب السياسي. أما القسم

الثاني، فهو يضيء على الجوانب المتناقضة من أنماط العلاقة بين اليسار والإسلام، وذلك من خلال فقرتين. تتناول الأولى أزمات العلاقة بين الإسلام المتسيّد واليسار في لبنان، أما الثانية فتتناول دعم حركات اليسار العالمي لبعض حركات الإسلام الحركي في أيامنا هذه. ويخرج هذا البحث، في خاتمته، بأسئلة وإشكاليات جديدة نتجت عنه، قد تشكل مادّة إضافية لتعميق المعرفة النظرية والعملية حول هذه الظاهرة.

ولإعطاء الموضوع حقه، سيتمّ اعتماد المقاربات الثلاث في البحث: المقاربة التاريخية بهدف تسليط الضوء على أهم الفاعلين وأهم الأحداث المرتبطة بالمسألة المنوي مناقشتها؛ المقاربة المقارناتية بهدف إبراز سمات التشابه والاختلاف بين الخطابين (اليساري والإسلامي) وأثر اليسار وأهم أعلامه ومجموعاته في التشكّل الفكري والعملي للأفراد وللمجموعات الإسلامية الحركية؛ والمقاربة التحليلية بهدف محاولة فهم مسار الالتقاء والتشابه والاستفادة والتعاون والخلاف والاحتراب بين الفريقين. المقاربات هذه، هي السبيل الأنجع لتناول الإشكاليات التي طرحناها أعلاه، بشأن هذه المسألة.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات في مسار إتمام بحثنا بشكل علمي ومنهجي. ولعل أهمها كان إيجاد المصادر المعرفية ومصادر المعلومات الأساسية المتعلقة بالموضوع قيد البحث، والتي أصبحت في غالبيتها، إمّا مفقودة في المكتبات أو قد توقّف نشرها من قبل دور النشر التي نشرتها في البدايات. أما الصعوبة الأخرى التي واجهتنا، كانت إجراء مقابلات مع عدد من الشخصيات التي كانت على تماس مع مسألة اليسار والإسلام الحركي، وذلك بسبب تمنّع البعض عن الخوض في هذه المسألة لأسباب سياسية أو لأسباب تنظيمية تتعلّق باستمرارهم بالعمل السياسي، وبسبب وجود البعض الآخر خارج لبنان وصعوبة الوصول إليهم، ورفضهم النقاش بالمسألة عبر وسائل التواصل الاجتماعي أو عبر الاتصال الهاتفي.

ولكن، ورغم هذه الصعوبات، كان هناك دائمًا ما يحثّني على المضيّ في بحث هذا الموضوع ومحاولة التعمّق في تفاصيله الدقيقة، والإحاطة بالكمّ الأكبر والأهم من جوانبه. ولعلّ الدافع الأهم، كان تواتر الإشارات إلى الموضوع بشكل متفرّق في عدد غير قليل من القراءات التي قمت بها على مدى سنوات، مقابل تجاهل، أو قُل شبه تجاهل له من قبل دوائر السياسة والإعلام وحتّى الدوائر الأكاديمية. ففي حين كانت تتجمّع لديّ رويدًا رويدًا، الصورة العامة للمسألة، كنت أراقب باستغراب اقتصار تركيز الأكثرية العظمى من الباحثين في مسائل الإسلام الحركي على استقاء فهمهم له من مصادره الفقهية والدينية فقط، دونما ذكر أو مرور على مصادر أخرى كنت بدأت أعيها وأعي وجودها شيئًا فشيئًا. وقد وجدت في الدعوة التي وجّهها الدكتور سعود المولى في مطلع كتابه الذي صدر عام ٢٠١٦، إلى تكثيف البحث في هذه المسائل، مصدر سرور لأنها أكدت لي صوابية اختياري لهذا الموضوع بالذات، بعد أن كنت متشكّكًا بالطريقة التي سيتم استقبال البحث بها، تحت حجّة أن المسألة هذه أصبحت قديمة ومن الماضي غير

المهم. وما زاد من سروري في الفترة الأخيرة، هو أنّ المعهد الشرقي الألماني الموجود في بيروت، وفي الوقت الذي كنت أنهي به كتابة الرسالة، كان قد عقد مؤتمرًا ضخمًا، وعلى مدى يومين، للبحث بالمسألة من جوانب أوسع بكثير مما بحثته أنا وتناولته، وذلك من خلال أهم الخبراء في العالم الذين يتابعون العالم الإسلامي منذ عقود، وهم متخصصون، كل على حدة، بجانب من جوانبه.

يبقى أن نشير إلى أن البحث الذي أتممناه، ليس أكثر من خطوة بسيطة، وإضافة زهيدة، في مسار طويل لفهم عميق وحقيقي لمرحلة سياسية، غير قصيرة، في تاريخنا المعاصر، اتسمت – من بين ما اتّسمت به - بجدلية الالتقاء بين اليسار والإسلام. وعلّنا نكون قد أسهمنا، ولو قليلًا، في الإضاءة على هذا الموضوع.

الفصل الأول

من اليسار إلى اليسار الإسلامي

إن التساؤل عن إمكانية وواقعية الجمع بين اليسار والإسلام، أو التحول من اليسار إلى الإسلام، هو تساؤل خاص ضمن تساؤل عام يتعلق بإمكانية وواقعية الجمع بين (أو التحول من) أي فكر ديني أو عقيدة دينية، وبين الماركسية أو الفكر اليساري بشكل عام، لما لهذا الأخير من صورة لا-دينية، أو حتى "أنتي-دينية"، متشكلة في الوعي العام عند الناس. ولكنّ لهذه "الإمكانية" مقدّماتها، ولتلك "الواقعية" أسبابها، وفي التاريخ المعاصر أمثلة عديدة تولّدت من هذه الإمكانية وواقعيتها، وهذا ما نحن بصدد توضيحه تاليًا، منقادين بمسارٍ رصدي أوّلًا، ونقدي ثانيًا، حين نأتي إلى مسألة واقعية هذا الجمع بين اليسار والإسلام، وقناعة المتحوّلين من اليسار، بتحوّلهم إلى الإسلام.

ولكن أولًا، وفيما يتعلّق بالمسألة اللغوية، إنّ الاستعانة بمفاهيم وردت في العلوم الإنسانية باللغات الأجنبية، هي ضرورية في رسالتنا هذه، ولكننا سنستعملها في صيغتها العربية، رغم عُسر ترجمة بعضها. وسنختار عبارة "الرابطة المُصطفاة" لتكون ترجمةً لمفهوم ال "Affinité élective" عند عالم الاجتماع "ماكس فيبر" (Max Weber)، وستكون عبارة "اليوتوبيا الملموسة" ترجمةً لمفهوم ال "Utopie concrète" عند الفيلسوف "إرنست بلوخ" (Ernst Bloch). كما ستعبّر عبارة "الإيديولوجيا الكامنة" عن الفكرة التي أتى بها عالم الاجتماع "ماكسيم رودينسون" (Maxime Rodinson) والتي اختار لها تعبير "Idéologie Implicite". وبعد القول بأن مفهومَيْ "اليوتوبيا الملموسة" و"الإيديولوجيا الكامنة" كانا من المفاهيم التي تنبّهنا لها في قراءتنا لِـ"بلوخ" في المسألة المتعلقة بلاهوت موت الله، ولِـ"رودينسون" في قراءتنا لكتاباته وتجربته الماركسية، إلا أنه يجب إعطاء الفضل (أقلّه حسب علمنا، وعلى قدر ما استطعنا جمعه من مواد تتعلّق بدراستنا) للباحث الفرنسي المختص بالشؤون الإسلامية، "نيكولا دو بويّار" (Nicolas Dot-Pouillard)، فهو الذي نبّهنا في دراسة صغيرة له عن انتقال ماويّي كتيبة فتح الطلابية إلى الإسلام[1]، إلى أهمية مفهوم "الرابطة المصطفاة" عند "ماكس فيبر"، وإلى القدرة التحليلية التي تمنحها المفاهيم الثلاثة أعلاه، لفهم المسألة التي نحن بصدد بحثها، أي التفاعل بين اليسار والإسلام والانتقال من الأول إلى الثاني.

[1] Nicolas Dot-Pouillard, *« De Pékin à Téhéran, en regardant vers Jérusalem : la singulière conversion à l'islamisme des 'Maos du Fatah' »*, in: Cahiers de l'Institut Religioscope, Numéro 2, Décembre 2008, 39 pp.

القسم الأول: في إمكانية التلاقي اليساري الإسلامي

سنبحث في هذا القسم من الفصل الأول، في الجوانب الأولى من الإشكاليات التي طرحناها في بداية بحثنا، محاولين الإجابة عن الأسئلة بشأن إمكانية نشوء التقاء فعلي بين الإسلام والفكر اليساري. وسنخرج بإجابة غير سلبية على هذا السؤال، مبيّنين الشروط العامة التي أدت إلى ذلك، قبل أن نضيء في القسم الثاني على الظروف الخاصة التي أدت إلى نشوء هذا الالتقاء في منطقتنا.

الفقرة الأولى: في بعض المفاهيم والمصطلحات

لا بد من تقديم مختصر يشرح ماذا نقصد بعبارتَيْ "الإسلام الحركي" و"اليسار"، قبل الشروع في البحث والتفنيد والتتبّع والنقد والتحليل. إن ما نقصده بعبارة "الإسلاميين الحركيين" هو الحركات الإسلامية المنشّأة على الالتزام العقائدي الأصولي[٢] بأن الإسلام هو الحل، وبأن العمل في سبيل الوصول إلى حكم الإسلام هو واجب على كل مسلم حقيقي، والسبيل إلى ذلك هو أولًا اعتماد الجهاد. إن مفهوم "الإسلام الحركيّ" هو مفهوم حديث نسبيًا، تظهّر بشكل فاعل مع "نواب صفوي[٣]" مؤسس حركة "فدائيان إسلام" في إيران منتصف القرن العشرين، ومع "سيّد قطب[٤]"، السنّي المصري، سليل مفكّري جماعة الإخوان

---

[٢] فقد تعبير "أصولي" معناه الحقيقي نتيجة الصفة السلبية التي أصبحت تلحق به كُلّما أتت على ذكره وسيلة إعلامية، فقد ارتبط بكل أشكال العنف والإرهاب، وأصبح يشكل في الوعي العام صفة لكل شيء سيئ وسلبي. ولكننا هنا، وعندما نقول "أصولي" فإننا نقصد المنهج الذي يعود إلى "أصول" الدين، أي الترجمة للتعبير الأجنبي fundamental أي إلى الموجود في الجذور.

[٣] هو السيد مجتبى ميرلوحي، المعروف بالسيد مجتبى نواب صفوي، رجل دين شيعي إيراني، عارض شاه إيران، وانتهى الأمر بإعدامه. فقد قُتل الكاتب الإيراني أحمد كسروي على يد اثنين من أتباعه؛ حيث حكم صفوي على كتابات كسروي بأنها كتب ضلال. إثر ذلك اعتقل نواب صفوي وأودع السجن، ولكن بضغط من التظاهرات الشعبية أفرج عنه. بعد خروجه من السجن وجّه مستمعيه ضد حكومة الشاه، فتم اعتقاله وسجنه مرات عدة على خلفية مواقفه وأفكاره. ثم بعد ذلك انتقل نواب صفوي مع حركة فدائيي الإسلام إلى العمل السري بعدما أصبحوا ملاحقين من سلطات الشاه، وقامت مجموعات من هذه الحركة بتصفيات واغتيالات لسياسيين وشخصيات إيرانية. بعد عودة الشاه الإيراني من إيطاليا حاول صفوي أن ينفذ عملة اغتيال لرئيس الوزراء حسين علاء عام ١٩٥٥ فحكم على نواب صفوي وثلاثة آخرين من حركته بالإعدام، وأُعدم في العام ذاته.

[٤] سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، كاتب وأديب ومنظر إسلامي مصري وعضو سابق في مكتب إرشاد جماعة الإخوان المسلمين ورئيس سابق لقسم نشر الدعوة في الجماعة ورئيس تحرير جريدة الإخوان المسلمين. مرّ سيد قطب بمراحل عديدة في حياته منذ الطفولة. المرحلة الأدبية البحتة التي كان فيها متأثرا بعباس العقاد. ثم مرحلة فكرية. ثم توجه للأدب الإسلامي. إلى المجال السياسي حتى صار رائد الفكر الحركي الإسلامي أو ما يعرف بالقطبية، وهذه المرحلة هي التي

المسلمين، وهو المصدر الاهمّ والأكثر تأثيرًا في هذا المضمار. والإسلام الحركي، باختصار، هو دعوة إلى الهجرة من المجتمع المسلم الحالي الذي يُعتبر جاهليًا بمفاهيم الإسلام الحركي، والسعي إلى أسلمته عن طريق اعتماد الجهاد، وهو ما يُعبَّر عنه بالجهادية السلفية. يقول قطب في مقدمة الجزء السادس – سورة الأنعام - من كتابه "في ظلال القرآن": *إن هذا الدين منهج عملي حركي جاد... جاء ليحكم الحياة في واقعها؛ ويواجه هذا الواقع ليقضي فيه بأمره... يقره أو يعدله أو يغيره من أساسه... ومن ثم فهو لا يشرع إلا لحالات واقعة فعلا، في مجتمع يعترف ابتداء بحاكمية الله وحده. إنه ليس نظرية تتعامل مع الفروض! إنه منهج يتعامل مع الواقع! فلا بد أولا أن يقوم المجتمع المسلم الذي يقر عقيدة أن لا إله إلا الله، وأن الحاكمية ليست إلا لله؛ ويرفض أن يقر بالحاكمية لأحد من دون الله؛ ويرفض شرعية أي وضع لا يقوم على هذه القاعدة... والمسلمون في مكة لم يكن لهم سلطان على أنفسهم ولا على مجتمعهم..."*[٥].

وقد وجد فكر سيّد قطب، معادلًا له لا بل نقلًا دقيقًا عنه، موضوعًا في قالب ديني "شيعي"، وذلك في فكر السيد "محمّد حسين فضل الله[٦]"، حيث يبدو هذا التماهي واضحًا في كتاب فضل الله بعنوان "الاسلام ومنطق القوة[٧]". ويتوسّط بين قطب وفضل الله، حزب الدعوة – وهو فرع أساسي من الفروع التي رفدت حزب الله بالعناصر أول الثمانينات - الذي كان فضل الله أحد مؤسسيه إلى جانب أستاذه "محمّد باقر الصدر[٨]" وكان ذلك بوحي من "محسن الحكيم[٩]"، زوج عمّة فضل الله. وكان من المتأثرين في هذا الفكر لاحقًا، مجموع الشباب الذين شكلوا حزب الله، وهو تنظيم إسلامي حركي أيضًا. وإذا أردنا الاستزادة

يعرفه الناس بها حتى اليوم. يعتبر سيد قطب من أكثر الشخصيات تأثيرًا في الحركات الإسلامية التي وجدت في بداية الخمسينيات من القرن الماضي. له العديد من المؤلفات والكتابات حول الحضارة الإسلامية، والفكر الإسلامي.

[٥] من صفحات الكتاب على موقع المكتبة الشاملة. تم الدخول إلى الموقع بتاريخ ٢٠ آب ٢٠١٦، http://shamela.ws/browse.php/book-36554/page-180

[٦] نجل السيد عبد الرؤوف فضل الله عالم الدين المعروف في جبل عامل. مرجع دين شيعي لبناني من بلدة عيناثا الجنوبية، ومن أعلام حركة إصلاح التراث الإسلامي. نشأ في الحوزة العلمية في النجف، وبدأ دراسته للعلوم الدينية في سنّ مبكرة جداً، فحضر على كبار أساتذة الحوزة آنذاك، أمثال: المرجع الديني أبو القاسم الخوئي، والمرجع الديني محسن الحكيم، ومحمود الشاهرودي، وحسين الحلي، وحضر درس الأسفار عند الملا صدرا البادكوبي. وكما اهتمّ السيد فضل الله بالدراسة الدينية الحوزوية، اهتمّ بالنشاط الثقافي في النجف، فانتُخب عضواً في المجمع الثقافي لمنتدى النشر. وقد أصدر مع بعض زملائه، ومنهم السيد محمد مهدي الحكيم، نجل المرجع السيد محسن الحكيم، مجلة خطّية باسم "الأدب". انتقل فضل الله من العراق إلى لبنان في سنة ١٩٦٦ وبدأ نشاطه التبليغي في مسجد الإمام علي في النبعة، وأسس هناك حوزة المعهد الشرعي الإسلامي. وقد أنشأ عدة جمعيات خيرية ومقرات للأيتام والمستشفيات الخيرية. بعدها اتخذ من مسجد الرضا في بئر العبد مركز تبليغيًا كما عمل على نشر فكر وارشادات الإمام الخميني. وحث الشباب على الجهاد، الامر الذي شكل بيئة حاضنة لولادة الاحزاب الدينية وابرزها حزب الله.

[٧] الدار الإسلامية للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، ٣٣٧ صفحات.

[٨] هو مرجع ديني عراقي شيعي ومفكر وفيلسوف إسلامي ومؤسس الدعوة بالعراق.

[٩] السيد محسن الطباطبائي الحكيم. هو مرجع الشيعة العراقي. وينتسب لأسرة الحكيم التي ترجع جذورها إلى جبل عامل في جنوب لبنان، وقد سُميت بذلك حيث كان أحد أجداده ـ وهو "علي" ـ طبيباً مشهوراً، ومنذ ذلك الزمان اكتسبت العائلة لقب "الحكيم"، بمعنى الطبيب، وأصبح لقباً مشهوراً لها. وقد كان جده مهدي الحكيم من مدرسي علم الأخلاق المعروفين في زمانه، وأما أمه فهي حفيدة الفقيه الشيعي عبد النبي الكاظمي.

بالأمثلة، فبالإضافة إلى "تنظيم القاعدة" و"حزب الله"، يدخل من ضمن تصنيف الإسلام الحركي، طيف واسع من الحركات الإسلامية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: جبهة النصرة، تنظيم الدولة الإسلامية، حركة التوحيد الإسلامية، الجهاد الإسلامي، جيش الإسلام، حركة أحرار الشام الإسلامية. قد يظهر في بعض الأحيان، في الخطاب المعلن لبعض هذه التنظيمات الإسلامية الحركية، خفوتٌ للصوت المجاهر بوجوب إقامة دولة الإسلام، وارتفاع لصوت مراعاة السياسة وضروراتها. ولكن ذلك لا يعني بأن هذه التنظيمات خرجت من تصنيف "الإسلام الحركي". وهذا يصح على "حزب الله" رغم الوثيقة السياسية الجديدة التي أصدرها عام ٢٠٠٩ المغايرة في بعض الجوانب للوثيقة السياسية التي ظهرت عام ١٩٨٥، كما يصح على "حركة أحرار الشام الإسلامية" رغم حديثها عن الدولة الوطنية السورية وموافقتها على الإنضمام إليها والعمل في سبيلها مع باقي الفصائل المعارضة السورية.

أما بالنسبة للجهات التي نعنيها بتعبير "اليسار"، فهي تشكّل طيفًا واسعًا نوعًا ما. صحيح أن تعابير "يسار" و"يمين" في السياسة هي تعابير نسبية، وصحيح أن منشأ استعمالها يعود للثورة الفرنسية ومجلسها الوطني، حيث جلس مؤيدو الملك إلى يمين رئيس المجلس، وجلس مؤيدو الثورة إلى يساره، لكننا لن ندخل هنا في موضوعية استعمال التعبير، بل سنأخذه كصفة كانت تُطلق على مجموعات سياسية في منطقتنا منتصف القرن العشرين، أو كانت هذه المجموعات تطلقها على نفسها. وينضوي تحت تعبير اليسار في بحثنا، أصحاب الأفكار "الماركسية" والتنظيم الماركسي والأحزاب الشيوعية المنبثقة عنها (لينيني، تروتسكي، ستاليني)، وأصحاب الأفكار "الماوية" أو المتأثرين بقراءة "ماو تسي تونغ[10]" لفكر "ماركس"، والأفراد والتنظيمات التي تطلق على نفسها صفة "التقدمية" و"الاشتراكية".

بعد هذه المقدمة الضرورية، نلج إلى بحثنا في هذا الفصل، والذي سنبحث في الفقرة الثانية من قسمه الأول عن تلاقي اليسار والإسلام، من ناحية إمكانية هذا التلاقي وظروفه وواقعه النظري والعملي.

الفقرة الثانية: إمكانية نظرية للتلاقي بين اليسار والإسلام

يحتل مفهوم "الرابطة المصطفاة" موقعًا مهمًا في العمل الكلاسيكي لِـ"ماكس فيبر"، "الأخلاقيات البروتستانتية وروح الرأسمالية" (L'Ethique Protestante et l'Esprit du Capitalisme)، وبالتحديد لكونه أداةً تحليلية لفهم الترابط المعقّد والحذق بين هذين الشكلين أو المفهومين. عَنت هذه المسألة لِـ"فيبر"، تخطّي المقاربة التقليدية المرتكزة إلى مبدأ السببية، والابتعاد عن النقاش حول أوّلية

[10] زعيم الحزب الشيوعي الصيني منذ ١٩٣٥ حتى وفاته. كان سياسياً وقائداً عسكرياً صينيًا. وسنأتي في سياق البحث على أهم أفكاره التي تأثرت بها مجموعات يسارية في منطقتنا.

(primauté) "المادي" أو "الروحي"[11]. فبالنسبة له، ليست كل المسائل خاضعة لمبدأ السببية، ولا يمكن تفسير كل الظواهر الاجتماعية تبعًا لتصوّر العلة والمعلول؛ والتقسيم الثنائي الذي يُختصر بثنائية "إما هذا وإما ذاك" يجعل البحث قاصرًا عن فهم حقيقة عدد من الظواهر الاجتماعية التي تكون درجة تعقيدها أعلى بكثير من التبسيط المرتكز على ثنائيات. فالمنظومة المركّبة من مجموعتين، أكبر حجمًا من الجمع البسيط لعناصر المجموعتين. ويأتي فارق الحجم هذا، من كمية العلاقات والروابط الديناميكية التي تنشأ بينهما عند جمعهما، والتي تُضاف بالتالي إلى المنظومة. وهذه العلاقات إياها، لا تكون حاضرة عند كل مجموعة على حدة، بل تظهر فقط عند التقاء المجموعتين:

$$\textbf{System } (P_1, P_2, P_3, \dots, P_n) \geq \sum_{i=1}^{n} P_i$$

ومسألة المادي والروحي ليست مسألةْ ثنائية جامدة (dichotomique)؛ كما ويفترض ألا تُتَناول من زاوية أن العالمين (المادي والروحي) عالمان منفصلان تمام الانفصال، والحدود بينهما واضحة لا تُخترق، وبالتالي يجب ألا ننظر لأية مسألة تتناولهما، كأنها مسألة "أبيض أم أسود"، إما هذا وإما ذاك، بل إن التفاعل بين العالمين ممكن، لا بل هو الحاضر الأكبر في التاريخ، بينما الفصل التام بينهما هو الغائب الأكبر. فقد لاحظ "فيبر" وجود رابطة دينامية، منتقاة أو مصطفاة بشكل متبادل، بين تصورات دينية معيّنة وتصورات اقتصادية معيّنة، وهذا ما أوصله إلى كتابه الكلاسيكي الذي يُظهر فيه الرابطة بين الأخلاقيات البروتستانتية وروح الرأسمالية.

ولكن ينبّه "فيبر" إلى الفرق بين الرابطة (affinité) والرابطة المصطفاة (affinité élective)؛ بين القياس الرسمي (analogie formelle) والرابطة الفاعلة (rapport actif)، أي بين أن يكون هناك وجه شبه معيّن بين حالتين، يمكن تلمّسه بالقياس بينهما، وبين أن يكون هناك رابط فاعل وديناميكي بينهما يجذب الواحدة إلى الأخرى. ويعتبر أن تحقق الرابطة المصطفاة يحتاج لشروط أساسية، لا بد من توفّرها جميعًا في لحظة تاريخية واحدة[12]، وهي:

١. وجود **رابطة** أولًا، أي قرابة وانسجام وكفاية داخلية بين المفهومين.
٢. **الاصطفاء** (أو الاختيار أو الانتقاء)، الانجذاب المتبادل، الخيار الفاعل المشترَك للصورتين (أو الحالتين) الاجتماعيتين-الثقافيتين، ما يقود إلى أشكال معيّنة من التفاعل، والتحفيز المتبادل،

[11] Michael Löwy, *« Le Concept d'affinité élective chez Max Weber »*, in : Archives de sciences sociales des religions, 49e Année, No. 127, Max Weber, La Religion et la Construction du Social (Jul. - Sep., 2004), pp. 93-103, p. 94
[12] Ibid, p. 100-101

والالتقاء. عند هذه النقطة، تبدأ المشترَكات (أوجه الشبه) بالتحول إلى مسائل ديناميكية، مع الإبقاء على الصورتين، صورتين منفصلتين.

٣. **التشارك،** الانضمام أو التوحّد بين الصورتين، تحت شكل من أشكال التعايش الثقافي (symbiose culturelle) حيث تبقى الصورتان لكل منهما خاصيّته، ولكنهما مترابطتان عضويًا.

٤. وجود هذه العوامل وحدها لا تكفي لإحداث **الرابطة المصطفاة،** التي تحتاج إلى وجود الظروف التاريخية المناسبة لتحققها.

سنعود إلى الشرط الرابع (الظروف التاريخية الضرورية لتحقق الرابطة) لاحقًا، عندما نبحث شروط التقارب بين اليسار والإسلام. ولكن يجب إيضاح ما مرّ أعلاه من خلال أمثلة عملية من الواقع. وقد وجدنا أن البدء بأمثلة مرتبطة بمنظومات دينية أخرى (غير الإسلام)، يشكل مدخلًا جيدًا لتيسير فهم المسألة لاحقًا عندما نأتي على بحث الرابطة المصطفاة بين الإسلام والفكر اليساري. ففي المنطلق، يأتي السياق الخاص للرابطة التي تنشأ بين الإسلام واليسار، من ضمن سياق عام لإمكانية نشوء هذه الرابطة بين أي فكر ديني وبين الفكر اليساري. ومن هنا، يكون البدء بأمثلة مرتبطة باليهودية والمسيحية، مدخلًا موضوعيًا لتسهيل الفهم لاحقًا وتوضيح المسألة النظرية أكثر فأكثر.

هنا نستعين بدراسة لِـ"مايكل لووي" (Michael Löwy)[١٣] فيها مثالين، الأول يتعلق بالروابط التي تنشأ بين المسيحانية[١٤] (Messianisme) اليهودية واليوتوبيا التحررية في الثقافة اليهودية-الألمانية الحديثة، والثاني يتعلق بالرابطة التي تنشأ بين الدين والمُتَخَيَّل الاجتماعي (وتحديدًا بين المسيحية واليوتوبيا في أميركا اللاتينية المعاصرة). يرى "لووي" في كتابات أعظم مفكري يهود أوروبا الوسطى (بوبر[١٥]، شوليم[١٦]، بلوخ[١٧]، فروم[١٨]...)، وانطلاقًا من مرجعية مؤسِّسة تشكلها الثقافة الرومانسية الألمانية، رابطة

---

[13] Michael Löwy, *« Le concept d'affinité élective en sciences sociales »*, in: Critique internationale, No. 2 (HIVER 1999), pp. 42-50

[١٤] المسيحانية هنا، لا تعني "المسيحية" رغم أن الجذر اللغوي متشابه، بل هي تعني المهدوية أو البعد المهدوي. وهذا البعد المهدوي-الخلاصي، بعدٌ مشترَكٌ في الديانات السماوية الثلاث.

[١٥] كارل ريموند كارل پوپر، فيلسوف نمساوي-إنكليزي متخصص في فلسفة العلوم. عمل مدرسا في كلية لندن للاقتصاد. يعتبر كارل پوپر أحد أهم وأغزر المؤلفين في فلسفة العلم في القرن العشرين كما كتب بشكل موسع عن الفلسفة الاجتماعية والسياسية.

[١٦] غيرهارد (ولاحقًا غيرشوم) شوليم، مؤرخ وفيلسوف يهودي ولد في ألمانيا. معروف عالميًا بأنه مؤسس الأسلوب الأكاديمي المعاصر لدراسة الكابالا اليهودية، حيث أصبح أول بروفيسور في التصوف اليهودي في الجامعة العبرية في القدس.

[١٧] إرنست سيمون بلوخ، فيلسوف ماركسي ألماني. تأثر بكل من هيجل وماركس. ركز عمله على مفهوم عالم الإنسان اليوتوبي حيث ينتفي الاضطهاد والاستغلال، وهو ما سيكون دائماً قوة ثورية مؤدلجة. عمل بلوخ كان قد أصبح مؤثراً

مصطفاة بين التقليد المسيحاني واليوتوبيا الاجتماعية، خاصة في شكلها التحرري[١٩]، وظاهر هذه الرابطة هي كالتالي[٢٠]:

١. تتشاركان صورة واحدة عن المستقبل، تجمع حالتَيْ الاستعادة (restauration أي استعادة الماضي المجيد المتخَيَّل) واليوتوبيا. الحنين إلى عصر ذهبي فُقد والحلم بعالم جديد. في المسيحانية اليهودية، بحسب "شوليم"، "هذا العالم الجديد بكلّيّته ما يزال حاملًا لبعض الظواهر التي تعود كاملةً إلى العالم القديم، ولكن هذا العالم القديم نفسه لم يعد مطابقًا لماضي العالم، إنما أصبح ماضٍ متحوّل بفعل الحلم اليوتوبي المُشرق". هذه العبارة، تنطبق كلمةً كلمة، على اليوتوبيا التحررية.
٢. بحسب "شوليم"، "المسيحانية اليهودية، في أصلها وطبيعتها، هي نظرية من نظريات الكارثة (une théorie de la catastrophe). تشدد هذه النظرية على العامل الثوري، المزلزِل، في الانتقال من الحاضر التاريخي إلى المستقبل المسيحاني". الرابط مع العقائد الثورية هنا، بحسب "شوليم"، أنّ ما قيل أعلاه ينطبق بشكل خاص على الأشكال الأكثر كارثية (أبوكاليبتيكية) للاشتراكية، كالتيار التحرري.
٣. بحسب التقليد البيبلي اليهودي، إن التغيير الذي يرافق العصر المسيحاني هو تغيير عام، كونيّ، وراديكالي. فهو لا يعني تحسين العالم الموجود حاليًا، بل ظهور عالم آخر مختلف تمامًا. هنا أيضًا، الشبه أو الرابطة مع اليوتوبيات الثورية الحديثة، واضحة ولا مجال للبحث فيها.
٤. من العلائم الأساسية للتدمير المسيحاني هو سقوط كل الأقوياء في هذا العالم (اشعيا ١٣:١١ و ٥:١٤). الله يحكم التاريخ.

لا تكفي هذه العوامل لإحقاق الرابطة المصطفاة بين التقليد المسيحاني اليهودي واليوتوبيا التحررية. فلو لم تتوفر الظروف التاريخية المناسبة (أي الشرط الرابع لفيبر)، في النصف الأول من القرن العشرين، والظروف الاجتماعية والثقافية المحددة عند الانتليجانسيا اليهودية في أوروبا الوسطى، لما كانت حصلت. إحدى أهم العوامل التي ساهمت في نشوئها، كانت الموجة الثورية التي اجتاحت التاريخ المعاصر

للغاية في سياق الحركات الاحتجاجية الطلابية في ١٩٦٨ وفي الثيولوجيا التحررية. حيث اعتبر عمله ذاك ذو تأثير مفتاحي هام من قبل إرنستو بالدوتشي وجورجين مولتمان في كتابه «ثيولوجيا الأمل».

[١٨] إريك فروم، عالم نفس وفيلسوف إنساني ألماني أمريكي. ولد في مدينة فرانكفورت وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في ١٩٣٤. والتحق بجامعة فرانكفورت وهايدلبيرغ حيث درس فيها العلوم الاجتماعية والنفسية والفلسفية. ومن أعماله المهمة: "الهروب من الحرية" و"التحليل النفسى والدين". كما حرر كتبًا، بأقلام كتاب متعددين عن بوذية زن ومفهوم ماركس للإنسان وغيرها.

[19] Michael Löwy, *« Le concept d'affinité élective en sciences sociales »*, op. cit., p. 45-46

[20] Ibid, p. 46

لأوروبا بين عامَيْ ١٩٠٥ و١٩٢٣، والتي رفعت من "الحرارة الاسكاتولوجية" (الأُخروية) للقارة، أي رفعت من منسوب البُعد الأخروي في الوعي الأوروبي، وهذا أمر مفهوم في أوقات الأزمات والحروب والانقلابات والتغيّرات الكبيرة. "فالإنسان في زمن الحروب والأزمات أقرب إلى الله وأشد ارتباطًا بالمؤسسة الدينية الأرضية التي ترعى علاقته به"[٢١].

أما المثال الثاني الذي يقدّمه "لووي" عن الرابطة المصطفاة، فهو الرابطة التي تنشأ بين الدين والمُتَخَيَّل الاجتماعي: المسيحية واليوتوبيا في أميركا اللاتينية المعاصرة. فليس صعبًا بالنسبة له تعداد بعض المشترَكات ذات المعنى بين الإيمان المسيحي والاشتراكية الحديثة (الماركسية من ضمنها)[٢٢]:

١. المقاربتان ترفضان التصوّر الفرداني (conception individualiste) للعالم، وتؤسسان مشروعهما على قيم تتخطى الأفراد.
٢. المقاربتان مقاربات كونية (أو عالمية، universaliste) – سواء الأممية أو الكاثوليكية (وصفة الكاثوليكية تعني "الجامعة") – أي أنهما تنتجان عقائد ومؤسسات تتوجّه إلى الإنسانية ككلّ متكامل يتخطّى الأعراق والإتنيات والقوميات.
٣. المقاربتان مقاربات مجتمعية (communautariste)، أي تقدران المجتمع، والحياة المشتركة، والعيش المشترك، وتنتقدان النزعات الانحلالية والتجهيلية، وإلغاء الشخصية، والعزلة والمنافسة الأنانية، والتي هي كلها صفات للحياة الاجتماعية الحديثة.
٤. المقاربتان تتخذان وضعية نقدية من الرأسمالية ومن عقائد التحرر الاقتصادي، وذلك باسم الخير العام والمشترَك الذي يُعدّ بالنسبة لهما أهم من المصالح الفردية.

لم تمنع هذه المشتركات، الكنيسة الكاثوليكية، من محاربة الشيوعية وانتقادها. ولكن في بعض الأماكن، حين توفرت الظروف التاريخية والثقافية والاجتماعية المناسبة (فترة أزمات وصراعات سياسية واستقطاب اجتماعي وانقلابات عسكرية، افتُتحت عام ١٩٥٩ في أميركا اللاتينية بانتصار الثورة الكوبية)، حصلت تلك الرابطة المصطفاة بين الإيمان المسيحي والاشتراكية، والتي تحوّلت إلى حالة تعايش أو انصهار متخذة شكل لاهوت التحرير في أميركا اللاتينية، والذي لم يكن سوى التعبير الفكري

[٢١] من حوار قديم لي مع الكاهن سيمون جبرائيل، وهو من القلائل في لبنان الحاصلين على دكتوراه دولة في اللاهوت من فرنسا في فرع الاسكاتولوجيا (علم الحياة الأخرى، أو علم الأُخرويات)

[22] Michael Löwy, *« Le concept d'affinité élective en sciences sociales »*, op. cit., p. 47-48

والروحي عن حالة كانت بدأت قبل ظهور كتاباته الأهم (غوتييريز[٢٣] وبوف[٢٤] وأسّمان[٢٥] وسوبرينو[٢٦]...).

ولاهوت التحرير هذا، الذي يمكن ردّ بعض محفّزاته إلى المجمع الفاتيكاني الثاني[٢٧] وبداية تقبل إمكانية ما للالتقاء بين المسيحية والاشتراكية، ولو بحده الأدنى، يجد بيئته الحاضنة في أميركا اللاتينية، ولو أنّ أهم لاهوتيّيه درسوا الفلسفة واللاهوت في أوروبا[٢٨]. ولو أن هذا التعبير، ظهر بالتوازي في أكثر من مكان في أميركا اللاتينية (في كلمة "غوستافو غوتييريز" عام ١٩٦٨ في مؤتمر "منظمة الكهنة التقدميين" المنشأة حديثًا حينها، وفي كلمة اللاهوتي البروتستانتي "ريتشارد شول" في ذات السنة في الاجتماع السنوي لـ"برنامج التعاون الكاثوليكي البين-أميركي")، إلا أنه تحوّل، مع طبع كتاب "غوتييريز" عام ١٩٧١ بعنوان "لاهوت التحرير"، إلى عنوان جدل ضخم داخل الكنيسة الكاثوليكية[٢٩]، وتعمّق الجدل هذا مع "ليوناردو بوف" وكتابه "يسوع المسيح المحرِّر" (Jesus Christ le Libérateur).

يقول هذا الطرح اللاهوتي بأن وجه المسيح الحقيقي يُرى في أوجه الفقراء المعدمين. وأي مسيحي حقيقي، عندما تقول له "ها هو المسيح أمامك"، ردّة فعله الأولى والطبيعية هي الذهاب إلى لُقيا هذا المسيح والالتصاق به، وما دام وجه المسيح يُرى في أوجه الفقراء، فالمسيحي الحقيقي هو الذي يقف إلى جانب الفقراء ويلتصق بهم ويوليهم كامل الاهتمام والرعاية. الإنسان إذًا هو محور هذا اللاهوت وليس الله، مع أن تعبير "لاهوت" يعني علم الإله، والإنسان الفقير والمقهور هو الذي يسعى هذا اللاهوت إلى تحريره اقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا، مع ما قد يرافق ذلك من تصحيح ضروري لبعض المسارات "المعتورة" في الكنيسة الرسمية، وإمكانية، بل ضرورة، تأويل النصوص لصالح هذا الإنسان، بالاستعانة

[٢٣] غوستافو غوتييريز ميرينو، كاهن دومينيكاني من البيرو، وفيلسوف ولاهوتي، ويعدّ من مؤسسي لاهوت التحرير.

[٢٤] ليوناردو بوف، كاتب ولاهوتي برازيلي معروف بنضاله في سبيل الفقراء والمهمشين. هو أحد الداعمين الأكثر شهرة لأوائل المنظّرين في لاهوت التحرير، وعلاقته بالكنيسة الكاثوليكية علاقة شائكة تعود إلى نقده الصارم للهيكلية الكنسية ولدعمه لأنظمة شيوعية عديدة في أميركا اللاتينية.

[٢٥] هوغو أسّمان، لاهوتي كاثوليكي برازيلي، كتب أعمالًا على إثر المجمع الفاتيكاني الثاني، ويُعدّ من روّاد لاهوت التحرير في البرازيل.

[٢٦] جون سوبرينو، كاهن ولاهوتي يسوعي كاثوليكي، معروف في مساهماته المهمة في لاهوت التحرير. اشتهر على صعيد عالمي بعد أن أصدر مجمع العقيدة والإيمان في الفاتيكان تنبيهًا حول ما تراه الكنيسة الكاثوليكية "عقائد خاطئة وخطيرة قد تتسبب بالأذى للمؤمنين".

[27] Jeffrey L. Klaiber, *"Prophets and Populists: Liberation Theology, 1968-1988"*, in: The Americas, Vol. 46, No. 1 (Jul., 1989), pp. 1-15, p. 3

[28] Ibid, p. 3-4

[29] Ibid, p. 5

في أحيان كثيرة بلغة وتعابير ماركسية كالصراع الطبقي والطبقات الكادحة والتناقضات والاستغلال وغيرها.

نصل هنا إلى سؤالنا الأول: هل هناك إمكانية لنشوء رابطة مصطفاة بين الدين الإسلامي والمُتخيَّل الاجتماعي الذي يرسمه اليسار بشكل عام؟

إن الباب الواسع المفتوح على الاجتهاد في المدارس العديدة للفقه الإسلامي، وعدم وجود مرجعية واحدة واضحة لتفسير النص القرآني، يسهّلان على صاحب تصوّر ما حول الدين، إلصاق شرعية قرآنية أو فقهية بهذا التصوّر. ولعلّ من السهولة بمكان، إيجاد أسانيد من النص ومن السنّة بالنسبة لمسائل ليست بقليلة، بعضها متقابل ومتواجه ومتضادّ. وبالتالي، ومن خلال اعتماد تفسير معيّن، أو انتقاء معيّن من النص أو من السيرة أو من التاريخ والشخصيات الإسلامية، يمكن لبعض المريدين (اليساريون الإسلاميون) إيجاد منظومة تنشأ فيها رابطة مصطفاة بين الدين الإسلامي والمتخيّل الاجتماعي الذي يرسمه الفكر اليساري بشكل عام. ويمكن لهذا "الإيجاد" أن يكون عن قناعة أو عن مصلحة، ولكن ليس هذا مدار بحثنا في هذا القسم من الرسالة.

إن نظرة إلى البنى العامة للإسلام وللفكر الماركسي (أو للمتخيّل الاجتماعي الذي يرسمه اليسار بشكل عام)، تظهر بعض المشتركات التي يمكنها، إذا ما تأمنت الظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية والثقافية المناسبة، أن تشكّل رابطة تصل إلى حدّ الرابطة المصطفاة التي تكلّم عنها ماكس فيبر. وهذه بعض المشترَكات:

أ - مقاربة كونية تتوجّه إلى الإنسان ككل في الإسلام، وهي تلتقي مع الفكر الماركسي، وهذه بعض الأمثلة:

١. "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا" (الآية ١، سورة الفرقان). والعالمين تعني الخلق أجمعين، من الإنس والجن بحسب بعض التفاسير. ولكن ما يهمنا هنا هو إمكانية التدلّل على عالمية أو كونية الرسالة الإسلامية من خلال القرآن.
٢. "قل يا ايها الناس إني رسول الله اليكم جميعا..." (الآية ١٥٨، سورة الأعراف). وتعبير "جميعًا" هنا، يُستدلّ به على عالمية الرسالة.

ب - مقاربة مجتمعية تقدر الحياة المجتمعية وتنتقد النزعة الانحلالية والتجهيلية، والعزلة والمنافسة الأنانية، والتي هي كلها صفات للحياة الاجتماعية الحديثة، ويلتقي فيها الإسلام مع الفكر الماركسي، وهذه بعض الأمثلة:

١. " يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير" (الآية ١٣، سورة الحجرات).
٢. "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا..." (الآية ١٠٣، سورة آل عمران). وهي دعوة إلى عدم التفرقة.
٣. "ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم" (الآية ١٠٥، سورة آل عمران). وهنا تنبيه من خطورة التفرقة.

ج - اتخاذ وضعية نقدية من بعض أشكال الرأسمالية:

١. "وأخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما" (الآية ١٦١، سورة النساء). وفي هذه الآية ذمّ بمسألة الرِّبا وهي من بعض مظاهر الرأسمالية (فيما بعد).
٢. " الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون" (الآية ٢٧٥، سورة البقرة).
٣. "للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون" (الآية ٨، سورة الحشر). وهنا التنبيه إلى أن السعي المهم ليس السعي وراء المال بل وراء ابتغاء فضل من الله ونصرة دينه، وإن من يساهم بما يملك في سبيل ذلك، حتى لو كان فقيرًا، فهو من الصادقين الذين سينالون الأجر.

د – التقسيم الثنائي للعالم، والذي يلتقي فيه الإسلام، بتقسيمه العالم إلى مسلمين/غير مسلمين، أو إلى دار إسلام / دار حرب، مع التقسيم الماركسي الذي يفصل بين الشيوعيين والساعين إلى تحقيق الشيوعية، وبين الرأسمالية وأدواتها. فالعالم في الحالين، هو عالم مقسوم بشكل حادّ بين توجّهين.

هـ - المنحى التبشيري، وهو قاسم مشترك بين أكثرية الطروحات العقائدية والدينية، وليس صفة خاصة للاشتراك بين الإسلام والشيوعية، ولكنه عامل مشترك.

و- "الإسلام والماركسية يعتقدان أن أحد مقومات إنسانية الانسان هو العقيدة وأن القتل في سبيل العقيدة يعد فضيلة وشهادة"[٣٠].

ز- مفهوم الحق في الإسلام والماركسية هو أن الحق مسبق، فوق التدخل الوضعي البشري، فهو في الإسلام حق إلهي وفي الماركسية حق تاريخي، والتاريخ هو "إله" الماركسية[٣١].

هذه المشتركات التي ظهرت بين الإسلام واليسار، تحتاج إلى العامل الرابع الذي تكلم عنه ماكس فيبر، أي وجود الظروف التاريخية المناسبة، لكي تصل إلى مرتبة الرابطة المصطفاة بين المنظومتين، والتي يمكن أن ينتج عنها أو يولد منها شيء شبيه بلاهوت التحرير في أميركا اللاتينية، وهو لاهوت تحرير إسلامي. كما وقد تقود الظروف التاريخية إلى تحوّل من نوع آخر، ليس هو اشتراكًا يساريًا-إسلاميًا في رابطة مصطفاة، بل العودة إلى ذات إسلامية صرفة، تنتقل فيها الجموع من اليسار ومن غيره، إلى الإسلام. وهذان التحولان الممكنان، هما ما أتى عليه الكلام في بداية الفصل، عندما تكلمنا عن صورتَيْ "الجمع" (نعني به المجموعات أو الحركات التي جمعت – وبعضها ما يزال – بين النموذجين العقائديين، الماركسية بصورة من صورها والإسلام بمدرسة من مدارسه الفقهية)، و"التحوّل" (تحوّل أفراد، بشكل فردي أم جمْعي، من المنظومة الفكرية اليسارية إلى المنظومة الإسلامية). هاتان الصورتان ستكونان مدار بحث لاحقًا، ولكن في البدء علينا استطلاع الظروف التاريخية التي أوصلت إليهما، وهي الظروف التي ستكون من جهة، الشرط الرابع لفيبر حين نأتي على الكلام على اليسار الإسلامي والجمع بين اليسار والإسلام، ومن جهة أخرى، المفسّر الأساسي لصعود الإسلام السياسي وإعادة تموضع الإسلام على الساحة السياسية والتحوّل من اليسار (ومن غيره) إلى الإسلام.

القسم الثاني: في ظروف التلاقي اليساري الإسلامي

[٣٠] عبد الكريم سروش، *"الدين العلماني"*، تعريب أحمد القبانجي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٩، ص. ٦٦

[٣١] المرجع ذاته، ص. ٦٨-٦٩

يمكن اعتبار مرحلة تأثير اليسار الإسلامي[٣٢] أنه مرحلة وسطى، أو مرحلة انتقالية، بين الفترة الزمنية التي سادت فيها الأفكار القومية والعروبية والوحدوية في العالم العربي، والفترة التي ظهر فيها الإسلام السياسي على الساحة وتسيّد عليها. ويمكن اعتبار الثورة الإسلامية في إيران التي ظهرت ملامحها عام ١٩٧٨ وتفجّرت عام ١٩٧٩، اللحظة التاريخية التي أظهرت الطابع الثوري في الإسلام وقدرته على تحريك "الجماهير"، ونقلت العديد من اليساريين واليساريين الإسلاميين (وغيرهم) إلى دائرة الإسلام.

وإن كان بمقدورنا اختصار الظروف التاريخية المؤسسة للجمع وللتحوّل (بين اليسار والإسلام) في العالم العربي، من خلال إعطائها صفة واحدة، قد لا يكون هناك أفضل من تعبير "أزمة". هذه الأزمة الممتدة منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (فترة سقوط السلطنة العثمانية، وظهور المفكرين الإسلاميين الذين بحثوا في التقاء الإسلام بالحداثة) إلى اليوم. وحيث أنه في أوقات الأزمات، خاصة الأزمات الأخروية (crises eschatologiques)، يخترق الركون إلى الحركات الدينية، طبقات المجتمع بشكل عامودي (أي أن الجميع يدخل ضمن هذه الحركات)، وحيث أن الإسلام هو التعبير الحقيقي للذات الواعية في منطقتنا (سنرى ذلك بوضوح لاحقًا)، لا مجال للتنكّر لواقع الركون إليه. ولكن لا مناص أيضًا من تفصيل أسباب هذا الركون، وفيما يعنينا، تفصيلها فيما خص اليسار الإسلامي الآن، واليسار المنتقل إلى الإسلام لاحقًا. وسوف نضيء في البنود الآتية على أهم الأسباب والظروف التي أدّت إلى هذين "الجمع" و"التحول".

الفقرة الأولى: سقوط السلطنة العثمانية

إنّ مسألة الخلافة في الوعي والوجدان الإسلاميين، مسألة حاضرة دائمًا، ولو كمنت إلى حين في بعض الفترات. والسلطنة العثمانية كانت دولة الخلافة زهاء أربعة قرون، وحاكم تلك السلطنة هو في الوقت عينه السلطان والخليفة. وسقوط السلطنة هو بمثابة سقوط للخلافة، ولحظة أزمة تاريخية للمسلمين، ليس فقط لما تمثّله في وجدانهم ووعيهم، وليس فقط لأنّ هذا السقوط أدخل رعاياها المسلمين في أول احتكاك مع أهم منتوج للحداثة وهو الدولة-الأمة التي لم يكونوا قد اعتادوها، إنما أيضًا لأن هذا السقوط تمّ، في إحدى نواحيه، بأيدٍ إسلامية وبخطاب إسلامي، مسيّرَيْن بفكرة استنبطها البريطانيون "أهل الغرب" وعملوا عليها من خلال أجهزتهم في المنطقة.

---

[٣٢] وهو تيار أو خط فكري رسمه يساريون ذات وعي إسلامي معيّن، في النصف الثاني من القرن العشرين. ينطلق من ضرورة التنبّه إلى عمق التأثير الديني في وعي الشعوب المسلمة، ما يوجب بالتالي قولبة الأفكار اليسارية لتماشي هذا الحس الديني، مترافقة في المقابل مع إصلاح ديني وتبديل في الفهم التقليدي للدين وفي ممارسات هذا الدين.

إن من يقرأ مذكرات "وينستون تشرشل"، خاصة تلك التي تحكي تجربته في السودان (إبان ثورة المهدي)[٣٣] وهو ما يزال ضابطًا في الجيش الملكي البريطاني أواخر القرن التاسع، يلاحظ كيف أن هذا الرجل الاستراتيجي اهتمّ بمعرفة الإسلام بعمق، وفهم كيفية الاستفادة من قدراته التحريكية. أكثر ما أقلق تشرتشل حينها، وهو كان الضابط المسؤول عن تجربة رشاش أوتوماتيكي جديد، كان قدرة "الإمام" على تحريك الموجات البشرية المسلمة، التي تستمرّ "بالقدوم إلى الموت" غير مكترثة لمصير الموجات التي سبقتها والتي قضي عليها حتى آخر عنصر فيها تحت نيران هذا الرشاش. أحس تشرتشل بالقدرة التي يمتلكها الإسلام على تحريك الجماهير، وانشغل منذ حينها بالتفكير بكيفية الاستعانة بهذه القدرة، ووجد لها لاحقًا منفذًا للتطبيق بمواجهة السلطنة العثمانية. فكانت من بنات أفكاره (وأفكار المجموعة التي دارت في فلكه)، وهو الذي يسعى إلى القضاء على السلطنة العثمانية، أن يلعب على وتر "عربية الخليفة" وضرورة أن يكون خليفة المسلمين عربيًا من نسل نبي الإسلام، لا طورانيًا عثمانيًا. هذا كان لبّ الحراك البريطاني في المنطقة، مع الشريف حسين والأمير فيصل. لقد استُخدم الإسلام العربي في مواجهة الإسلام العثماني بهدف إسقاط دولة الخلافة الوحيدة على الأرض حينها، السلطنة العثمانية. هذه أولى الأزمات التي فهمها المسلمون لاحقًا، خاصة أن الوعود البريطانية بدولة عربية موحّدة لم تكن حقيقية، لا بل أنه تمّ استبدالها بوعد ليهود أوروبا بإقامة دولتهم الموعودة على أرض عربية، وهو ما حصل وتم تنفيذه تحت أعين البريطانيين ومباركتهم. وسقوط الدولة العثمانية لم يكن سلبيًا على المسلمين العرب فقط، بل أحس بالأزمة مسلمو أوروبا الوسطى والشرقية، حتى منذ ما قبل سقوط السلطنة، أي منذ هزيمة العثمانيين أمام الروسيين عام ١٨٧٨[٣٤].

وبسقوط دولة الخلافة، ومجيء الاستعمار "الغربي" إلى المنطقة و"استيراد" منتوجه الحداثوي في الحكم، أي نموذج الدولة-الأمة، برزت أزمة جديدة عند المسلمين في المنطقة (أزمة الإسلام والحداثة)، ناتجة عن الاحتكاك بهذا المنتوج الجديد والغريب عن التاريخ الإسلامي. ولهذه الأزمة عناوين عدّة، يمكن إيجازها بالتالي:

١. أزمة على صعيد القانون والتشريع، فالشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع في الفكر الإسلامي في فترة الخلافة العثمانية، والقانون هو قانون إلهي منزَل. بينما في الدولة الحديثة، القوانين وضعية، من صنع البشر، تخضع للشروط الموضوعية لكل حقبة ومكان، وهي قابلة للتبدّل والإضافة والإلغاء.

33 Winston Churchill, *"The River War: An Account of the Reconquest of the Sudan"*, Dover Publications, 2006, pp. 432

34 Alexandre Bennigsen & Chantal Lemercier-Quelquejay, *"Sultan Galiev: Le père de la révolution tiers-mondiste"*, Fayard, 1986, p. 26

٢. أزمة على صعيد حقوق المواطنين في الدولة، ففي الدولة التي تحكمها الشريعة الإسلامية، تخضع حقوق "المواطنين" إلى ميزان النص المقدّس وأحكامه، فحقوق غير المسلمين (من كفّار أو أهل ذمة) هي غير حقوق المسلمين، وحقوق المرأة هي غير حقوق الرجل. بينما في الدولة الحديثة، ليس هناك فصل بين مؤمن وغير مؤمن فيما خص الحقوق والواجبات[٣٥].
٣. أزمة في تقبّل كامل أوجه الديمقراطية الغربية، خاصة أن للإسلام، بنظر المسلمين، نوع خاص من الديمقراطية اسمه الشورى.
٤. أزمة شرعية الحاكم، فالحاكم الإسلامي، خاصة الخليفة، غير منتخب من الشعب بل هو "المتغلّب صاحب الشوكة" الذي لا تغيير لموقعه الأول إلا بالموت أو بحلول متغلّب آخر صاحب شوكة مكانه. بينما في الدولة الحديثة، الانتخابات هي مصدر شرعية السلطة وتشكلها.

إثر هذا الاحتكاك السلبي بالحداثة، وتلك التجربة السيئة مع الغرب المستعمِر، و"بعد أن كان همّ الرواد الإصلاحيين في العالم الإسلامي (رشيد رضا، جلال الدين الأفغاني، محمد عبده...) مواجهة الاستبداد الداخلي ونشر العدل والشورى، وبعد أن كانوا، وهم الفقهاء ورجال الدين، لا يمانعون بل يفتون بالأخذ من الغرب كل ما ينفع خصوصًا في مجال الحكم والإدارة وآليات المشاركة الشعبية، أصبح مصدر الخطر عند النخب الإسلامية المثقفة والمسيسة يأتي من الغرب ومن "مخطط التغريب الاستعماري" الذي بات يهدد هوية الأمة. وأصبحت الأولوية هي للجهاد والكفاح لتحرير ديار الإسلام ولحماية الثقافة والهوية من الطمس أو التبديل أو الذوبان. وهكذا تحول رشيد رضا من موقعه الإصلاحي المستنير إلى موقع المرتبط بالسلفية والوهابية وبالدولة السعودية. وتحول رواد الحركة الوطنية الإسلامية المتعاونة مع أوروبا المقتبسة منها (أنصار الثورات الدستورية التركية والإيرانية في العراق ومصر والعالم الإسلامي) إلى مبشرين بالخلافة (حركة مؤتمر الخلافة) وإلى دعاة صراع حضارات (رشيد رضا وشكيب إرسلان ومحب الدين الخطيب والأخوة باش حامبه وعبد العزيز جاويش ومحمد علي الطاهر ومجلات المنار والشورى والفتح وغيرها)"[٣٦].

---

[٣٥] ينقل عبد الكريم سروش في كتابه "الدين العلماني" (تعريب أحمد القبانجي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٩، ص. ٦٧)، عن الشيخ فضل الله النوري أن الأخير كتب التالي في أيام تدوين القانون الأساسي للحكومة الدستورية في إيران: "إننا عندما كنا نبحث في مسألة تساوي الحقوق بين المسلم والكافر فإن أحد المثقفين من دعاة المشروطة قال لي: إن تساوي الحقوق على قدر من الأهمية بحيث أنك لو حذفت هذا الأصل من القانون وأبقيت على سائر الأصول الأخرى فإن هذا يعني إلغاء المشروطة أو النهضة الدستورية". ويستنكر الشيخ فضل الله نوري هذا الموقف للمثقفين ويرى بأنهم غير ملتزمين بالدين الإسلامي.

[٣٦] سعود المولى، *"السلفية والسلفوين الجدد: من أفغانستان إلى لبنان"*، دار سائر المشرق، جديدة المتن، الطبعة الأولى، ٢٠١٦، ص. ١٢٨

الفقرة الثانية: فشل الشيوعية الروسية في التعاطي مع الإسلام

هذا الاحتكاك السلبي بالغرب و"منتوجاته" الحضارية والفكرية والسياسية، مضافًا إلى شعور بضرورة "ردّ الثأر"، دفع مجمل مناطق "العالم الثالث"، خاصة منذ أواخر العقد الثاني من القرن العشرين، إلى الانفتاح على روسيا الشيوعية واعتبارها صديقًا طبيعيًا في مواجهة "الغرب الامبريالي" وهجمته. حتّى أن مفكّرين إسلاميين "مصلحين"، ممن كانوا ينظّرون للأخذ من الغرب ومن حضارته ما ينفع البلاد الإسلامية، انتقلوا إلى التكلم بإيجابية عن روسيا الشيوعية. فرشيد رضا إياه، "لم يجد حرجًا من الكتابة عن الاشتراكية والبولشيفية والإسلام في جريدة المنار في آب ١٩١٩، بروحية متعاطفة، من موقعه الإسلامي المتشدد، مع الاشتراكية، وضد فتوى الشيخ بخيت، مفتي الديار المصرية، الذي أصدر، بناءً لرغبة الإنكليز، فتوى تقضي بمحاربة البولشيفية. وفي هذا المقال يعبّر الشيخ رشيد رضا عن تمنيات المسلمين بنجاح الاشتراكيين الذي يقضي على استعباد الشعوب... شرط ألا يدّعي الاشتراكيون، عندنا، تطبيق القوانين الإسلامية ما لم يكونوا مسلمين"[٣٧]. كانت هذه الفترة، فترة صعود الأحزاب الشيوعية في المنطقة العربية. وهذه النظرة إلى روسيا الشيوعية والثورة البولشفية فيها، لم تكن مقتصرة على المسلمين العرب. فحتى البورجوازية الروسية المسلمة في مطلع القرن العشرين (عام ١٩١٤، أي في أيام روسيا القيصرية)، كانت قد تخلّت في وقتها عن حلم السعي وراء اتفاق مع الادارة الروسية (القيصرية) وحتى مع أحزاب المعارضة الروسية لتحقيق نوع من شراكة في الحكم. لم يبقَ للمجموعات المسلمة التي تفكّر بطريقة ما للحفاظ على هويتها الجماعية، سوى سلوك طريق الثورة. وكان المسلمون الروس في حينها، أول من وجد في الماركسية حلًا لهم، سابقين في ذلك الأتراك والإيرانيين والعرب[٣٨]، وحتى لو كان عددهم قليلًا نسبيًا، إلا أن الأفكار الاشتراكية كانت تحيط بكل تلك المنطقة، في كل منطقة الإسلام الروسي. الجميع، ومن ضمنهم المحافظون إسلاميًا، كانوا يستعينون بتعابير "الصراع الطبقي" و"ديكتاتورية البروليتاريا"[٣٩]، ذلك لأن الاشتراكية الروسية قدمت لهم وعدًا وأملًا بأن يتساووا مع، إذا لم يكن بأن يستقلّوا، عن الروسيين، ونظروا إليها على أنها ستقود إلى تعاطف مع قضيتهم فيما بعد، من قبل الروسيين الاشتراكيين وحتى من العالم[٤٠]، لا بل كانت بالنسبة لهم مفتاحًا للمستقبل، وأيضًا مفتاحًا

---

[٣٧] من ردّ سمير سعيد بعنوان:"ملاحظات في علمية الماركسية ومسألة التجديد" على كريم مروة، ومصدره كتاب "*مفكرون عرب يناقشون كريم مروة في القومية والاشتراكية والديمقراطية والدين والثورة*"، مجموعة من الباحثين والكتاب العرب، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٠، ص. ٣٨٥

[38] Bennigsen & Lemercier-Quelquejay, op. cit., p. 39

[39] Ibid, p. 49

[40] Ibid, p. 52-53

للماضي "المجيد"، ماضي العصر الذهبي للإسلام التركي، لل Horde d’Or[٤١]، لإمبراطورية "تيمور" حين كان الروسيون خاضعين لحكم الخانات التتار[٤٢]. خاض هذه التجربة وقادها، تَتَريّان شيوعيان مسلمان هما "مير سيّد سلطان غالييف" و"المُلّا أحمد فاهيتوف"، حيث كان الإعداد (formation) الذي تلقياه، ماركسيًا، ولكنه لم يلغي ما كان في عمقهما من أفكار سياسية يمكن توصيفها بالإسلامية الأممية المتطرفة (pan-islamisme extrémiste) وأهدافها الثلاثة الأساسية: ١) النضال بوجه الاقطاع التتري، والإسلام التقليدي، ٢) التحرير الوطني للمسلمين من الهيمنة الروسية، ٣) نشر الاشتراكية في كل العالم الإسلامي[٤٣].

إن ما رآه العرب (المسلمون) وما رآه المسلمون التتار في بدايات الشيوعية الروسية، كان فرصة للخلاص من سطوة غيرهم عليهم، وكانت منصة الماركسية، منصة واعدة بالتحرر القومي أو الديني أو القومي-الديني بالنسبة لهم. هم تبنوا (وهنا نتكلم عن مسلمي روسيا) الشيوعية الروسية ليس إيمانًا بالماركسية والاشتراكية كعقيدة، إنما للقدرات العملية والخبرات التنظيمية التي أمنتها لهم في سبيل قضيتهم الأساسية.

ولكن عندما بدأت الخلفيات الحقيقية لأهم قادتهم (كسلطان غالييف والملا فاهيتوف) تتوضّح عند القيادات السوفياتية، حصلت الفرقة وحصل الخلاف. فالمرة الأولى مثلًا، التي اختلف فيها غالييف وستالين كانت على نقطة استراتيجية: اعتبر ستالين أن مسألة نشر الشيوعية في الشرق، لا يمكن لأحد أن يقوم بها أفضل من الشيوعيين المسلمين، ولكن القرار يجب أن يبقى مركزيًا، وفي خلفية الصورة صراع على من سيستلم دفة الشيوعية في العالم الثالث: الأوروبيون الروس أو الآسيويون التتار[٤٤]. الفريقان أرادا الاستثمار بالآخر، فالشيوعيون الروسيون من جهتهم استعملوا بعض التعابير ذات البعد الإسلامي في توجههم نحو الشعوب المسلمة وذلك بهدف تجنيد المسلمين لصالح الأهداف الشيوعية وأولها مواجهة الغرب الرأسمالي. ففي مؤتمر باكو عام ١٩٢٠ مثلًا، دعا فيه "الكومنترن" الذي انعقد، الشعوب الثورية في الشرق إلى "الجهاد" ضد الامبريالية الغربية[٤٥].

[٤١] القبيلة الذهبية أو مغول الشمال أو مغول القبجاق، وهي قبيلة مغولية ثم أصبحت بعد ذلك خانات تركية. انتشرت في الجزء الشمالي الغربي من إمبراطورية المغول الآن روسيا وأوكرانيا ومولدوفا وكازاخستان والقوقاز. كان ذروة نفوذ القبيلة في عهد أوزبج خان (١٣١٢- ١٣٤١) الذي أعلن الإسلام الدين الرسمي للدولة بعدما كانت تدين بالشامانية في البداية. شملت أراضي القبيلة الذهبية في ذروتها معظم أوروبا الشرقية من جبال الأورال حتى الضفة الشرقية لنهر الدانوب، تمتد شرقا في عمق سيبيريا، وجنوباً يحدها البحر الأسود وجبال القوقاز وأراضي إلخانات فارس.

[42] Bennigsen & Lemercier-Quelquejay, op. cit., p. 55

[43] Ibid, p. 66

[44] Ibid, p. 133-134

[45] Ibid, p. 152-153

إن فشل الشيوعيين الروسيين في التعاطي مع الإسلام أدى فيما بعد إلى تراجع الحضور السياسي للاتحاد السوفياتي وللأحزاب الشيوعية في دول العالم الثالث. ويمكن تلخيص أسباب هذا الفشل بالتالي:

١. انتقال الروسيين إلى استراتيجية "الطبقة ضد الطبقة" (de classe contre classe) التي، بحسبها، على البروليتاريا مهاجمة البورجوازية سواء أكانت تقدمية أو رجعية. هكذا أصبحت الأحزاب الشيوعية في العالم المسلم (الضعيفة أصلًا نتيجة الضغط عليها من قبل السلطات) مدعوة لشن الحرب على جبهتين: خارجيًا ضد الامبريالية وداخليًا ضد العدو الطبقي، الاقطاعي، الديني والبورجوازي.
٢. عدم فهم أولوية التحرر الوطني، على الصراع الطبقي، بالنسبة لشعوب العالم الثالث المستعمَرة.
٣. الدخول السوفياتي إلى أفغانستان والمواجهة التي حصلت مع "المسلمين" هناك.
٤. غياب التعمّق بدراسة واقع الشعوب والمجتمعات الإسلامية وفهم تاريخها وأثر الدين فيها. وفي هذا "*رأي مهم لأندريه مارتينيه أحد الخبراء المشهورين في دول العالم الثالث، يمكن تعميمه على كل الدول غير الإسلامية التي تشابه أوضاعها أوضاع الدول الإسلامية: إن الماركسيين في العالم الإسلامي قد فشلوا* جميعًا *وبالرغم من كل الظروف الاقتصادية والسياسية المواتية الموجودة في أيديهم، لم يستطيعوا إحراز أي نجاح، وذلك لأنهم غفلوا عن البحث الدقيق والصحيح في الواقع الاجتماعي لمجتمعاتهم وروحها وتاريخها ومعرفة نوعها، ودون أن ينتبهوا إلى أنه ينبغي عليهم أن يعرفوا الأرضية التي يريدون العمل فيها، بدأوا بتطبيق القواعد الجافة الكلية للنظريات الماركسية كما كانوا قد تعلموها في أوروبا، وعندما عجزوا عن تطبيق هذه النظريات على الواقع الحي والروح الاجتماعية والخصائص العينية لشعوبهم وظروف مجتمعاتهم، انتهت كل جهودهم إلى الفشل*"[٤٦].

إن هذا الفشل السوفياتي في التعاطي مع الإسلام، أصبح مدار مراجعات نقدية فيما بعد، من قبل شيوعيين عرب استمرّوا على شيوعيتهم وثباتهم على الانتماء للأحزاب الشيوعية وللفكر الماركسي-اللينيني، ولكنهم قاربوا الأمور من زاوية نقدية بهدف الخروج بحلول تعيد رأب الصدع الذي حصل. وقد تكون تلك المراجعات، التي أتت متأخرة ربما (نهاية العقد التاسع وبداية العقد الأخير من القرن العشرين)، متأثرة بجوّ المراجعات الفكرية والاقتصادية داخل الاتحاد السوفياتي بالذات، في فترة البيريسترويكا

[٤٦] علي شريعتي، *"العودة إلى الذات"* ، إبراهيم الدسوقي شتا (ترجمة)، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٣، ص. ١٨٦

والغلاسنوست[٤٧]. ولعل المراجعة الأبرز، حصلت عبر النقاش الذي أطلقه كريم مروّة والردود التي استجرّها، والتي جُمعت كلها في كتاب واحد، وهذه بعض المقاطع – كما هي - التي تضيء على نوعية النقد الذي أجراه الشيوعيون العرب تجاه التجربة القديمة مع الإسلام:

" الهمّ الأول، هو ألّا يكتفي المنتقدون للدين، بنقد الدين، وألا يكتفي المبررون للدين تفسيرًا واجتهادًا، بتبريرهم له ودفاعهم عنه، بل أن ينطلق المفكرون التقدميون من مواقعهم المختلفة ومن مواقعهم المتعارضة، في معالجتهم للدين، كظاهرة تاريخية، وكواقع اجتماعي، وكتراث، من الحرص على فهم حقيقي، عميق ودقيق، لدوره في تكوين الوعي السائد في مجتمعاتنا، بمستوياته المختلفة... الهمّ الثاني، هو أن ينطلق البحث في الدين من البحث العام في التراث العربي الإسلامي. فالدين جزء من هذا التراث. بل هو الجزء الأساسي منه. فمن خلال الدين، ومن خلال الصراع الفكري والسياسي داخله، وحول العقيدة والشرائع الدينية، وحول الاجتهاد في تفسيرها، قامت معظم الحركات السياسية والاجتماعية والفكرية في التاريخ العربي الإسلامي، وتكونت الحضارة العربية الإسلامية، واتخذت سماتها المميزة، ولعبت دورها الكبير في تكوين ملامح حاضرنا، وقدمت إسهامها الكبير في بناء الحضارة الإنسانية... الهمّ الثالث، هو كيف نصنع هذا التغيير، وكيف نحدث هذه الثورة، إذا لم تكن أدوات هذا التغيير وهذه الثورة متوفرة، في الناس، أولًا، أصحاب المصلحة في إحداثه، وفي الفكر وصياغته، أو إعادة صياغته، وفي الحركة وتنظيمها، أو إعادة تنظيمها، وفي الوعي لدى القيادات ولدى الجماهير، وفي تأهيل هذا الوعي والارتقاء به؟... لقد كان الفهم الخاطئ لدور الدين، وتحميل الماركسية عن غير حق تبعات ذلك، والتعامل الخاطئ مع الظاهرة الدينية، في شكل النقد وفي شكل التبرير، وكانت العلاقة الخاطئة مع جماهير المؤمنين، كانت كلها من بين الأسباب التي أوقعت الحركة الثورية العربية في أزمتها الراهنة، أزمة فكرها، وأزمة برنامجها، وأزمة وضعها التنظيمي، وأزمة علاقتها بالجماهير، وأزمة تأثيرها في هذه الجماهير وفي قدرتها على تعبئتها في مجرى النضال دفاعًا عن مصالحها الآنية، ومن أجل التغيير الثوري... على الحركة الثورية، بعامة، وعلى الماركسيين، تحديدًا، وعلى الحركة الاشتراكية...، أن يصبحوا أكثر حرية في التوجه إلى الجماهير المؤمنة ببرنامج للنضال السياسي والاجتماعي يستجيب لحاجات هذه الجماهير وقضاياها، الراهنة والبعيدة المدى، ويحترمون قناعاتها الدينية، ومشاعرها وأحلامها، ما له علاقة بعالم الحياة، وما له علاقة بعالم ما بعد الحياة، من دون تمييز أو حذر أو إثارة. إذ يدخلون عندئذ، إلى هذه

[٤٧] البيريسترويكا، وتعني «إعادة البناء» هي برنامج للإصلاحات الاقتصادية أطلقه رئيس للاتحاد السوفييتي، ميخائيل غورباتشوف وتشير إلى إعادة بناء اقتصاد الاتحاد السوفيتي. صاحبت البيريسترويكا سياسة غلاسنوست والتي تعني الشفافية. أدت السياستان معًا إلي انهيار الاتحاد السوفييتي وتفككه سنة ١٩٩١.

الجماهير من وسطها، وسطها الحقيقي، لا من فوق، ولا من خارج. فيسهمون بتعميق الوعي الثوري عندها" [٤٨]

هذا النوع من المراجعات، هو النوع الذي أجراه الشيوعيون الذين استمرّوا على شيوعيتهم وعلى انتمائهم للأحزاب الشيوعية التي تتبع المركز الموجود في الاتحاد السوفياتي. ولكن نوعًا آخر من المراجعات حصل، ولعب دورًا أساسيًا في تشكل اليسار الإسلامي كما وفي الانتقال من اليسار إلى الإسلام، ولكن كانت المنصة الماوية (ماو تسي تونغ) هذه المرة هي المنصة اليسارية وليس الشيوعية السوفياتية.

الفقرة الثالثة: فشل الحراك الوحدوي وخيبة من سوفياتية داعمة لإسرائيل

حملت الأفكار الاشتراكية في المنطقة العربية في الفترة التي برزت فيها أزمة الشيوعية الروسية في تعاطيها مع العالم الثالث، بعدًا تحرريًا قوميًا، أوْلى البعد القومي العروبي (في منطقتنا) الاهتمام على حساب البعد الأممي (لكن ذلك لا يعني أن العلاقات السياسية والعسكرية مع الاتحاد السوفياتي انقطعت). وكانت الوحدة والحرية والاشتراكية عناوين ثلاث، اختلفت بترتيبها، ولكنها اجتمعت، لتكون السمات الأهم للحراك الناصري والبعثي. وكانت الوحدة التي قامت بين النظامين المصري والسوري تحت اسم "الجمهورية العربية المتحدة" في ٢٢ شباط ١٩٥٨، محطة تأمّل فيها "الوحدويون" وجموع اليساريين في المنطقة بأن يتمكنوا من التحرر من السيطرة والسطوة الغربيتين، سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا وثقافيًا و"حضاريًا".

أتى عام ١٩٦١، وهو عام تفكك الوحدة المصرية-السورية، ليقضي على آمال المتأملين (أقله في حينه، مع العلم أن الأحلام استمرّت في هذا الإطار، حتى بعد النكسات الكثيرة وصولًا إلى اليوم) بوحدة عربية تجمع إليها الحرية والاشتراكية ضمن مشروع تحرري واحد كامل متكامل، على كافة الصعد. وبدأت حينها مرحلة انهيار التيار العروبي الناصري (خاصة أن البعثين السوري والعراقي سعوا إلى تقويض وجود الناصرية في بلدانهم، وصولًا إلى إنهائها)، ويكون هذا الانهيار متوافقًا بالتوقيت مع (وأحد أسباب) *"بدايات حركة فتح الفلسطينية التي لا تنفصل أبدًا عن الحراك داخل الإخوان المسلمين الفلسطينيين في غزة من جهة، وعن نشوء جماعة عباد الرحمن*[٤٩] *في بيروت من جهة أخرى"*[٥٠]. كما ويُحمَّل فشل

---

[٤٨] كريم مروة، مصدر سابق، ص. ٣١-٣٥

[٤٩] جماعة عباد الرحمن مؤسسة إسلامية نشأت عام ١٩٤٩ في بيروت لبنان وكان أسسها الأستاذ محمد عمر الداعوق عام ١٩٥٠، ولدى مجموعة من الشباب بطرابلس كان أبرزهم الداعية فتحي يكن الذي انشق فيما بعد وأسس الجماعة الإسلامية في لبنان. بحث القيّمون على هذه الجماعة في الأسباب الحقيقة للمصائب التي تنزل بالمسلمين فوجدها ترجع إلى بعدهم عن دينهم وشريعة ربهم.

الوحدة، من قبل بعض الجهات حتى، مسؤولية نكسة ١٩٦٧ (أو حرب الأيام الستة كما تسميها إسرائيل) والتي أدت إلى احتلال سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية والجولان. "النكسات" المتتالية، وحدويًا وعسكريًا، أفقدت "الجماهير" العربية الثقة بالجيوش النظامية للعرب ودولهم، وجعلتهم مع كل بحث باتفاق تسوية يتيقّنون بأن عليهم هم حمل بنادقهم وإطلاق "كفاحهم" الجماهيري وحربهم الشعبية. فحتى عبد الناصر، ورغم شعبيته العارمة في الأوساط العربية اليسارية في حينها، خاصة في لبنان، وُوْجِهَ بتظاهرة في بيروت "الغربية" عام ١٩٧٠ حين استُشفّ قبوله بمشروع "روجرز" (وزير الخارجية الأميركي آنذاك) للسلام *"القائل بتسوية شاملة بين مصر وإسرائيل، بحدود آمنة، وبوقف إطلاق النار، وحرية ملاحة إسرائيل عبر قناة السويس، والدعوة إلى تسوية عادلة لمسألة اللاجئين الفلسطينيين. الجماهير الطلابية المتظاهرة (حينها)، التي تطرب لأغنية أم كلثوم "أصبح عندي الآن بندقية... إلى فلسطين خذوني معكم"، (أصبحت) متأكدة بأن خيارها للكفاح المسلح هو الصحيح، وبأن الجيوش النظامية، ليست صادقة ولا قادرة، نتيجة تركيبتها الطبقية التاريخية، على خوض حرب تحرير فلسطين. الشعوب تتحرر بسلاحها، وبكفاحها المسلح"*[٥١].

ستشرّع هذه "النكسات" الباب أمام دخول الفكر الماوي (نسبة لماو تسي تونغ) إلى قلوب وعقول "الجماهير" اليسارية في لبنان والمنطقة، وستكون حركة فتح ملعب التطبيق، وخاصة كتيبتها الطلابية التي ستكون المنصة الأهم لهذا الفكر، وللتحول لاحقًا منه إلى الإسلام (بالنسبة لعدد كبير من عناصرها) عندما حلّت "نكسة" أخرى بالنسبة لهؤلاء، وهي قول حركة فتح عام ١٩٧٤ بـ"البرنامج الوطني المرحلي" أو "برنامج النقاط العشر" الذي سوّق له نايف حواتمة[٥٢] المقرّب من ياسر عرفات، والذي يقضي بقبول بتحرير جزئي لفلسطين وربما ينتهي بقبول حل الدولتين، بينما كانت "الجماهير الثائرة" لا تقبل بأقل من تحرير كامل فلسطين[٥٣].

---

[٥٠]سعود المولى، مرجع سابق، ص. ٢٧٨-٢٧٩

[٥١]دلال البزري، *"سنوات السعادة الثورية"*، دار التنوير، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦، ص. ٧٦

[٥٢]سياسي فلسطيني يشغل منصب الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين التي أسسها سنة ١٩٦٩. انتمى حواتمه إلى حركة القوميين العرب التي نشأت كرد فعل مباشر على هزيمة العرب ونكبة فلسطين، وكان لا يتجاوز في عمره الستة عشر عاماً. يعتبر حواتمه أحد أبرز أقطاب اليسار الناشئ في الحركة القومية الحديثة حيث قاد الجناح الديمقراطي الثوري في صفوفها. وبعد هزيمة العام ١٩٦٧، انتقل للعمل في إطار فروع الحركة القومية في فلسطين والأردن. وفي مؤتمر آب / ١٩٦٨ المشترك للتيارين اليساري الديمقراطي واليميني التقليدي في ائتلاف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نجح حواتمه في تطوير دور ووزن الجناح اليساري في إطار الحركة القومية. وعند الارتداد عن نتائج مؤتمر آب / ١٩٦٨ واستخدام أشكال من القوة والعنف، أعلن حواتمه استقلال التيار اليساري تحت اسم الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في ٢٢ شباط ١٩٦٩. ومنذ ذلك الحين تحولت الجبهة الديمقراطية تحت زعامة حواتمه إلى فصيل أساسي ورئيسي في إطار ائتلاف منظمة التحرير.

[53] Manfred Sing, *"Brothers in Arms: How Palestinian Maoists Turned Jihadists"*, in: Die Welt des Islams 51 (2011) 1-44, p. 13-14

الفقرة الرابعة: الماوية وخطّ الجماهير

في الخلاف الذي نشأ بين ستالين وسلطان غالييف بالنسبة لقيادة الاشتراكية في العالم المسلم، أيد تروتسكي[٥٤] وزينوفييف[٥٥] وبوخارين[٥٦]، ستالين في النظرة المتشككة تجاه الشيوعية الشرقية وإراداتها التحررية الممزوجة بالشعورين القومي والإسلامي، وأيّدوه أيضًا في التمسّك ببقاء مركزية القرار بالنسبة للشيوعية المسلمة في موسكو. كان يجب انتظار مجيء ماو تسي تونغ لكي تتحول فكرة خصوصية آسيوية للشيوعية إلى واقع[٥٧]، مع عدم تبخيس سلطان غالييف حقه في التأثير على هذا النمط من التفكير (خصوصية آسيوية) وهو الذي كان استاذًا مشهورًا في "الجامعة الشيوعية لعمال الشرق" التي تأسست في موسكو عام ١٩٢١. هذه المؤسسة الرفيعة المستوى التي كانت مكان التقاء قادة الأممية الثالثة، حيث التقى المنظّرون الأعتى للشيوعية الروسية (Pavlovich, Zinoviev, Boukharin) بالشرقيين النافذين المتأثرين بأفكار غالييف (Baytursun, Narimanov, Ryskoulov, Sultan-Zade, Mobendra-Nath, Sneevliet). وكان "هو شي منه" الفيتنامي (وهو من أبناء مدرسة الخصوصية الآسيوية في الشيوعية لاحقًا) من طلاب هذه الجامعة[٥٨].

إنّ أفكار ماو تسي تونغ والثورة الثقافية الصينية المنبثقة عنها، أدخلت إلى المنظومة الماركسية مفاهيم جديدة (أبرزها "خط الجماهير" و"حرب التحرير الشعبية")، وجدها الثوريون في العالم الثالث مناسبة

---

[٥٤] ليون تروتسكي (اسمه الحقيقي ليف دافيدوفيتش برونشتاين)، وهو ماركسي بارز وأحد زعماء ثورة أكتوبر في روسيا عام ١٩١٧ إضافة إلى الحركة الشيوعية العالمية في النصف الأول للقرن الماضي ومؤسس المذهب التروتسكي الشيوعي بصفته إحدى فصائل الشيوعية الذي يدعو إلى الثورة العالمية الدائمة. تسلم مفوضية الحرب، وهو أيضاً مؤسس الجيش الأحمر، كما أنه عضو المكتب السياسي في الحزب البلشفي إبان حكم لينين، كان له الأثر الفعال في القضاء على أعداء الثورة البولشفية.

[٥٥] جريجوري زينوفيف (اسمه الحقيقي أفسي-جيرشن أرونوفيتش ردوميسلسكي-أبفيلبوم)، ثوري بولشيفي. عضو في "الترويكا" وفي الحزب الشيوعي. ورئيس مجلس السوفيات في لينينغراد. وهو أحد المشاركين بثورة أكتوبر ١٩١٧ التي قام بها فلاديمير لينين وجوزيف ستالين. التحق في البداية مع كامينيف وستالين لتشكيل ترويكا لتهميش تروتسكي، قبل ان يقترب منه منتصف سنة ١٩٢٠. ولكنه وقف إلى جانب تروتسكي وكامينيف بوجه ستالين لاحقاً. فأدين في المحاكمة الأولى سنة ١٩٣٦ بتهمة تشكيل جبهة لمعاداة الدولة وخيانة الشيوعية ولرفاقه بانضمامه لتروتسكي وقد أعدم رمياً بالرصاص.

[٥٦] نيكولاي بوخارين، ماركسي بلشفي نشط في الثورة البلشفية ثم في الحكومة السوفيتية حتى أصبح أحد قادتها. شغل العديد من المناصب لعل اهمها: عضو في المكتب السياسي واللجنة المركزية والأمين العام للجنة التنفيذية للأممية الشيوعية (الكومنترن) ورئيس تحرير جريدة برافدا، بعد وفاة لينين. تحالف مع ستالين ضد خصومه من المعارضة المتحدة حتى تفوق عليهم الا انه سرعان ما اختلف مع ستالين وعارض سياسته إلى ان أزيح من المكتب السياسي عام ١٩٢٩. كان أحد أهم الضحايا للتصفيات الجسدية التي حدثت في الثلاثينيات.

[57] Bennigsen & Lemercier-Quelquejay, op. cit., p. 204

[58] Bennigsen & Lemercier-Quelquejay, op. cit., p. 165-166

لنضالهم الثوري. وشكلت المراجعات المتأثرة بالماوية، التي حصلت في الدوائر الفكرية الماركسية الأوروبية، للشيوعية بحسب المنظور السوفياتي، بالإضافة إلى التظاهرات الطلابية في أيار ١٩٦٨ في فرنسا، بيئةً تأثر فيها كل الطلاب الآتين من العالم الثالث وقَوْلبت تصوّرهم للماركسية. نقل هؤلاء الطلاب أفكارهم الجديدة إلى أوطانهم وساهموا في نشر الأفكار الماوية وسعوا لتنظيم الصفوف وفق هذه الأفكار. كما أن العلاقات تطوّرت بين حركة فتح والصين الشعبية بقيادة ماو، حيث كانت القيادات الفتحاوية تنظر إلى الصين كدولة داعمة لا تبخل مساعدةً في سبيل الفلسطينيين. وتعود هذه النظرة الفتحاوية تجاه الصين، إلى واقع أنه بين أواسط الستينيات وأواسط السبعينيات من القرن العشرين، كانت الصين القوة الدولية الوحيدة الثابتة على دعم المنظمات الفلسطينية ومدّها بالسلاح، ومناقشتها وحتّى انتقاد بعض التفاصيل الصغيرة في تصرفاتها، وإبداء النصح والسعي لتوحيد هذه المنظمات. ومنذ الزيارة الأولى لوفد من حركة فتح إلى الصين عام ١٩٦٤، اعتُبِرت هذه الدولة، من قبل ياسر عرفات وجورج حبش، دولة حليفة. ولم يكتفِ ماو تسي تونغ بالدعم العسكري وبإرسال المدرِّبين الصينيين إلى بعض البلدان العربية لأجل تدريب فتح (أو استقبال عناصر لفتح لتدريبهم في الصين)، بل سعى لإظهار التقارب بين الصينيين والعرب، والتأكيد على وحدة قضيتهم، حين قال في أحد تصريحاته عام ١٩٦٥ لفتحاويين: "الامبريالية خائفة من الصينيين ومن العرب... إسرائيل وفورموزا هي قواعد للإمبريالية في آسيا... أنتم بوابة هذه القارة العظمى ونحن بابها الخلفي... لقد خلقوا إسرائيل بوجهكم وخلقوا فورموزا بوجهنا... قضيّتنا هي ذاتها"[٥٩]. كانت لهذا التوجّه الماوي في فتح أسبابه، منها العملية والعسكرية ومنها السياسية. ولعلّ الخلاف السوفياتي-الصيني وطرد فتح من الأردن (عام ١٩٧٠) كانت من محفّزات هذا التوجّه. وإذا كان بالإمكان إيجاز أهم الأسباب السياسية والفكرية التي جعلت الماوية (وكل الأشكال الثورية العالمثالثية المشابهة كهو شي منه في فيتنام، وتشي غيفارا في كوبا وغيرها) نوعًا من إيديولوجيا سائدة عند الثوريين اليساريين في لبنان، فيمكن إيراد التالي:

١. العالم الثالث المنهوب: كان لسلطان غالييف تأثير كبير على أفكار ماو وغيره من الثوريين العالمثالثيين، خاصة في اعتبار الامبريالية الرأسمالية الغربية والشيوعية الكولونيالية السوفياتية شريكين في نهب ثروات دول العالم الثالث المسلمة (وغير المسلمة)، وفي النظر إلى الشيوعية السوفياتية على أنها متركّزة ومتمحورة أوروبيًا (Européo-centriste)[٦٠]، ولا تستطيع التعاطي مع خصوصية آسيوية مطلوبة. فبعد الرحلات الاستطلاعية التي قام بها غالييف بطلب من ستالين إلى أماكن تواجد المسلمين في الجوار الروسي، عاد الأول بقناعة أن البروليتاريا

---

[59] Manfred Sing, op. cit., p. 11-12

[60] Bennigsen & Lemercier-Quelquejay, op. cit., p. 141

الأوروبية، والروسية من ضمنها، ما تزال تمارس السياسة القمعية والاستغلالية القديمة للبورجوازية ضد المسلمين[٦١]. وكان رأيه هذا واضحًا، في رسالته التي أرسلها إلى رفاقه التتار المسلمين، والتي اعترضتها أجهزة الأمن السوفياتية وفيها يقول: "أستطيع أن أؤكد لكم أن سياسة الحكومة المركزية السوفياتية تشبه سياسة الروسيين الكبار الامبريالية. الوعود التي أُعطِيَت عام ١٩١٧، لم يتم الوفاء بها"[٦٢]. تأثر ماو بهذه الأفكار وطوّرها، وتأثر به بدورهم الثوريون العالمثالثيون من ضمنهم مجموعات فتح في لبنان، أو اليسار الذي كان يتحرك في فلكها أو بدعم منها. فأحد أهم منظّري سَريّة فتح الطلابية / كتيبة الجرمق – لا بل أهمهم – منير شفيق (والذي قاد فيما بعد التنظير للتحول إلى الإسلام)، وفي كتابه "الإسلام في معركة الحضارة"، دعا إلى التخلي عن الماركسية بحسب النمط السوفياتي واتّهم الماركسيين "بالطمع العالمي"[٦٣]. وكان هؤلاء ينظرون إلى روسيا الشيوعية أنها "تقوم بالسعي إلى التعاون مع الرأسمالية الأوروبية لوضع المشروع العسكري لأمن أوروبا ضد الخطر الشيوعي الصيني، أي أن قضية الأمن والمنفعة الإقليمية أبدى من المصالح الأيديولوجية والمنافع الطبقية"[٦٤]. بل يذهب بعضهم إلى التساؤل: "أليست إسرائيل هي الإبنة غير الشرعية للزنا الذي حدث بين الرأسمالية والشيوعية في الحرب الثانية؟"[٦٥]. ولعله من أوضح المقولات في هذا المجال، ما قاله علي شريعتي في إحدى محاضراته: *"إنّ ما لم يعلمه ماركس عندما كان يظن أن "فائض القيمة" هو الذي جعل الرأسمالية أكثر غنى وحرم العامل من خيرها، وأن فائض القيمة هذا هو وليد العمل المتشعب والتخصص وتقسيم العمل والآلة، إن هذه الأمور لم تكن هي التي أدت إلى ظهور الرأسمالية، بل الذي أدى إلى ظهورها هو نهب كل مصادر الثروة والوجود عند الأصفر والأسود والمسلم والهندي، هو الذي كان يجعل هذه الدودة السوداء أكثر شرهًا للدماء وأكثر سمنة، كان ماركس وإنجلز قد ظنا أن هذه الثروة التي تكدست في أوروبا نتيجة لكدح البروليتاريا الأوروبية وأجهزة الإنتاج الغربية. كان نهبًا ليس إنتاجًا، كان استعمار آسيا وافريقيا لا استغلال العامل الأوروبي، كان نفط آسيا وأميركا اللاتينية ومطاط الهند الصينية وماس تانزانيا، كان بن البرازيل وتيل مصر وكنانها وقطنها، كان المنابع المجانية للنحاس والرصاص والحديد"* [٦٦]. هذه النظرة إلى الغرب وروسيا السوفياتية، كانت هي السائدة عند أكثر اليسار في دول العالم الثالث في تلك

[61] Ibid, p. 106

[62] Ibid, p. 207-208

[63] Manfred Sing, op. cit., p. 31

[٦٤] علي شريعتي، مرجع سابق، ص. ٩٢

[٦٥] المرجع ذاته، ص. ١٦١

[٦٦] علي شريعتي، مرجع سابق، ص. ١٦٣

الحقبة من التاريخ، الذي ينظر إلى الصين الماوية على أنها تعبّر عن هذه النظرة، وتمتلك أدوات المساعدة (العسكرية والقتالية...).

٢. خط الجماهير وحرب التحرير الشعبية: هذان المفهومان هما من مرتكزات الفكرة الماوية. إن فكرة "حرب التحرير الشعبية" تتقاطع مع انعدام ثقة اليسار الثوري في المنطقة العربية بقدرة الجيوش الوطنية على التحرير، وتوجّه هذا اليسار نحو الإيمان بأن "الكفاح المسلح" (وهو تعبير أُدخل عام ١٩٦٨ إلى أدبيات حركة فتح بتأثير الفكر الماوي)[٦٧] هو الطريق الوحيدة نحو التحرّر والتحرير. حتّى أن هذا المفهوم، وفي نهايات فترة التحوّل من اليسار إلى الإسلام، خاصة داخل سَريّة فتح الطلابية / كتيبة الجرمق، حافظ على أهميّته ولو أنّه صيغ من جديد بتعابير إسلامية على يد منير شفيق[٦٨]. وتركيبة الجيوش المبنية على فكرة حرب التحرير الشعبية (والتي سُمّيَت جيوش التحرير الشعبية) وتقنيات حروبها، تركت أثرًا كبيرًا على التقنيات العسكرية وحروب الغوار (Guerilla Warfare) التي اعتمدتها المنظمات الثورية في العالم الثالث، وخاصة في منطقتنا، ونقلتها من بعدها إلى الحركات الإسلامية التي نشأت في حِماها وتدرّبت في مخيماتها.

أما "خط الجماهير" فهو لبّ الافتراق التنظيري مع الشيوعية السوفياتية. فبدل أن تكون هناك "طليعة حزبية" تتبنّى المنظومة الإيديولوجية الماركسية بجمودها التنظيري وعدم طواعيتها للتبدل وفق الظروف المختلفة للمجتمعات، وتأتي لتفرضها على المجتمعات بحجة رجعيّة الطبقات المسحوقة غير القادرة على معرفة مصالحها، يقول ماو بأهمية الانغماس بين الجماهير وفهم حالاتهم والسماع لهم، لمعرفة توجههم وماذا يريدون، أي لمعرفة خط الجماهير. يخبرني أحد الذين تأثروا بفكر "ماو" في فرنسا، وعاد إلى لبنان لينشط سياسيًا بناءً على ما أصبح مقتنعًا به، أن فكرة خطّ الجماهير كانت محور الحركة عنده وعند المجموعة التي تحرّك وإياها.

فقد استأجر "نبيل طرابلسي" (وهو الاسم الحركي للدكتور "توفيق الهندي" يومها، حين كان يساريًا ماويًا عائدًا لتوّه من فرنسا) ورفاقه شقّة في الضاحية الجنوبية لبيروت، وبدأوا العمل اليومي في صفوف "الجماهير" (المسحوقة و"المحرومة")، ونشطوا انطلاقًا من هناك، في كل الجنوب اللبناني حيث كانوا يزورون القرى، ويبيتون فيها عدة أيام بهدف فهم أحوال الجماهير والتواصل معهم والبقاء على تماس فكري ونفسي وشعوري معهم[٦٩]. إنه بناءً على خطّ الجماهير، يُبنى النضال. ونستطيع أن نفهم هنا أهمية هذه النقطة بالنسبة للثوريين العالمثالثيين الذين ينشطون في بيئات إسلامية والذين كانت الماركسية

[67] Manfred Sing, op. cit., p. 13

[68] Ibid, p. 31

[٦٩] من حواري مع توفيق الهندي، مقابلة غير منشورة، جونيه، بتاريخ ١٤ تشرين الثاني ٢٠١٦

وصورتها اللا-دينية (والأنتي-دينية في بعض الأحيان) عائقًا أمام حراكهم في هذه البيئات. فعندما يجدون فكرًا ثوريًا يقول لهم أنهم على صواب إن أصغوا إلى الجماهير، وأن الوعي القومي أو الديني لدى جماهير معيّنة لا يمنع العمل معها، لا بل يجب التواصل معها وفق هذا الوعي الكامن والحاضر فيها، فتكون الحركة حينها أسهل وتكون صفوف الثورة أكبر عددًا لأن الجماهير لا تجد بيئة غريبة عنها أو معادية لوعيها.

قدّمت الماوية أدوات فكرية و"قتالية" استفاد منها اليساريون الثوريون في العالم الثالث، خاصة في البلدان العربية ولبنان بالتحديد. وكان مفهوم "خط الجماهير" المعبر الأهم للوصل بين اليساريين و"الجماهير المسلمة"، عمليًا وفكريًا وعلى الصعيد النفسي بالنسبة لليسار (المسلم على الهوية) الذي كان قد تنشّأ على تناقض داخلي فيه، بين توجّهه اللا-ديني (أو الأنتي-ديني في بعض الأحيان) وبين وعيه ووجدان محيطه الإسلاميَيْن. هذا المعبر الذي شكّلت حركة فتح بيئته الحاضنة في لبنان، سيشهد فيما بعد حالتَي الجمع والتحوّل بين اليسار والإسلام.

ولكن قبل الكلام على التحوّل من اليسار إلى الإسلام، فقد كانت هناك مرحلة قصيرة حصل فيها الجمع بين الإثنين، وهي مرحلة اليسار الإسلامي، التي وإن كان بعضها مستمرًا (وبالتالي يجب ألا نحدها بالزمن)، إلا أن فترة تأثيرها الفعلي كانت محدودة. إن هذا اليسار الإسلامي، المتسلّح بنوع من "لاهوت تحرير" إسلامي (استدعاءً للاهوت التحرير في أميركا اللاتينية الذي جمع بين الفكر الماركسي والإيمان الديني المسيحي بوجهَيْه الكاثوليكي والبروتستانتي)، وُلد بنتيجة الرابطة المصطفاة بين الدين الإسلامي والمُتَخيَّل الاجتماعي الذي يرسمه اليسار بشكل عام. وأتت الأزمة التي رافقت سقوط الخلافة العثمانية (وانتهاء الدولة التي "مثّلت بالنسبة لوعي المسلمين دولة الله على الأرض") والتقاء الإسلام بالحداثة، مضافة إلى أخطاء الشيوعية الروسية في التعاطي مع الإسلام، و"خطايا" روسيا السوفياتية بالنسبة للتعاطي مع القضية الفلسطينية وعلاقاتها مع إسرائيل (بدءًا من كونها من أولى الدول التي وافقت على إنشاء الدولة الإسرائيلية وصولًا إلى طرحها حلولًا مبنية على مبادئ تسووية كانت ترفضها الحركات الثورية الراديكالية عند اليسارين اللبناني والفلسطيني)، والخسارات و"النكسات" المتتالية للجيوش العربية أمام الجيش الإسرائيلي، وضياع بوصلة فلسطين ودخول العرب في صدامات مع بعضهم البعض (وبعضهم في صدامات مع الفلسطينيين)، وفشل الطروحات الوحدوية والقومية العروبية لليسار العربي، ودخول الماوية بحربها الشعبية وخطّ جماهيرها وثورتها الثقافية على خط التفكير الثوري العربي، هذه العوامل كلها أدت إلى تسريع مخاض ولادة هذا اليسار الإسلامي بشكله المنظّر له ("لاهوت التحرير" الإسلامي) والملموس (الحركات والمنظمات اليسارية-الإسلامية).

الفصل الثاني

من اليسار الإسلامي إلى الإسلام

القسم الأول: اليسار الإسلامي لاهوتًا وتجسّدًا

مثلما كان لاهوت التحرير في أميركا اللاتينية، ثمرة للرابطة المصطفاة التي نشأت بين المسيحية واليوتوبيا الاشتراكية (أو المتخيّل الاجتماعي لليسار)، وكان له مفكّروه و"لاهوتيّوه" (غوتييريز، بوف، أسّمان، بيتّو، سوبرينو...)، كذلك فإن لاهوتًا للتحرير، إسلاميًا، نشأ بتلاقي الإسلام والمتخيّل الاجتماعي لليسار بشكل عام (الماوي تحديدًا)، وكان له مفكّرون عديدون. ونشأ عن هذا التلاقي النظري بين اليسار والإسلام تنظيم أساسي (هناك تنظيمات غيره ولكنه غير ذات أهمية ولم يكن لها وجود فعلي خارج أطر جغرافية وزمنية معينة)، هو "منظمة مجاهدي خلق" الإيرانية التي تأسست عام ١٩٦٥ في إيران ولو أن إرهاصاتها الأولى بدأت عام ١٩٦٣. والتلاقيان، النظري والعملي، هما مدار البحث تاليًا.

الفقرة الأولى: "لاهوت التحرير" الإسلامي

لعل أكثر المفكرين اليساريين الإسلاميين تأثيرًا في تلك الفترة، كان "علي شريعتي" (وكتابه العودة إلى الذات)، و"حسن حنفي" (وكتابه عن اليمين واليسار في الفكر الديني)، وفيما بعد آخرون (لم يكن لهم الدور الأساسي في تلك المرحلة) كـ"نصر حامد أبو زيد" (ونقده للخطاب الديني)، مع عدم إغفال تأثير أفكار "سلطان غالييف"، ولو أنه لا يمكن عدّه من ضمن الذين نظّروا لليسار الإسلامي بالمعنى اللاهوتي التحريري الذي ظهر فيما بعد. كما كان هناك تأثُّر ببعض المفكرين الذين لا يمكننا أن نعدّهم ماركسيين عقائديين، ولكنهم معادون للغرب وللهجمة الغربية على العالم الثالث وخاصة العالم الإسلامي، ولعل أهمهم الإيراني "جلال آل أحمد" (وكتابه الابتلاء بالتغرّب).

إننا ومن خلال تتبّع كتابات هؤلاء، وغيرهم ممن كتب في هذا المجال، نستطيع رسم صورة واضحة عن أهم المفاهيم التي تم التنظير لها والتي شكلت القالب الفكري لليسار الإسلامي الذي نشأ عنها. وهذه هي أهم العناوين التي تُستخلص من هذه الكتابات (مع التنبيه أنها ليست كلها ضمن نطاق لاهوتي-تحريري، ولكن بعضها مكمّل له):

١. <u>الابتلاء بالتغرّب</u>: مصطلح "الابتلاء بالتغرّب" هو المصطلح الذي اختاره الدكتور "ابراهيم الدسوقي شتا" في ترجمته لكتاب "جلال آل أحمد" المُعنْوَن "غرب زادكه"[٧٠]، والذي كان بالأصل بحثًا قدمه آل أحمد للجنة التربوية (مجلس هدف التعليم) التي كانت تبحث مسألة التربية والتعليم في إيران (في عهد الشاه، وقبل الثورة الاسلامية بحوالي ١٥ سنة). ويقول "آل أحمد" أنه أخذ هذا التعبير عن أستاذه "أحمد فرديد"، وهو أحد أشهر الفلاسفة في إيران، ومعروف عنه أنه فيلسوف شفهي، أثّرت أفكاره كثيرًا في تحضير الأرضية الفكرية للثورة الإسلامية فيما بعد،

---

[٧٠] جلال آل أحمد، *"غرب زادكي" (الابتلاء بالتغرب)*، ابراهيم الدسوقي شتا (ترجمة)، المجلس الأعلى للثقافة، طهران، الطبعة الثانية ١٩٦٤ –المشروع القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثانية المترجمة ١٩٩٩، ١٤٤ صفحة.

عبر تلاميذه[71]. والمقصود بالابتلاء بالتغرّب هو أن المجتمعات العالمثالثية التي تخلّصت من الاستعمار بشكله العسكري، ما تزال مستعمَرة حضاريًا وثقافيًا، عبر أنماط عيش ومظهر واستهلاك وتفكير غربية. ويقصد بِـ"الغرب" كل أوروبا وروسيا السوفياتية وأميركا الشمالية (أي كل الدول الصناعية)[72]. وهذا الغرب الذي "جنّد" مدارسه الاستشراقية وعلماء الاجتماع والمؤرخين والكتاب والفنانين لديه، ليفرض على العالم الثالث ثقافته وحضارته، وليفرض عليه فهمه هو له - بحسب السمة العامة المشتركة لنقد الاستشراق - كأني بالغرب يقول: "إن على كل من يريد أن يصير متحضرًا عليه أن يستهلك الحضارة التي نصنعها، وإذا أراد أن يرفضها فليظل وحشيًا وبدائيًا"[73]. وكانت ظاهرة قمع رجال الدين في المنطقة - يتكلم بخاصة عن إيران - حيث أُبعِدت المدارس الدينية وقطع نفوذها عن أجهزة العدل والإحصاء، بينما لم تقم الهيئة الدينية في مواجهة كل هذه الضغوط بعمل ما كرد فعل فحسب، بل ظلت في أسوار علوم المقدمات ومقارنات الصلاة[74]. ولكن "آل أحمد"، وفي مقابل هذا الموقف الداعي إلى استنهاض المنظومة الدينية، يرفض الحركات المغالية في الدين ويتناول بسخرية آراء "المؤرخين ذوي اللحى والشوارب" التي لم توصِل إلى شيء قطّ[75].

٢. العودة إلى الذات: وهو شعار طرحه مفكرون عالمثالثيون "تقدميون يساريون علمانيون" من أمثال "إيميه سيزار" وفي أفريقيا مثل "فرانز فانون" و"جوليوس نيريري" و"جومو كينياتا" و"سنغور" في السنغال و"كاتب ياسين" الجزائري[76]. وهو كان عنوان كتاب لِـ"علي شريعتي"، وترجمه أيضًا "ابراهيم الدسوقي شتا". ينطلق "شريعتي" من خوفه من حالة "إخلاء الذات" التي يمر بها مجتمعه (المجتمع الإيراني أيام الشاه)، ويستدعي "هايدجر" ليشرح ماذا يعني بالعودة إلى الذات، ماذا يعني بإخلاء الذات أو تفريغها؟ يقول هايدجر: إن لكل إنسان وجودين، أحدهما ال "أنا" كوجود حيّ في المجتمع، ... أما الوجود الآخر فهو الوجود الأصلي أو الحقيقي، والوجودية قائمة على أساس هذا الوجود، أي مبدئيتها هذا الوجود، وذلك لأن الوجود البدائي الذي يوجد عند الجميع، ويصنعه الوالدان بالتعاون معًا هو الوجود الأول، أما الوجود الثاني فهو لا يوجد عند بعضهم أصلًا، وهو على درجات في من يوجد عندهم، هذا الوجود الثاني وجود تصنعه الثقافة

---

[71] المرجع ذاته، ص. ١٢

[72] المرجع ذاته، ص. ١٥

[73] علي شريعتي، مرجع سابق، ص.٣٦-٣٧

[74] جلال آل أحمد، مرجع سابق، ص. ٥٤

[75] المرجع ذاته، ص. ٧٢

[76] علي شريعتي، مرجع سابق، ص. ٣٥

وتخلقه عبر التاريخ، وهذا هو الوجود الحقيقي والواقعي والإنساني عند الانسان[٧٧]. ورغم أن هناك منطقًا مشتركًا بين مفكري العالم الثالث، ونقطة التقاء أساسية يتّفقون عليها وهي ضرورة العودة إلى الذات، ولكن السؤال الأساسي الذي على كل مفكر ثوري أن يطرحه في مجتمعه، هو "العودة إلى أيّ ذات؟". وهنا يقول شريعتي بحسم: *"إنني حين أقول الماضي فلست أقصد الماضي الذي قبر، بل أقصد الماضي الذي لا يزال يوجد، الماضي الذي هو "كلاسية" حية والذي هو محسوس الآن نحيا به. هذا الماضي نفسه الذي يصنع شخصيتنا الثقافية والذي ننطلق منه[٧٨]... إذا عدت إلى ذاتي القومية فإنني سوف أسقط فريسة للعرقية والفاشية والجاهلية والقومية وهذه عودة رجعية. لا نريد أن نعود إلى العرق. لا نريد أن نعود إلى القلاع المحلية الكلاسية، ولا نريد أو نسوق الانسان إلى عبادة الدم والتراب[٧٩]... لقد جاء "مقص" الحضارة الإسلامية ووضع حدًا بين ذاتنا قبل الإسلام وذاتنا بعده[٨٠]"*. العودة إذًا عند شريعتي، بالنسبة لدول العالم الثالث المسلمة، هي إلى ذات إسلامية (شيعية في إيران) ولكن إلى أي إسلام (وأي تشيّع)؟

٣. الإسلام كإيديولوجيا قادرة على بعث الوعي: على هدي لاهوتيي التحرير المسيحيين في أميركا اللاتينية ومحاججتهم في مواجهة الكنيسة الرسمية وتصرفاتها التي تؤدي إلى أن "يُصلب المسيح من جديد"، يقول "شريعتي" بأن "الحسين يستشهد من جديد" - هو يتكلم من منطلق ذات إسلامية شيعية في إيران. هو يريد العودة إلى *"إلى الثقافة الإسلامية والأيديولوجية الإسلامية وإلى الإسلام لا كتقليد أو وراثة أو نظام عقيدة موجود بالفعل في المجتمع، بل إلى الإسلام كإيديولوجية وإيمان بعث الوعي وأحدث المعجزة في هذه المجتمعات، ليس الأمر في الحقيقة استنادًا على دين موروث أو إحساس روحاني جاف"*[٨١]. أما بالنسبة لِـ"حسن حنفي"، فإن الفكر الديني هو نتاج إنساني مثل الأيديولوجيات التي تنبع من واقع اجتماعي ثم تعود لتؤثر فيه من جديد[٨٢]. إن اليسار الاسلامي، بحسب افتتاحية حسن حنفي في مجلة "اليسار الإسلامي" (العدد الأول، ١٩٨١) *"ليس حزبًا سياسيًا، ولا يمثل معارضة حزبية، ولا يتوجَّه ضد أحد، لأنه يرى السياسة في ثقافة الأمة ونهضتها. فالمعارك أساسًا في الثقافة وداخل وعيها (أي الأمة) الحضاري. ولا يهدف اليسار الإسلامي إلى استنفار أحد أو الاستعداء على أحد، بل يرمي إلى يقظة الأمة، واستئناف نهضتها*

---

[٧٧] علي شريعتي، مرجع سابق، ص. ٣٩-٤٠

[٧٨] المرجع ذاته، ص. ٤٤

[٧٩] المرجع ذاته، ص. ٤٩

[٨٠] المرجع ذاته، ص. ٥٠

[٨١] علي شريعتي، مرجع سابق، ص. ٣٦

[٨٢] حسن حنفي، *"اليمين واليسار في الفكر الديني"*، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦، ص. ٦

الحديثة، وطرح البدائل أمام الناس، والاحتكام إلى جماهير الأمة، وتجاوُز الحلول الجزئية والنظرات الفردية إلى تصور كلِّي وشامل لوضع الأمة في التاريخ"[٨٣].

٤. الإصلاح في الإسلام: يبني "علي شريعتي" على ما قاله الشيخ محمد عبدو - وهو يعتبره من المصلحين الكبار في العالم الإسلامي - : "لقد تخلصت أوروبا من الدين وتقدمت، فتخلصنا نحن منه وتأخرنا". ولكن أي دين؟ ينبغي بالنسبة لِـ"شريعتي"، "*أن يُطرح الإسلام بعيدًا عن صورته المكررة وتقاليده اللاواعية العفوية وهي أكبر عوامل الانحطاط... أن يطرح في صورة إسلام باعث للوعي تقدمي ومعترض، وكأيديولوجية باعثة للوعي وقائمة بالتنوير*"[٨٤]. فالإسلام الذي يريد العودة إليه ليس إسلام التقاليد والمظاهر المشهدية[٨٥]. إن الإسلام بالنسبة لِـ"شريعتي" هو مادة معنوية مولّدة للقوة، تستطيع ملء الفجوة التي أصابت ذات العالم الثالث المسلم، وإيجاد الرابط الثقافي المباشر معها[٨٦]. ويريد شريعتي نمطًا من الإسلام، ومن التشيّع بالتحديد، بعيدًا عن إسلام السلاطين والامبراطوريات (الإمبراطورية الصفوية تحديدًا، وهي أول امبراطورية شيعية في التاريخ، تأسست عام ١٥٠١) وقريبًا من التشيّع الذي يرتبط فعلًا - لا قولًا فقط - بما قاله وتركه "علي بن أبي طالب" من آثار، ومن هنا كتاب آخر له بعنوان "التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي"[٨٧].

٥. محمد الرسول الثائر: على خطى لاهوتيي التحرير المسيحيين في أميركا اللاتينية، الذين اعتبروا أن المسيح هو المحرر والثائر - مثلًا كتاب "ليوناردو بوف" بعنوان "يسوع المسيح المحرِّر" – Jesus Christ, le libérateur[٨٨] - يُضفي اليساريون الإسلاميون صفة الثوار على رسول الإسلام ورفاقه. هم الثوار الذين تركوا مجتمع مكة "الجاهلي" - باستعادة أيضًا لتعبير سيّد قطب

---

[٨٣]افتتاحية مجلة "اليسار الإسلامي"، العدد الأول، ١٩٨١. المصدر: *" اليسار الاسلامى:مذاهبه ومفاهيمه والمواقف المتعددة منه"* ، الموقع الرسمي للدكتور صبري محمد خليل خيري. تم الدخول إليه بتاريخ ١٦ آب ٢٠١٦، https://drsabrikhalil.wordpress.com/2011/07/05/%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%B3%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%89%D9%85%D8%B0%D8%A7%D9%87%D8%A8%D9%87-%D9%88%D9%85%D9%81%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85%D9%87-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85

[٨٤]علي شريعتي، مرجع سابق، ص. ٥٢

[٨٥]المرجع ذاته، ص. ٥٧-٥٨

[٨٦]المرجع ذاته، ص. ١٨٩

[٨٧]علي شريعتي، *"التشيع العلوي والتشيع الصفوي"* ، حيدر مجيد (ترجمة)، قدّم له الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا، دار الأمير للثقافة والفنون، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧ (بعد تدمير مركز الدار في حرب تموز ٢٠٠٦)، ٣٣٦ صفحة.

[88] Leonardo Boff, *"Jésus-Christ, le libérateur"*, Cerf, 1983, 269 pp.

في كتابه "في ظلال القرآن" عند شرحه لسورة الأنعام - وانتقلوا إلى المدينة تحضيرًا لثورتهم[٨٩].

إن رسول الإسلام، على غرار موسى الذي "*صنع مثل هذا التاريخ من بضعة من الأسارى الأذلاء الذين تعودوا على الرق والذلة وحب المال والجري وراء المصالح الفردية والاحتيال الحقير*"، بما قام به - أي محمد - من عمل ثوري معادي للقوى "الامبريالية" في أيامه، "*جعل من عدد من البدو المتفرقين في صحراء الجهل والفقر ومذابح الحقد البدائية إلى محطمين لأعتى القوى الاستعمارية في شرق العالم وغربه، وواهبي النضج لكل حضارات الانسان وثقافاته*"[٩٠].

فها هو الرسول يدعو للقتال في سبيل "المستضعفين" - وهو التعبير الإسلامي للكادحين أو المسحوقين على ما يقول الماركسيون - : "وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا" (الآية ٧٥، سورة النساء). والإسلام، بحسب "عمر الاميري"، "*مشروع الحرية والتمرد ورفض الظلم وعدم الخضوع او الانكسار امام صنمية البشر والحجر...هذا مشروع تمرد وثورة في حد ذاته*"[٩١].

٦. أبو ذر الغفاري أول مسلم اشتراكي: ينتقد "علي شريعتي" في إحدى محاضراته، النمط "المتغرّب" من المثقفين - يساريين وغيرهم - الذين يتهمون غيرهم بالرجعية، عندما يتكلم هذا الغير عن شخصيات اشتراكية في الإسلام الأول زمن الرسول، مثل شخصية "أبو ذر الغفاري". ويقول بأن التكلم عن شخصية مثل "أبو ذر" لو حصل "*اليوم في أوروبا لاعتبرته القوى التقدمية فيها كشخصية ثورية وتقدمية عظيمة*"[٩٢]. كما ويُعتبر "أبو ذرّ" بالنسبة لـ"شريعتي"، "*ثوري عظيم، ومعاد للأرستقراطية ومضاد للاستبداد ومضاد للرأسمالية (الكنز) وضد الفقر وضد التفرقة، إنه أفضل من يتحدث عن التربية والهدف هو أن يعي الناس، أن يعلموا أن الدين ليس هو الذي يجرعونهم إياه، وصنعوه هم لاستحمارهم، ويعلموا أيضًا أن الحياة ليست هي ما هم عليه*"[٩٣]. إنّ شخصية "أبو ذر" لعبت دورًا مهمًا في وعي الشيعة اللبنانيين الذين كانوا في صفوف الحراك اليساري الثوري في فترة السبعينيات والثمانينيات من الحرب الأهلية، والذين انتقل قسم كبير منهم إلى الإسلام الحركي في صفوف حزب الله فيما بعد. تروي مثلًا دلال

---

[٨٩] علي شريعتي، "العودة إلى الذات"، مرجع سابق، ص. ١٩٦

[٩٠] المرجع ذاته، ص. ٦٢

[٩١] عبد الرحمن عبد الوهاب، "*فقه الثورة*"، جريدة الشعب الجديد، ٢٩ حزيران ٢٠١١. تم الدخول إليه بتاريخ ١٦ آب ٢٠١٦، http://www.elshaab.org/news/2615/%D9%81%D9%82%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%88%D8%B1%D8%A9#

[٩٢] علي شريعتي، مرجع سابق، ص. ٤٥

[٩٣] المرجع ذاته، ص. ٢٨٨

البزري عن "رفيق" يساري شيعي لها - تسميه باسمه الحركي "غسان" - أنه كان يبرّر نضاله في صفوف اليسار بأنه كشيعي لبناني، يعاني من حرمان مزدوج، ويرى في قصة أبي ذر الغفاري سندًا لنضاله، "*فهو الذي ثار مطالبًا بحقوق الأكثرية الساحقة من المعدَمين، والذي كان صديق علي بن أبي طالب، وهو الذي عرّفه إلى الرسول، وهو أيضًا الذي نفاه عثمان بن عفان إلى الشام، حيث أمعن معاوية باضطهاده. أبو ذر الغفاري، المتقشف الزاهد، أول اشتراكي شيوعي في تاريخنا*"[٩٤]. وشخصية "أبي ذر" هذه، لم تؤثّر فقط في اليساريين الإسلاميين من الشيعة في لبنان فحسب، بل كان لها تأثير على السنة الثوريين في طرابلس الذين انتقلوا فيما بعد إلى الإسلام الحركي. فقد استعان خليل عكاوي "أبو عربي" الذي أراد تثقيف جماعته - المقاومة الشعبية - بالداعية الإسلامي الطرابلسي باسم ميقاتي و"لجانه الإسلامية المستقلة" ودعاتها الذين كانوا يدعون إلى إسلام "تربوي" و"ثقافي"، لعقد حلقات تثقيفية في باب التبانة. و"*راحوا في هذه الحلقات ينتقدون الأفكار الماركسية، بناء على مقولات إسلامية، ويتحدثون عن صحابة النبي محمد، كأبي ذر الغفاري وغيره من الذين يُعتبرون من دعاة نصرة الضعفاء والمظلومين ضد السلطان الجائر*"[٩٥].

٧. <u>"الدين أفيون الشعوب" فُهمت خطأً</u>: بالنسبة لليسار الإسلامي، فإن مقولة "كارل ماركس" الشهيرة: "الدين أفيون الشعوب" قد فُهمت خطأً في العالم الإسلامي. ويستنكر "حسن حنفي"، "*أن تُثار باستمرار قضية الماركسية والدين يوميًا، في جميع أجهزة الإعلام، وكأن الماركسية هي الخطر الدائم على ديننا ودنيانا*" ويعتبر أن هذه المعركة المفتعلة المثارة هي في الحقيقة أثر من آثار الاستعمار الثقافي في البلاد[٩٦]. أما بالنسبة لِـ"علي شريعتي" فقد هاجم "ماركس" الدين "*لأن الدين الذي كان موجودًا في عصره وفي كل العصور كان عاملًا قويًا من عوامل تبرير الوضع الراهن الذي كان ظالمًا دائمًا واحتكاريًا عن طريق العاطفة الدينية والإيمان الديني، والاعتقاد بالمبدأ القائل إن كل ما هو موجود وكل ما يحدث إنما هو بمشيئة الله أو الآلهة... وقد أنكر القيامة، لأن القيامة في نظر رجال الدين كانت "معادًا" يدفع الجماهير المحرومة المظلومة المنهوبة إلى تحمل الظلم والذلة وهضم الحقوق قبل... المعاد كان وسيلة تدفع الناس إلى تأجيل التنفيس عن عقدهم النفسية والقيام بالمطالبة بحقوقهم والعدالة إلى ما بعد الموت... وهاجم الإحساس الديني بعنف، لأنه على الدوام وعبر التاريخ، وفي خضم الحرب الطبقية في أوروبا، كان هذا الإحساس هو الصلة التي تقرب والتي توصل والتي تؤدي إلى المحبة والتعاطف بين طبقتين يعدان من*

---

[٩٤] دلال البزري، مرجع سابق، ص. ١٣٣-١٣٤

[٩٥] سعود المولى، مرجع سابق، ص. ٣٠٩

[٩٦] حسن حنفي، مرجع سابق، ص. ٣٢

الناحية الاقتصادية والاجتماعية قطبين متنافرين بل ومتناقضين"[٩٧]. يُلاحظ هذا الأثر أيضًا، في المراجعات التي قام بها اليساريون فيما بعد (في التسعينيات)، لأسباب فشلهم في التعاطي مع واقع شعوب المنطقة العربية. فبالنسبة لِـ"كريم مروّة"، كان الفهم الخاطئ لدور الدين، وتحميل الماركسية عن غير حق تبعات ذلك، والتعامل الخاطئ مع الظاهرة الدينية، في شكل النقد وفي شكل التبرير، وكانت العلاقة الخاطئة مع جماهير المؤمنين، كانت كلها من بين الأسباب "*التي أوقعت الحركة الثورية العربية في أزمتها الراهنة، أزمة فكرها، وأزمة برنامجها، وأزمة وضعها التنظيمي، وأزمة علاقتها بالجماهير، وأزمة تأثيرها في هذه الجماهير وفي قدرتها على تعبئتها في مجرى النضال دفاعًا عن مصالحها الآنية، ومن أجل التغيير الثوري*"[٩٨].

٨. <u>الإيمان يُوَجّه لصالح الفقراء</u>: يقول الباحث الفرنسي "ميشال سورا" - الذي قدّم قراءةً فذّة عن الحركات الإسلامية في طرابلس - أن الإسلام يجدد قوة "المستضعفين"، أي "الفقراء والكادحين والشعب" في المثال العروبي واليساري[٩٩]. كما ويشكّل الإسلام، خاصة الأصولي منه، بحسب "اوليفييه روا"، سندًا روحيًا وفكريًا لكل المهمّشين سياسيًا الذين يتّخذون موقفًا معارضًا وممانعًا من السلطة وهو "*ما يفسّر أن الأصوليات المختلفة كانت على وجه الخصوص حركات معارضة*"[١٠٠]. ويقول الدكتور سعود المولى في بحثه عن معنى السلفية الكامن في صلب كل المذاهب الفقهية الإسلامية "*إن انتقال طلبة العلم الأحناف أو الشوافع أو المالكية إلى حضن الأصولية السلفية هو في أساسه حالة سوسيولوجية سياسية من قبيل التجذر الراديكالي في المعارضة والممانعة*"[١٠١]. وفي الخطاب اليساري-الإسلامي، إن الإسلام هو إسلام "المستضعفين" بحسب كل الأوجه التي تحملها هذه الكلمة، على غرار لاهوتيي التحرير في أميركا اللاتينية الذين اعتبروا "الفقراء" محور اللاهوت وتتجسّد فيهم صورة المسيح. وبالنسبة لِـ"حسن حنفي"، إذا كان موقف اليمين الديني "*يجعل الإيمان وسيلة للمعرفة، والإيمان فعل أولي لا يسبقه فعل آخر، يقبل ولا يرفض، يُسلّم به ولا يعترض عليه، يأخذ ولا يعطي... ثم يأتي دور النظر في تبرير الإيمان وفهمه دون نقده أو تمحيصه... فالتسليم يؤدي إلى الطاعة والرضا بما يعطي للشعب من حقائق عليه قبولها*"[١٠٢]، فإن موقف اليسار الإسلامي يكون "*بإعادة تفسير دجماطيقية اليمين لصالحه خاصة في مجتمع تقليدي ما زال يفكر بعقائده، وذلك بتوجيه العقائدية*

---

[٩٧] علي شريعتي، مرجع سابق، ص. ٣٣٥-٣٣٧

[٩٨] كريم مروة، مرجع سابق، ص.٣٤

[٩٩] سعود المولى، مرجع سابق، ص. ٣٠٩

[١٠٠] أوليفييه روا، *"الإسلام والعلمانية"*، ترجمة صالح الأشمر، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٦، ص. ٩٣

[١٠١] سعود المولى، مرجع سابق، ص.٥١-٥٢

[١٠٢] حسن حنفي، مرجع سابق، ص. ٧

لصالح الفقراء والمعدمين، وتجنيد الطبقات الكادحة وتحزيبها حتى إذا ما تحولت إلى قوة سياسية ضاغطة، وطاقة ثورية مغيرة، أمكن بعد ذلك تحويلها من الدجماطيقية إلى الاستنارة، ونقلها من الإيمان إلى النظر"[١٠٣].

٩. العالم الباقي وليس الفاني: يقول "حسن حنفي" أنه في الإجابة عن سؤال: "ماذا أعرف؟" يتضح موقفان: الأول يريد جعل موضوع المعرفة هو الحادث، المتغير، الممكن، ويقصد بذلك العالم الذي نعيش فيه حتى يمكن الانتقال بعد ذلك من الحادث إلى القديم، ومن المتغير إلى الثابت، ومن الممكن إلى الواجب. فالعالم هنا محكوم عليه بالفناء من أجل إثبات موجود وراء العالم يكون هو البقاء، والحكم على العالم بالفناء حكم قاس مدمر لإحساس الناس بالعالم، وهذا هو اليمين في الفكر الديني الذي يريد الإيحاء إلى الناس بأن العالم فان لا قيمة له، وبأن القيمة كل القيمة فيما وراء هذا العالم، وبالتالي تتخلى الجماهير عن حقوقها. وفي مقابل ذلك، هناك اتجاه آخر يجعل هذا العالم باقيًا مستقرًا، ويجعل جهد الانسان فيه منتجًا ومؤثرًا. فالعالم ليس ممكنًا بلا واجب، وليس حادثًا بل قديم يخضع لقوانين طبيعية مطردة، يمكن للإنسان معرفتها والسيطرة على الطبيعة من خلالها، واستغلالها لصالحه، وتستعصي على كل محاولة للقضاء عليها أو التدخل في سيرها، و*"عليها تتحطم كل الإرادات المسيطرة، وكل القوى القاهرة، فلا صوت يعلو على صوت الطبيعة، ولا قانون يطغى على قانونها، فالعالم ليس وسيلة لشيء آخر بل هو غاية في ذاته، وهو ليس فانيًا بل باقٍ، ووجود الإنسان فيه ليس عارضًا بل جوهري. وذلك هو اليسار في الفكر الديني"* [١٠٤].

١٠. أولية الإنسان وعلاقة الذات الإلهية بنفسها: يظهر موضوع الذات الإلهية وهو حجر الزاوية في علم العقائد وأساسه الأول. وبالنسبة لِـ"حسن حنفي" يظهر اتجاهان، *"الأول، يثبت هذه الذات بأوصاف ست: الوجود، والقدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، وعدم وجودها في محل، والوحدانية... وهذا هو موقف اليمين"*. لأننا إذا انتقلنا إلى النظم السياسية التي تحقق هذا التصور لوجدنا أنها تعتمد على هذا الاثبات للذات المطلقة من أجل إثبات النظم الاجتماعية التي تتركز كلها في سلطة واحدة في القمة، تتصف بكل صفات الموجود المطلق سواء أكان ذلك في السلطة السياسية المطلقة للزعيم أو في السيطرة الاقتصادية المطلقة لرأس المال. *"وفي مقابل ذلك، هناك اتجاه آخر يجعل الانسان هو الموجود الذي لا يشك في وجوده أحد، ولا يقدر على إعدامه شيء، وهو القديم بمعنى أن الحقيقة أزلية لا يمكن الشك فيها، وهو باقٍ بمعنى أنه يستحيل عليه الفناء... يقضي هذا الاتجاه على كل تشخيص أو تسكين أو تثبيت للذات، ويعيد للإنسان أخص خصائصه*

---

[١٠٣] المرجع ذاته، ص. ٩

[١٠٤] حسن حنفي، مرجع سابق، ص. ٩-١٠

وهو الذاتية، وتتحول حياة الانسان إلى حركة ونشاط وجهد ونضال بحياة الذاتية فيه وليس بمفارقتها. وهذا هو موقف اليسار"[105]. الإنسان هو محور هذا الفكر، وكأن اللاهوت، الذي هو علم الله يتحوّل إلى علم الإنسان، خاصة الفقير والمستضعف. هذا الموقف شبيه جدًا بموقف لاهوت التحرير المسيحي في أميركا اللاتينية، والذي يركّز على الإنسان ويعتبره محور التاريخ، ويؤوّل النص المقدّس تأويلًا يهدف إلى تحقيق مصلحة هذا الإنسان الفقير، الذي عبره يمكن رؤية وجه المسيح.

١١. علاقة الذات الإلهية بالعلم: بحسب "حسن حنفي" أيضًا، فإن الذات الإلهية المتصفة بهذه الأوصاف الست الماضية التي تشير إلى علاقة الذات بنفسها لها صفات أخرى تشير إلى علاقة هذه الذات بالعلم، و"*هي الصفات السبع المشهورة التي ورثناها من القدماء: العلم، والقدرة، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام والإرادة، وهي صفات مطلقة مثل أوصاف الذات، ومشخصة بمعنى أنها تصف موجودًا حيًا ذا علم وإرادة. ومن ثم تنتزع من الانسان أهم صفاته أعني العلم والقدرة والحياة. وهذا موقف اليمين*". أما اليسار الذي يريده حنفي، فهو يحاول استرداد هذه الصفات التي هي أخص خصائص الإنسان، إلى الإنسان. "*فالإنسان هو العالم القادر الحي الذي يسمع ويبصر ويتكلم ويريد، وبالتالي يتحول الثبات إلى حركة، والتأليه إلى نشاط، والخارج إلى الداخل، والقهر إلى تحرر، فالإنسان لا يؤلّه إلا ما يعجز عن تحقيقه، ولا يعبد إلا ما لا يستطيع أن يناله... ولكن إذا تحققت غاية الانسان في الحياة، وأصبح الانسان عالمًا، قادرًا، حيًا، سميعًا، بصيرًا، متكلمًا، مريدًا فإنه يحقق صفاته بالفعل ويعود إلى عالمه بعد أن ظل مغتربًا في عالم آخر*"[106]. هذا الجدل، يذكرنا بجدل المسيّر/المخيّر بالنسبة لوجود الإنسان في هذه الحياة وعلاقته بالخالق. ولا يمكن الهروب من الملاحظة التي أبداها "نصر حامد أبو زيد" في نقده حتى لليسار الإسلامي، حيث قال بأن النقاشات التي أطلقها هذا اليسار لا يمكن فصلها عن الجدل بين المعتزلة والأشعرية في تاريخ الإسلام.

١٢. حرية الإنسان مقابل إطلاق أفعال الله: يكمل "حسن حنفي" مطالعته، ويقول بأنه إذا انتقلنا من الذات والصفات إلى الأفعال يظهر أيضًا موقفان: "*الأول يجعل أفعال الذات مطلقة وشاملة لا تحدها حدود، ولا تقف أمامها أفعال أخرى. ومن هنا تنشأ عقيدة القضاء والقدر... فالإنسان جزء من هذا العالم، يسود عليه قضاء الله وقدره، وليس له قدرة مستقلة أو إرادة خاصة، وهذا هو موقف اليمين*". أما الموقف اليساري الإسلامي الذي يريده حنفي هو الموقف الذي يثبت حرية الإنسان، واستقلال إرادته، ولا يبعث فيه الاستكانة والرضا بل يبث روح الثورة

---

[105] المرجع ذاته، ص. ١١-١٢

[106] حسن حنفي، مرجع سابق، ص. ١٣-١٤

والنضال[١٠٧]. إن المنظومات الدينية التي كانت تاريخيًا مسخّرة لخدمة البلاط والملك والسلطان وصاحب المال والسلطة – دائمًا بحسب مقاربات اليساريين - لطالما استخدمت فقه الجبر والقدر الذي يردّ عبره الإنسان، أي شيء يصيبه إلى إرادة الله، ويستكين عند كل سوء أو إساءة يتعرّض لها، وعند كل حقّ يُهضم وكل عمل لا يُقدّر. هذه الاستكانة مطلوبة، لتحقيق استمرار الهياكل السياسية الموجودة ومنع تخلخلها بفعل ثورة شعبية منتفضة على الإساءة الآتية من بشري ضدّ بشري آخر.

١٣. <u>سلطة العقل لا سلطة النص</u>: يبحث "حسن حنفي" - ويبحث غيره، ولعل أهمهم "محمد شحرور" و"نصر حامد أو زيد" - في مسألة سلطة النص المقدّس وجدلية النقل والعقل. فيعتبر بأنّ قيام الدين على وحي شفوي يتم تدوينه على مراحل، هو السبب الأساس في نشوء سلطة الكتاب وصلتها بسلطة العقل. وموقف اليمين يجعل سلطة الكتاب والنص متقدمة على سلطة العقل. أما موقف اليسار الإسلامي فهو يعتبر أن هذه النصوص قد تكون صحيحة تاريخيًا وقد تكون محرفة لأنها نصوص مكتوبة باللغة وخاضعة في فهمها لقواعد اللغة ومناهج التفسيرمما يجعل النص تابعًا للموقف الاجتماعي ولوضع المفسر وأهدافه واهتمامه وولائه. ينتقد حنفي *"إيديولوجية اليمين الرجعي الذي يجعل من الخير والشر وضعين كونيين لا حيلة للإنسان فيهما حتى يمكن تبرئة النظام الرأسمالي من الشرور والآثام، وجعل الفقر والاستغلال وضعين طبيعيين في الكون لا غرابة فيهما، ولا تجوز الثورة عليهما... وفي مقابل ذلك، هناك اتجاه آخر يجعل الخير والشر وضعين اجتماعيين من صنع الانسان، نتيجة لفعل داخلي في العالم وليس نتيجة لفعل خاص خارجي عن العالم. وإن الإنسان هو المسؤول عن ذلك، والإنسان هو واضع النظام الاجتماعي، ومن هناك ذنب وإدانة وليس حكمًا ببراءة العالم ومسؤولية الله، بل حكم بمسؤولية الإنسان وبراءة الله. ومن ثم كان واجب الإنسان وقضيته الأساسية هي في تغيير الشر إلى خير، وفي درء الشرور واستجلاب الخير، وبالتالي تتحرك الجماهير وتتحزب، وتمارس حقها السياسي وتتحمل مسؤوليتها القومية... وهذا هو موقف اليسار"* [١٠٨].

١٤. <u>الصلة بين الإيمان والعمل</u>: إنّ الركون إلى الموقف القائل "إذا الله أراد"، أو "هذه إرادة الله"، يُخفِت من سعي الإنسان إلى مسك مساره بيده وتغيير واقعه عبر العمل الدؤوب والمستمرّ والمدفوع بإرادة تغييرية. فالتسليم الأعمى بأن كل شيء هو إرادة الله، وبأن لا قدرة للإنسان على فعل شيء أو تغيير شيء، تحوّل البشر إلى كائنات جامدة شبه-نائمة لا تبالي بالعمل وبقيمته وبقدرته على إحداث الفرق، فيفقد العمل قيمته و"تذهب المجتمعات إلى فراشها". يريد منظروا

---

[١٠٧] المرجع ذاته، ص. ١٥-١٧

[١٠٨] حسن حنفي، مرجع سابق، ص. ١٧-١٩

اليسار الإسلامي إبراز أهمية العمل، وأولويته على المنظر[١٠٩]. بالنسبة لهم، *"أن الإيمان الذي لا يتحقق في صورة أعمال لا يكون له وجود، فالعمل هو جوهر الإيمان ولا توجد أنصاف الحلول، فالإيمان بلا عمل لا وجود له... والإيمان بلا قول يجهر بالحق إيمان ذليل مهان"*[١١٠]. إنّ بقاء الإنسان هو الأولى وهو الهدف، فالإنسان هو محور التاريخ - حتى لو كان الله سيّد هذا التاريخ. إن الموت – دائمًا بحسب اليساريين الإسلاميين - *"واقعٌ بأسبابه المباشرة مثل الأمراض، وحوادث الطريق، والاغتيالات، والحروب، وبتغيير الواقع تقل أسباب الموت ويحيا الإنسان، فالواقع يمكن تغييره إلى واقع أفضل والموت يمكن الإقلال من نسبته بالقضاء على الأمراض، وتنظيم المرور، ونشر السلام الداخلي والخارجي"*. ينتقد اليساريون الاسلاموين إستغلال اليمين لشعور الناس بالشوق للأمل، والتطلع إلى عالم أفضل من أجل تخديرهم، ووعدهم بسراب، بينما يريد اليسار تحقيق هذا الأمل بالفعل، في حياة الناس، وفي هذا العالم[١١١].

١٥. استعادة الناس للسياسة: يهدف اليسار الإسلامي إلى استرجاع السياسة من يد المتسلّط المدعوم من الطبقة الدينية التقليدية، ووضعها في يد الشعب، وهنا ينتقل اليسار من البحث على الصعيد الفردي إلى البحث على الصعيد الجماعي. ففي موضوع السياسة يظهر موقفان: *"الأول موقف اليمين الذي يجعل السياسة ملحقًا لعلم أصول الدين، وليست أصلًا من أصوله كالتوحيد والعدل، فهي أقرب إلى الفقه والشريعة منها إلى أصول العقائد النظرية، مما يهبط حماس الناس السياسي لما كانت السياسة فرعًا لا أصلًا... وهو الموقف الذي يجمد الدين، ويحصره في العبادة، ويستل السياسة من الممارسة اليومية للمؤمنين، ويجعل المشكلة السياسية كلها مركزة حول شخص الإمام أو الزعيم"*. يريد اليساريون الإسلاميون، في المقابل، أن يجعلوا من السياسة أصلًا لا فرعًا، وأنها هي المحققة لأصول الدين وأن الله والشعب صنوان، فصوت الله هو صوت الشعب، وأنه لا يمكن تصور الله بدون أمة، وخلافتها له. وهذا الموقف هو الذي يجعل الفكر السياسي يدور حول بناء المؤسسات الدستورية بدل أن يدور حول عبادة الأشخاص[١١٢]. واستعادة السياسة إلى أيدي الجماعة، ترافقها أيضًا استعادة التاريخ. فالتاريخ الحقيقي ليس تاريخ السلطان والملك وأصحاب السلطة، بل هو تاريخ الشعوب - بموقف شبيه لإحدى المدارس التأريخية التي يجدر متابعتها، وهي المدرسة التي تنطلق من تاريخ شعبي، أي من تاريخ معاناة الجماعات،

---

[١٠٩] المرجع ذاته، ص. ٢٠-٢١

[١١٠] المرجع ذاته، ص. ٢٤-٢٥

[١١١] المرجع ذاته، ص. ٢٣-٢٤

[١١٢] حسن حنفي، مرجع سابق، ص. ٢٦-٢٨

لتحكي قصة بلد ما، ككتاب تاريخ أميركا لِـ"هاورد زِنّ" – Howard Zin: A People's History of the United States"[113].

١٦. تجديد الدين حسب أحوال العصر: يتساءل اليساريون الإسلاميون عن ارتياح الفقهاء التقليديين لِـ"انتهائية" دينهم واكتماله وكماله، فهل النص الذي تخطى أربعة عشر قرنًا من الزمن، صالح لكل زمن ولا يحتاج إلى إعادة قراءة (هو والسيرة والحديث) في كل عصر، تتآلف مع أحوال الزمن والمجتمعات فيه؟ إن اليمين الديني يريد الاقتصار على ما قاله القدماء والاكتفاء به، والنظم السياسية اليمينية ترى أن الوضع القائم هو أفضل الأوضاع، وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، وأن النظام قد وصل إلى حد الكمال لا تجوز عليه زيادة أو نقصان. وفي مقابل ذلك، ينتهج اليساريون الإسلاميون موقفًا آخر يجعل علم أصول الدين متطورًا. فالعقائد ليست أحكامًا صورية بل هي ذات مضمون اجتماعي من وحي العصر، *"وأصول الدين تشمل لاهوت الأرض، ولاهوت الثورة، ولاهوت التقدم، ولاهوت التنمية ولاهوت التغيير الاجتماعي، ولاهوت التحرر، ولاهوت المقاومة... الخ، وباختصار لاهوت السياسة فتلك مشاكل العصر التي تكون المادة الجديدة لعلم أصول الدين، وبالتالي تمحي التفرقة التقليدية بين العقيدة والشريعة أو بين أصول الدين وأصول الفقه"*[114].

في قراءة لهذه العناوين الستة عشر التي تكوّن لبّ ما يمكن تسميته "لاهوت التحرير الإسلامي"، يمكن أن نخرج بالاستنتاجات التالية:

- فهم اليساريون أن دين الإسلام هو المحرّك الأهم لوعي الجماعات في المنطقة المكوّنة من دول، سكانها بمجملهم مسلمون.
- نتيجةً لهذا الفهم، حاول اليساريون التقريب بين الفكر اليساري وبين دين الإسلام، من خلال "تصحيح" الفهم الخاطئ للمقولات اليسارية التي حفظها الناس عن مفكرين يساريين بارزين.
- غلب على هذا التقريب أو هذا التوليف التنظيري بين الفكرين، طابع الدعوة إلى إسلام مختلف عن الإسلام الذي عهدته المجتمعات التي عاش فيها مفكرو اليسار. وكأن اليساريين الإسلاميين يريدون جمعًا "سلسًا" بين فكرهم السابق وبين الدين الإسلامي، لا يكون ناقضًا بشكل جذري لكل ما تنشّأوا عليه سابقًا.

[113] المرجع ذاته، ص. ٢٨-٣٠

[114] المرجع ذاته، ص. ٣٠-٣١

بحسب هذه الخلاصة، نستطيع القول أن مرحلة ظهور "لاهوت التحرير الإسلامي" ومرحلة بروز تيارات ومفكري اليسار الإسلامي، هي مرحلة وسطى أو مرحلة انتقالية بين مرحلة اليسار الخالص، ومرحلة الإسلام السياسي والحركي المتسيّد.

الفقرة الثانية: تنظيم اليسار الإسلامي الوحيد: "منظمة مجاهدي خلق"

إن ما مرّ أعلاه يمثل العناوين الأهم لمفكري ما سُمي يسارًا إسلاميًا، والذي بحسب "نصر حامد أبو زيد"، يجد بعض إرهاصاته "*في كتابات "سيّد قطب" في أوائل الخمسينيات، خاصة في "معركة الإسلام والرأسمالية" و"العدالة الاجتماعية في الإسلام"، كما نجدها في "اشتراكية الإسلام" لـ"مصطفى السباعي"، أحد أقطاب الإخوان في سوريا. ولا شكّ أن هذه الإرهاصات تمثّل امتدادًا طبيعيًا للتأويل العقلاني للإسلام، الذي طرحه كل من "الأفغاني" و"محمد عبده" استجابة للتحدّي الحضاري الذي طرحه الآخر "الغربي" من جهة، واستنادًا إلى التراث العقلاني للمعتزلة وابن رشد من جهة أخرى*"[١١٥]. كان للجمع بين اليسار والإسلام ترجمة عملية وحيدة[١١٦] على أرض الواقع (سبقت حتّى كتابات "حسن حنفي") تجسّدت في "منظمة مجاهدي خلق" الإيرانية، التي جمعت بين الإسلام (الشيعي) والماركسية (الماوية الثورية بالتحديد) في توليفة "إيكزوتيكية" تستند على فكر وتنظيرات "علي شريعتي". فتعبير "مجاهدي الشعب" ("خلق" في اللغة الفارسية تعني "العشب") ظهر للمرة الأولى (بحسب ما استطعنا جمعه من معلومات) في محاضرة لعلي شريعتي[١١٧]، من مجموع محاضراته وكتاباته المجموعة في شكل كتاب ("العودة إلى الذات"). هذه المنظمة التي لديها حتى الآن - رغم أنها حركة معارضة للنظام الإيراني الحالي – ذراع عسكري اسمه "جيش التحرير الوطني الإيراني"، على نمط فكرة جيوش التحرير المستقدمة من الفكر الماوي، مازالت تستعمل صورة المنجل والسلاح المتشابكين، شعارًا لها. وهي في اختيارها جمع تعبيرَيْ "المجاهدين" و"الشعب"، تشير إلى جمعها بين اليسار والإسلام، فهي ترى في

---

[١١٥] نصر حامد أبو زيد، "*نقد الخطاب الديني*"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٧، ص. ١٢٧

[١١٦] بادية فحص (ترجمة)، "*«مجاهدو خلق»... ورحلة الدم الايراني المسفوك قمعا وثأرا (1)*"، جنوبية، ١٤ تموز ٢٠١٦. تم الدخول إلى الموقع بتاريخ ٢٠ آب ٢٠١٦،
http://janoubia.com/2016/07/14/%D9%85%D8%AC%D8%A7%D9%87%D8%AF%D9%88-%D8%AE%D9%84%D9%82-%D9%88%D8%B1%D8%AD%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3

[١١٧] علي شريعتي، مرجع سابق، ص. ٩٧

الأخير "أيديولوجية ديمقراطية ذات ديناميكية"[١١٨]، وهي كانت قد ولدت من تضافر جهود "مهدي بازركان[١١٩]" ورجل الدين الإيراني المشهور "آية الله طالقاني[١٢٠]"[١٢١]، الذي كان يجد أن الإسلام متفق مع الاشتراكية والديمقراطية[١٢٢]. إن "منظمة مجاهدي خلق" كما غيرها من المنظمات الثورية الإيرانية التي تتبنّى الفكر الماوي الثوري وتجد في التجارب التحررية في العالم الثالث مثالًا يُحتذى به، أصبحت منذ منتصف الستينيات من القرن العشرين، على خلاف مع حزب "توده" الإيراني، وهو الحزب الشيوعي الذي كان يمثل الخط السوفياتي في اليسار الإيراني. وهذه مسألة من المسائل التي أتينا عليها أعلاه، ووقعت أحداثها تقريبًا في كل العالم الثالث في التوقيت ذاته. الطابع "التقدمي" الأساسي في منظمة مجاهدي خلق هو موضوع المرأة، التي تلتقي فيه مع مجمل الفكر اليساري "التقدمي" الداعي إلى تحرير المرأة، وربّما هنا يقع الخلاف (الذي سنتكلم عنه لاحقًا) بين اليسار والفكر الإسلامي الأصولي. تلعب المرأة دورًا كبيرًا في المنظمة، فرأس المنظمة اليوم هي امرأة (مريم رجوي) وهيئة أركان "جيش التحرير الوطني الإيراني" – أو ما هو متبقٍّ منه وموجود في مخيمات في العراق – تزخر بالحضور النسائي، وهذا شيء لا مثيل له في العالم.

---

[١١٨] *"مجاهدو خلق"*، الجزيرة، قسم "الحركات والأحزاب". تم الدخول إلى الموقع بتاريخ ٢٠ آب ٢٠١٦، http://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties/2015/5/28/%D9%85%D8%AC%D8%A7%D9%87%D8%AF%D9%88-%D8%AE%D9%84%D9%82

[١١٩] كان أول رئيس حكومة في إيران بعد سقوط الشاه محمد رضا بهلوي. تولّى رئاسة الحكومة المؤقّتة من عام ١٩٧٩ حتى ١٩٨٠. كان من أنصار الثورة الإيرانيّة على الشّاه، وأحد القادة البارزين فيها.

[١٢٠] آية الله محمود الطالقاني، وهو عالم دين شيعي وسياسي إيراني، وهو أحد رموز الثورة الإسلامية الإيرانية. دعم الدكتور محمد مصدق في قرار تأميم صناعة النفط الايراني، ثم التحق بالحركة الوطنية الإيرانية، وبعد انحلالها من قبل الشاه أسس حركة المقاومة الإيرانية وشارك في تأسيس حزب حركة حرية إيران. اعتقل من قبل سافاك عدة مرات وامضي ١٥ عاماً من عمره في سجون الدولة البهلوية. بعد انتصار الثورة الإسلامية أصبح عضو مجلس خبراء الدستور واختاره الامام الخميني ليكون إمام صلاة الجمعه في طهران. توفى بعد أشهر من انتصار الثورة فنعاه الامام الخميني ووصفه بأنه كان بمثابة الصحابي أبي ذر الغفاري للثورة الاسلامية.

[121] Ervand Abrahamian, *"The Guerrilla Movement in Iran, 1963-1977"*, Middle East Research and Information Project, MER 86 - THE LEFT FORCES IN IRAN, March/April 1980. Accessed through MERIP website on August 20th, 2016, http://www.merip.org/mer/mer86/guerrilla-movement-iran-1963-1977

[١٢٢] خليل علي حيدر، *"د. شريعتي... واليسار الإسلامي"*، جريدة قريش، ٢٢ أيلول ٢٠١٥. تم الدخول إلى الموقع بتاريخ ٢٠ آب ٢٠١٦، http://www.qoraish.com/qoraish/2015/09/%D8%AF-%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%AA%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%B3%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A

القسم الثاني: من اليسار إلى الإسلام

سنبحث في هذا القسم عن مسألة التحول من اليسار إلى الإسلام، منطلقين من تقصّي أسبابها وظروفها، مرورًا بأهم مظاهرها التي تجسدت في تجربة "سرية فتح الطلابية / كتيبة الجرمق"، ووصولًا إلى تقييم هذا التحول على صعيد الجماهير وعلى صعيد القادة.

الفقرة الأولى: في التحول من اليسار إلى الإسلام

إن الجمع بين الفكر اليساري والإسلام، والذي تجسّد في ما عُرف باليسار الإسلامي، كان جسر عبور للتحوّل من اليسار إلى الإسلام في لبنان والجوار. البيئة الحاضنة لهذا التحول كانت حركة فتح، وخاصة "سَريّة فتح الطلابية / كتيبة الجرمق"، والتي كانت معبَرًا لسنّة باب التبانة (جماعة خليل عكاوي أبو عربي) كما لشيعة الجنوب والبقاع، يعبرون خلاله من توجّهاتهم اليسارية، الماوية الطابع والأداء والفكر، إلى توجّههم الإسلامي الثوري. فقد كان اليساريون الثوريون، وبالإضافة إلى تأثّرهم بثوريي العالم الثالث أمثال "تشي غيفارا" و"هو شي منه" وغيرهم، يقرأون لعلي شريعتي ولسلطان غالييف ولحسن حنفي، ويبلورون فكرهم على هدي ما كتبه هؤلاء.

كان لهذا الانتقال أسباب ومظاهر عدّة، سنفنّدها تاليًا لنصل في نهاية هذا الفصل، وعلى هدي ما ناقشناه فيه، إلى الإجابة عن سؤالين أساسيين: هل الإسلام كامن في وعي ووجدان الجماعات في منطقتنا؟ وهل كان التحول من اليسار إلى الإسلام مسألةً حقيقة إيمانية أم منفعة وبراغماتية؟

البند الأول: أسباب التحول من اليسار إلى الإسلام: نجاح ثورة وفشل ثورة

إلى جانب تراكم الظواهر والأسباب التي أدت إلى الالتقاء بين اليسار والإسلام، أي سقوط السلطنة العثمانية، وفشل الشيوعية الروسية في التعاطي مع الإسلام، وفشل الحراك الوحدوي والخيبة من سوفياتية داعمة لإسرائيل، ودخول الماوية و"خط جماهيرها" على الخط، إلى جانب كل ذلك، هناك سببان أساسيان للتحوّل الذي طرأ على وعي اليساريين الثوريين في لبنان والجوار، وأدّى إلى تحوّل معظمهم إلى الإسلام الحركي:

١. <u>فشل الثورة الثقافية الصينية ودخول الصين إلى الأمم المتحدة</u>: بعد وفاة "ماو تسي تونغ"، أدرك الماويون العرب أن الثورة الثقافية الصينية قد فشلت، وهي لم تعمِّر أكثر من ١٠ سنوات فعليًا (١٩٦٦ – ١٩٧٦)، وهم ردّوا ذلك إلى ما سمّوه "الفكرة المستوردة من الغرب بإخلاء الذات

والقطع التامّ مع الماضي"[١٢٣]. وكانت المرحلة الممتدة بين عامَيْ ١٩٧٦ و١٩٨٢، مرحلة الأزمة الإيديولوجية الفعلية للماويين العرب وابتعادهم رويدًا رويدًا عن الفكر الماوي. هذه الابتعاد التي ابتدأ بشكل ملموس مع وفاة "ماو"، كان قد بدأ قبل ذلك يستجمع بوادر وقوعه منذ أن تغيّرت السياسية الخارجية للصين بعد انضمامها إلى الأمم المتحدة عام ١٩٧١، واستكمل ذلك في تحسّن علاقاتها مع دول عربية تقف على النقيض من الثوريين اليساريين العرب، وأهمها مصر التي كانت تقيم مفاوضات "كامب دافيد" ولم تنطق الصين بكلمة انتقاد واحدة لهذه المفاوضات[١٢٤].

٢. <u>الثورة الإسلامية في إيران وحادثة المنصة في مصر</u>: إن نجاح الثورة الإسلامية في إيران بقيادة رجل دين (الخميني) في تحريك الجماهير وإسقاط حكم الشاه الذي رآه اليساريون أداةً بيد الغرب الامبريالي، غيّر كثيرًا في وعي "الجماهير" الثورية لذاتها الإسلامية. بعد سقوط الخلافة العثمانية، أُصيب وجدان الجماعات العالمثالثية المسلمة بخيبة، وكأن الإسلام، بسقوط السلطنة العثمانية، مهدّد. وأتى اللقاء السلبي بين الإسلام والحداثة وفشل الخط الإصلاحي في الوصول إلى خواتيمه، ليُبعد "الجماهير" عن السعي وراء الحلّ الديني، وانضوت جموعهم في طروحات وحدوية عروبية قومية، بدأت في الأساس كظواهر غير دينية. لم يكن أحد يعتقد بقدرة الإسلام من جديد على تحريك الشعوب وإحداث ثورة في قلب دول العالم الثالث المسلمة. أتى نجاح الثورة الإسلامية ليردّ للجماهير ثقتها بقدرة الإسلام على قيادة التغيير، واسترجاع أحلام الدولة الإسلامية التي تحكمها الشريعة واسترداد الخلافة (او الولاية على النمط الشيعي). عند هذا الحدث المفصلي، عادت الجُموع إلى ذواتها الإسلامية، سواء أكانت سنية أم شيعية. في طرابلس السنية مثلًا، تأثر "خليل عكاوي" ومجموعته بالحدث الثوري الإسلامي في إيران، وبدأ بإجراء مراجعة فكرية لكل ما كان، هو ومجموعته (المقاومة الشعبية)، يؤمنون به سابقًا، "*فشارك أبو عربي في نهاية السبعينيات ومطلع الثمانينيات من القرن الماضي في جلسات النقاش والحراك الفكري التي أفضت بجميع تلك النخبة النضالية إلى اعتناق الإسلام كفكر سياسي وأيديولوجي تغييري. وبعد جلسات نقاش فكرية ودراسة الواقع المحلي والإقليمي بشكل معمق عقب الاجتياح الإسرائيلي للبنان، خطا خليل خطوة غيرت مجرى حياته وحياة من معه. وهو جسّد اكتشافه هذا بإنشاء ما سماه "لجان المساجد والأحياء"، جاعلًا من المسجد واجتماع الناس ولقائهم وأدائهم الشعائر الدينية فيه، بؤرة نشاط "سياسي"، دعوي وتنظيمي، يمزج النضالية الشعبوية العروبية واليسارية بالنضالية الدينية الإسلامية*"[١٢٥]. والأمر ذاته، حدث مع الثوريين الشيعة في لبنان،

---

[123] Manfred Sing, op. cit., p. 23

[124] Ibid, p. 20

[١٢٥] سعود المولى، مرجع سابق، ص. ٣٠٨

ولكن بشكل أكبر وأوسع وأسبق في التوقيت (نتيجة وجود إيرانيين حركيين معارضين لنظام الشاه في لبنان، على تماس دائم مع القرى الشيعية في بعلبك والجنوب، ومع مناطق نزوح الشيعة في ضواحي بيروت). والتفاعل الذي حصل في وقتها، يَظهر بشكل جليّ في "سَريّة فتح الطلابية / كتيبة الجرمق" حيث يروي "شفيق الغبرا" في مذكراته أنّه "*مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران بدأ النقاش في ما بيننا يتفاقم بشأن دور الإسلام في السياسة. بعضنا بدأ يقرأ كل ما يصدر عن الثوريين الجدد في إيران. ولكن لم تمضِ بضعة شهور على انتصار الثورة حتى بدأنا نشعر بأن الثورة الإسلامية في إيران مقدمة لنموّ الإسلام السياسي وتراجع الحركات العربية ذات الطابع الوطني والقومي واليساري والعروبي والعلماني والليبرالي. بدأ عدد من الإخوة والأخوات في أواخر عام ١٩٧٩ في صفوف تيارنا العريض يعلنون أن اليسار والماركسية والتقدمية والعلمانية وفصل الدين عن الدولة وشعار الدولة العلمانية في فلسطين كلها لن تكون ممكنة في العالم العربي، وأنه آن الأوان للتخلي عن هذه الأفكار وإعلانها منتهية الصلاحية. وبدأت مجموعات من الشبان من امتدادات الكتيبة في بيروت ومناطق أخرى من لبنان تقول بأن الإسلام هو طريق فلسطين وهو طريق التغيير والثورة في العالم العربي. اليساريون من حولنا بدأوا باستبدال المصطلحات المتداولة بينهم. فكلمتا العمال والفلاحين استُبدلتا بكلمة المستضعفين، والاستكبار أصبحت بديل الظلم، والشيطان الأكبر عوضًا عن الامبريالية الأميركية. هكذا وجد البعض أن الانتقال ممكن من الماركسية إلى الإسلام مع إبقاء جوهر الفكرة التي تتلخص في مواجهة إسرائيل واستمرار معركة تحرير الأرض والتصدي للنفوذ الخارجي في العالم العربي*"[١٢٦]. سنفصّل المسألة أكثر، فيما خص الكتيبة الطلابية في الفقرة التالية.

تلمّس اليساريون هذا التغيير الآتي في المنطق الثوري، على هدي الدين الإسلامي. وكان هذا التلمّس بارزًا حتّى في "الفنّ اليساري"، إذا كان يمكن تصنيف الفنون بهذه الطريقة. فالفنان زياد الرحباني مثلًا - وهو المعروف بانتمائه للحزب الشيوعي وبتأثّر الشباب اليساري بأغانيه – عبّر عن هذا الجوّ في أغنيته "راجعة بإذن الله"[١٢٧]، حيث يمرّ فيها المقطع القائل "طار الملك وطار الشاه، وكلّو بعون من الله... صلّوا يا عمّي صلولو، ما كانوا طاروا لولاه... ما في رملة بهالصحرا بتُحرُك إلا بوحي من الله"، قاصدًا سقوط شاه إيران على يد الثورة الدينية، وبداية تسيّد الحراك الديني على الساحة الثورية.

[١٢٦] شفيق الغبرا، *"حياة غير آمنة – جيل الأحلام والإخفاقات"*، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص. ٣٤٤

[١٢٧] وهي من الأغاني المشهورة في مسرحية "فيلم أميركي طويل" التي عُرضت عام ١٩٨٠، أي في العام اللاحق للثورة الإسلامية في إيران.

البند الثاني: مظاهر التحول من اليسار إلى الإسلام: كتيبة فتح الطلابية نموذجًا

ميدان التأسيس والعمل الفعلي الأول للمجموعة الطلابية المعسكرة الثورية، والتي هي مجموعة داخل حركة "فتح"، كان لبنان وخاصة صروحه التربوية، الجامعية منها والثانوية. والمواجهات الأولى التي خاضها عناصر المجموعة كانت بوجه المسيحيين في أحياء بيروت، ولم يكن عدد العناصر كبيرًا، فشكلوا في البدء سَريّة، عُرفت بِـ"سَريّة فتح الطلابية" والتي ضمّت لبنانيين بقدر ما ضمّت فلسطينيين[١٢٨]، ومن عناصرها اللبنانيين مثلًا، "سعود المولى" و"أنيس النقاش" و"عماد مغنية" و"طراد حمادة". لعبت ثلاث شخصيات محورية الدور الأهم في تأسيس السَّريّة: "محمد محمد بحيص" (أبو حسن)، و"محمد باسم سلطان" (حمدي) و"سعد جرادات"[١٢٩]، وكان مسار البحث بتأسيسها قد ابتدأ مع "أبو حسن" الذي أتى من بغداد (بعد خروجه من الأردن) إلى بيروت والتقى بصديقه الذي لن يفارقه طوال خمسة عشر عامًا، "حمدي"[١٣٠]. كما لعب "منير شفيق" دور المنظّر الأهم – ربما الوحيد – للسَّرية، وهو سيكون لاحقًا المنظر الأهم للتحول صوب الإسلام الحركي.

وعلى نمط اليسار الثوري في العالم الثالث في فترة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، كان هناك ابتعاد عن المفاهيم الماركسية التقليدية التي كانت روسيا السوفياتية مسرحها، واقتراب أكثر من الماوية وثورتها الثقافية في الصين وأفكارها الأساسية كخط الجماهير وحرب التحرير الشعبية. ولكن النقد طال أيضًا الماوية، وكان ذلك قبل التحول النهائي إلى الإسلام (ولو من خلال جسر الماوية وأفكارها التي استمر بعضها بالتأثير على المنتقلين). فعلى المقلب الماركسي السوفياتي، كان المنضوون في "سرية فتح الطلابية" ينتقدون بشكل صارم المركزية الأوروبية في بنية النظرية الماركسية اللينينية "*لا سيما في التفسير الطبقي التبسيطي للتاريخ، والواقع العربي القائم أو التفسير الطبقي الساذج للظاهرة الصهيونية في فلسطين والعالم*"[١٣١]. ولم يقتصر موقفهم على نقد الموقف السوفياتي من القضية الفلسطينية فحسب وإنما أيضًا لفت انتباههم بوقت مبكر ما كانت توجهه الحركة الماوية من اتهام للاتحاد السوفياتي بالإمبريالية. وقد اقتنعوا فعلًا بهذه الحقيقة لأنه كان من المهم أن يفسر ما الذي كان وراء الموقف السوفياتي في دعم قيام الدولة الإسرائيلية وتسليحها، ولماذا تحول إلى موقف مبدئي لا يتزحزح. "*وقد بدأت موضوعة الامبريالية السوفياتية تعطي تفسيرًا لهذا الموقف... ثم تحصن هذا الفهم لطبيعة الدولة السوفياتية أكثر مع مراجعة الموقف الروسي من الجمهوريات الإسلامية ودول أوروبا الشرقية حيث بدأت تفوح رائحة*

---

[١٢٨] منير شفيق، "*شهداء ومسيرة - أبو حسن وحمدي وإخوانهما*"، مؤسسة الوفاء، نيسان ١٩٩٤، ص. ٥٦

[١٢٩] المرجع ذاته، ص. ٦

[١٣٠] المرجع ذاته، ص. ٢٨

[١٣١] منير شفيق، مرجع سابق، ص. ٢١-٢٢

بطرس الأكبر في مشروع الدولة السوفياتية نفسه، وفي معسكر حلف وارسو[١٣٢]*... لقد كانت هذه التجربة مناسبة للتعمق أكثر فأكثر في عدد من المواضيع النظرية مثل موضوعة خط الجماهير، وموضوعة الاستقلالية، والأصالة في فهم خصوصية الثورة والتغيير في كل بلد، كما صحب ذلك سقوط تام لهالة الماركسية الأوروبية ابتداءً من ماركس وإنجلز ولينين وصولًا إلى مراجعة صارمة للفلسفة المادية والمنهج الديالكتيكي والمادية التاريخية والاشتراكية العلمية"*[١٣٣]. وعند فشل الثورة الثقافية الصينية وموت "ماو تسي تونغ" وتغيّر سياسات الصين الخارجية من القضية الفلسطينية، (والذي كان قد بدأ قبل فترة خاصة بعد دخول الصين إلى الأمم المتحدة)، عاد الطلاب الثوريون في السَّريّة الطلابية لنقد الماوية، وخاصة لنقد الطرح النظري للثورة الثقافية الذي يقول باعتماد *"الموضوعة النظرية الواردة في البيان الشيوعي لماركس وإنجلز، والقائلة بضرورة القطع التام مع الماضي بكل أوجهه وليس فقط مع البورجوازية"*[١٣٤]، فاعتَبر الطلاب أن الموقف السلبي أو المعادي للإسلام (وهذا ما عبّروا عنه برفضهم للقطع التام مع الماضي)، والرافض للتقاليد والأخلاقية الموروثة رفضًا بالجملة، ومن حيث أتت، هو سمة من سمات المثقف البورجوازي المقلد للغرب[١٣٥].

ومن القطع مع الماركسية اللينينية، إلى نقد الأفكار التي أتت بها الثورة الثقافية الصينية، أتى رفض عناصر "السّرية الطلابية" لبعض سياسات "منظمة التحرير" وحركة "فتح"، إلى إعطاء سمة واضحة للسرية تفرّقها عن غيرها من المجموعات اليسارية التي كانت تتحرك في بيئة حركة "فتح". فعندما طرحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية برنامج النقاط العشر في أواخر ١٩٧٣ رأى أبو حسن وعدد من إخوانه، فيه انقلابًا على مبادئ فتح ومنطلقاتها وأهدافها وأعلنوا رفضهم له[١٣٦]، مع علمهم أن تمرير المشروع تمّ بسبب التقاء بين تيارين أساسيين في الساحة الفلسطينية والعربية والدولية: التيار الذي يراعي الموقف المصري أو الموقف العربي الرسمي عمومًا والتيار الذي يعبر عن موقف الاتحاد السوفياتي الذي أخذ يمد بنفوذه إلى الساحة الفلسطينية[١٣٧]. ويعدد منير شفيق أوجه الخلاف بين السَّرية و"فتح" قائلًا بأن *"المراجعة الدقيقة لمجموعة المواقف السياسية التي تبناها أبو حسن وسعد وحمدي وأبو محمود وإخوانهم منذ بدايات تبلور خطهم المميز، تلحظ اختلافًا شبه دائم مع الخط الرسمي المعلن والمطبق الذي تبنته قيادة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية، وذلك ابتداءً من معارضة قرارات المجلس الوطني الخاص ببرنامج النقاط العشر والتحفظ على قرارات قمة الرباط حول الممثل الشرعي والوحيد، ومرورًا بسلسلة من*

---

[١٣٢] المرجع ذاته، ص. ٤٦
[١٣٣] المرجع ذاته، ص. ٢٢
[١٣٤] المرجع ذاته، ص. ٢٢
[١٣٥] المرجع ذاته، ص. ١١
[١٣٦] منير شفيق، مرجع سابق، ص. ٨
[١٣٧] المرجع ذاته، ص. ١٣

المواقف المتعلقة بإدارة الصراع في لبنان وانتهاءً بمشروع الجهاد والموضوعات التي تبلورت خلال الثمانينات وفي مقدمتها معارضة موقف المنظمة من الجهاد الأفغاني، ومن الحرب العراقية-الإيرانية ومن سياسة العودة إلى لبنان بدلًا من التركيز على الداخل. هذا إلى جانب المعارضة لعقلية التسوية ولسياسات البحث عن مكان في المعادلة الرسمية الدولية والعربية في أية تسوية قادمة"[١٣٨]. هذه الانتقادات (العلنية والضمنية) التي وجهها قادة السَّرية إلى بعض سياسات حركة "فتح"، وضعتهم في مرمى انتقاد المجموعات الفتحاوية التي كانت تدور في فلك الخط السوفياتي وتستفيد من دعمه مالًا وسلاحًا، وهي على تنسيق واستفادة متبادلة مع المجموعات الشيوعية اللبنانية (منظمة العمل الشيوعي والحزب الشيوعي اللبناني[١٣٩]) التي كانت تشكل ظهيرًا لبنانيًا لها، مقابل السطوة التي تمنحها إياها المجموعات الفتحاوية في مشروعها في الداخل اللبناني. ولكن السَّرية الطلابية لم تخرج من حركة "فتح" رغم الخلافات، لأنها لم تكن ترى إمكانية لإنشاء إطار ثوري آخر أفعل وأقدر من "فتح" على تمثيل القضية الفلسطينية والاضطلاع بالكفاح المسلح. ولكن ورغم هذا الموقف، ورغم أداء السَّرية العسكري (فيما بعد) المميّز، كانت تجابه، ونتيجة لسياسات داخلية كيدية، بمقاطعة تسليحية وتموينية على الجبهات[١٤٠].

رغم هذه الإشكالات، استطاعت السَّرية أن تقوم بأعمال عسكرية مهمّة ويقود عناصرها مهمّات قتالية جريئة خاصة في مواجهة الإسرائيليين وجيش "لحد - سعد حداد" في جنوب لبنان. شهرة قتالها، جعلتها تضوي إليها عناصر جديدة وإضافية، ما حوّلها إلى كتيبة، اسمها "كتيبة الجرمق" نسبة لجبل "الجرمق" في فلسطين، وهي التسمية التي أطلقها عليها "معين الطاهر" وهو أحد عناصرها[١٤١]. في الجنوب، حصل التماس مع الشيعة اللبنانيين وكان التقاء شبه دائم مع رجال دين لبنانيين شيعة، أو مع عناصر إيرانية كانت إما تتدرّب في مخيمات "فتح" والكتيبة، وإما تنسّق معهم. هذه اللقاءات ساهمت في تأكيد الوجدان الإسلامي لعدد كبير من مقاتلي الكتيبة، خاصة أن رجال الدين كانوا يرون فيهم فرقة مقاتلة ذات مبادئ معينة، تختلف عن بقية الفرق والمجموعات اليسارية والفلسطينية التي عانى منها ومن أعمالها (سرقات، مداهمات، تشبيحات) أهل الجنوب. فكان لقاء مع السيّد "هاني فحص[١٤٢]"، الذي يروي عنه "شفيق الغبرا" في مذكراته أنه "*ضليع في التاريخ الإسلامي من وجهة نظر فيها الكثير من التقويم والنقد، وهو ضليع في الفقه من وجهة نظر فيها الكثير من المرونة. الإسلام في فهم السيد دين يسر ورحمة وتسامح.*

---

[١٣٨] المرجع ذاته، ص. ٢٧

[١٣٩] المرجع ذاته، ص. ٢٩

[١٤٠] شفيق الغبرا، مرجع سابق، ص. ٢٢٨

[١٤١] شفيق الغبرا، مرجع سابق، ص. ٢٢١

[١٤٢] السيد هاني فحص، رجل دين مسلم شيعي لبناني، من رجال الدين القلائل عند الشيعة الذين انخرطوا في العمل الحزبي العلني، أديب وكاتب ومؤلف وناشط في المجتمع المدني، وداعية حوار بين الأديان، ومن أبرز المنظرين في مجال مقاربة الإسلام لمواضيع الحداثة المطروحة. (عن ويكيبيديا)

هذه الجلسات أفهمتني الكثير عن مرونة الدين الإسلامي ومدى التسامح الذي يحويه والذي قلّما يكون محطّ تركيز الدعاة والقيّمين على شؤونه"[١٤٣]. كما كان لقاء مع السيد "محمد حسين فضل الله" ووالده السيد "عبد الرؤوف"، ونتج عنه أن بدأ عناصر الكتيبة (من مختلف انتماءاتهم الإسلامية) يصلون صلاة الجمعة خلف هذا الأخير[١٤٤]. كما كانت لقاءات مع "محمد صالح الحسيني[١٤٥]" و"مصطفى شمران[١٤٦]" وهما شخصيتان محوريتان في إعداد المعارضين الإيرانيين لنظام الشاه، إعدادًا عسكريًا وفكريًا في لبنان (مجمله في مخيمات "فتح") تحضيرًا للثورة الإسلامية "الآتية" (في حينه). كانت النقاشات مع شمران دائمة في شؤون الإصلاح والإسلام والدين والدولة، وحول كتابات "علي شريعتي" وأفكاره الإصلاحية الإسلامية[١٤٧]. ويروي "شفيق الغبرا" عن أحد لقاءاته مع "شمران" أن الأخير قال له: "*ارجوا ألا تتضايقوا مني فأنا أحبكم وأخشى عليكم وعلى نقاوتكم. لن تنجحوا. أنتم نقطة في بحر مليء بمشكلات جميعها أكبر منكم. لن تستطيعوا تغيير المجرى الذي سارت عليه المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية في لبنان... سيقع حدث كبير في إيران سيغيّر كل شيء". ذكر لنا أسماء أصدقائه: إبراهيم يزدي، ومهدي بازركان، وصادق قطب زاده. ثم أردف: "يجب أن تقرؤوا للإمام الخميني، فهو مؤيد لفلسطين". في مرات عديدة عرّفني د. شمران إلى إيرانيين لم يكشفوا لنا أسماءهم منهم الطباطبائي لكنهم سيكونون من صناع الثورة فيما بعد*"[١٤٨]. "الطباطبائي" هذا، بحسب "وضاح شرارة"، "*كان يقيم في بلدة "مليخ" (إقليم التفاح) منذ عام ١٩٧٥ وهو شيخ إيراني، يراقب كل ما يجري على مقربة منه باهتمام، وسعى في توثيق الروابط بين من يراهم واعدين من شبان هذا الجزء من الجنوب*"[١٤٩]، لكي ينضووا في صفوف ما يحضر له معارضو الشاه من سياسات، ليس فقط على صعيد إيران بل على صعيد المنطقة.

---

[١٤٣] شفيق الغبرا، مرجع سابق، ص. ٢٣٠

[١٤٤] المرجع ذاته، ص. ٢٣٣

[١٤٥] محمد صالح الحسيني، وهو كان المستشار السياسي للثورة الإسلامية في إيران لشؤون الشرق الأوسط. اغتيل في بيروت في آذار ١٩٨١، واتُهمت المخابرات العراقية حينها بالوقوف وراء العملية. هو من مواليد النجف وعمل في صفوف الحركة الإسلامية في العراق بين ١٩٦٤ و١٩٦٥، والتحق بحركة فتح عام ١٩٧٦ حيث أصيب في العام ذاته في معارك الشياح. كان من الأساسيين الذين أشرفوا على تدريب الإيرانيين المعارضين لحكم الشاه، في مخيمات حركة فتح في لبنان.

[١٤٦] اللواء مصطفى چمران، وهو أول وزير دفاع إيراني بعد الثورة الإسلامية، وقائد الحرس الثوري الإيراني وعضو في البرلمان الإيراني عن منطقة طهران، وكان شمران قبل قيام الثورة الإسلامية في إيران أحد أهم مساعدي السيد موسى الصدر ومن المؤسسين للتنظيم اللبناني حركة المحرومين وجناحها العسكري "أفواج المقاومة اللبنانية" التي تعرف باسم حركة أمل. وهو أول مسؤول تنظيمي مركزي لحركة امل. أشرف على تدريب العديد من عناصر حماية الخميني، وكان قسم من التدريبات يتم في مخيمات حركة فتح وبالتعاون معها.

[١٤٧] شفيق الغبرا، مرجع سابق، ص. ٢٤٤

[١٤٨] المرجع ذاته، ص. ٢٤٤-٢٤٥

[١٤٩] وضاح شرارة، *"دولة حزب الله: لبنان مجتمعًا إسلاميًا"*، دار النهار، الطبعة الرابعة مع فصل خاص بحرب تموز-آب ٢٠٠٦، ٢٠٠٨، ص. ١١٠-١١١

وبعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران، بدأ التحول الفعلي داخل صفوف كتيبة فتح الطلابية، فمنظّرها الأهم، "منير شفيق"، بدأ يتلمس حجم التغيير القادم في العالم العربي، مؤكّدًا أن هذا التغيير "سيقع على أرضية الإسلام"، وأن على جميع عناصر الكتيبة التسلح بفهم إسلامي كي لا يبقوا منعزلين عن عموم الجماهير المتدينة في المنطقة[١٥٠]. يروي "الغبرا" عن رفاقه في تلك المرحلة أن "*بدأ بعضنا في الكتيبة وفي الوسط السياسي المناصر لنا يصلّون بالتزام أكبر، وبدأ عدد آخر بإطلاق لحاهم، وبدأ جزء منهم يمتنع عن مصافحة النساء، حتى لو كان يعرفهنّ منذ عقود وهنّ بمثابة أخوات أو أمهات له*[١٥١]*... بسبب تأثير الثورة الإسلامية تغيّرت مجموعتنا وتغيّر تيارنا من بيروت إلى الجنوب. فمنير شفيق الذي كان يرمز دائمًا إلى عمقنا الفكري، وهو مسيحي المولد يساري الفكر، أعلن إسلامه، بينما حمدي وأبو حسن ومروان ساروا على الدرب الإسلامي في إطار فتح، لكنّ إسلامهم ظل يحمل عمقًا فتحاويًا هدفه إبقاء الجهد متجهًا نحو تحرير الأرض المحتلة من الاحتلال*[١٥٢]*... مع الثورة الإسلامية في إيران بدأ الانتقال نحو الإسلام يصل إلى كل مكان. وفي الجنوب بدأنا نتعرف إلى بدايات شكل جديد للمقاومة الإسلامية الجنوبية التي ستتصدى لإسرائيل، وستكون نواة لحزب الله المتأثر بموضوعات الثورة الإسلامية في إيران. فقد أخذني معين ومروان وأبو الفتح وأدهم عام ١٩٨٠ إلى تعارف ولقاء طويل مع شيخ بلدة جبشيت راغب حرب الذي سيدخل التاريخ بصفته أحد رموز المقاومة في الجنوب وأحد مؤسسي حزب الله فيما بعد، وستغتاله إسرائيل بواسطة عملاء لها أثناء احتلالها للجنوب عام ١٩٨٤* "[١٥٣].

وعن توجّهات رفاق "الغبرا" بعد هذه المرحلة، يقول: "*ستكون مفاجأة كبيرة لي أن أرى صورة مازن (أنيس النقاش) في الصحف بعد محاولته اغتيال شاهبور باختيار، آخر رئيس وزراء لشاه إيران عام ١٩٨٠. كان مازن قد ترك فتح وفكرها الوطني والعروبي وانضوى في صفوف الثورة الإيرانية وفكر الخميني وولاية الفقيه كما فعل شبان كثيرون آمنوا بفكر الثورة الإسلامية في إيران، ومنهم عماد مغنية الذي عمل في صفوف فتح في السابق. وقد سُجن مازن في باريس لمدة عشر سنوات انتهت بالإفراج عنه عام ١٩٩٠. إن أنيس حل المأزق الذي تواجهه الحركة الوطنية على طريقته، من خلال العمل مع الثورة الإيرانية والقيام بعمل إرهابي في دولة أجنبية، بينما غيره ذهب نحو الإسلام السياسي بشقّه الشيعي أو السني وفريق ثالث انسحب من الممارسة السياسية وفريق رابع سوف يذهب باتجاه أفكار وسطية وليبرالية بل وطروحات تؤمن بالديمقراطية والحريات أساسًا لحل المأزق العربي*"[١٥٤]. هذا عن الشق

---

[١٥٠] شفيق الغبرا، مرجع سابق، ص. ٣٤٥

[١٥١] المرجع ذاته، ص. ٣٤٧

[١٥٢] المرجع ذاته، ص. ٣٤٨

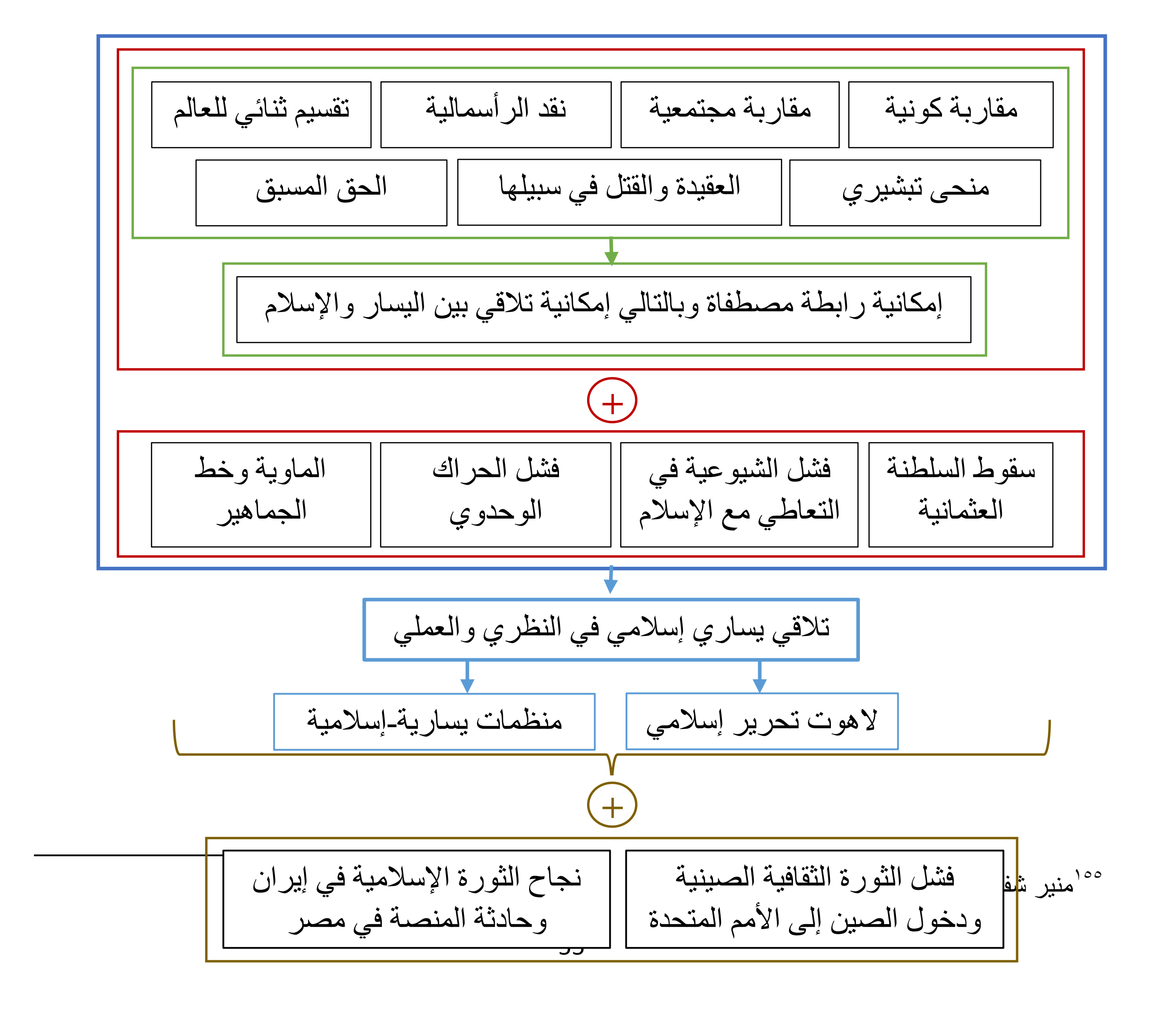
[١٥٣] شفيق الغبرا، مرجع سابق، ص. ٣٥٢

[١٥٤] المرجع ذاته، ص. ٣٥٣

الشيعي من الإسلام الذي كانت الكتيبة الطلابية لفتح على تماس معه، والذي انتقل إليه عدد كبير من عناصرها. أما سنّيًا، فقد لعبت الكتيبة دورًا في تدريب جماعة "خليل عكاوي" في طرابلس، ومثل أكثريتهم، انتقل "عكاوي" من الماوية إلى الإسلام بتأثير موجة الثورة الإسلامية.

إن انتقال عدد كبير من عناصر الكتيبة إلى حركات وأحزاب إسلامية أخرى نشأت حديثًا، مضافًا إلى تدهور أوضاع حركة فتح في لبنان وخروجها منه بعد معركة مع الجيش السوري في منطقة التبانة ومخيم البداوي في طرابلس، أدّى بالقادة المتبقين في الكتيبة إلى التركيز أكثر على الجبهة في فلسطين، التي كانت تقودها "سرايا الجهاد الإسلامي" التي لعب "أبو حسن" و"حمدي" دورًا كبيرًا في إنشائها[١٥٥]. كان ذلك إلى أن اغتالت إسرائيل في ١٢ شباط ١٩٨٨ في قبرص كل من "أبو الحسن" و"حمدي" ورفيقهم مروان كيالي.

الخريطة التالية، تلخص ما مرّ معنا في هذا الفصل بشأن إمكانية التلاقي بين اليسار والإسلام، وأسبابها وظروفها، ومن ثمّ، الانتقال من اليسار إلى الإسلام وأسباب ذلك وظروفه:



[١٥٥] منير

التحول من اليسار إلى الإسلام: نموذج كتيبة فتح الطلابية

الفقرة الثانية: في تقييم التحول من اليسار إلى الإسلام

إنّ المسار المعقد الذي أثرنا جانبًا منه أعلاه (بالتأكيد يحتاج الأمر إلى أبحاث كثيرة للإحاطة بكامل جوانبه)، والذي بدأ من الالتزام العقائدي باليسار، السوفياتي أولًا ثم الماوي، وانتقل إلى الجمع بين اليسار والإسلام، ثمّ التحول إلى إسلام مختلف عن إسلام الحركيين (الشيعة والسنة)، مضافًا إلى ما سنناقشه في هذه الفقرة، يسمحان لنا أن نزعم: أن وراء هذا التحوّل مسألتين: أ- إن الإسلام كامن في وعي ووجدان الجماعات في منطقتنا؛ ب- التحوّل من اليسار إلى الإسلام كان بالنسبة للقواعد مسألة حقيقية إيمانية، وبالنسبة للقادة مسألة منفعة وبراغماتية. وهذا ما ستتمّ محاولة إثباته تاليًا.

البند الأول: الإسلام كامن في وعي ووجدان الجماعات في منطقتنا

في لقاءي مع "توفيق الهندي"، سألته عن سبب انتقاله من اليسار الماوي والعمل اليساري على هدى "خطّ الجماهير" الذي تكلم عنه "ماو"، إلى المقلب الآخر الذي يسمّيه البعض "اليمين المسيحي". لم تكن إجابته مباشرةً، لكنّه قال بحسم: "كانت لحظة نجاح الثورة الإسلامية في إيران لحظة حاسمة. بعدَها، عاد مجمل رفاقنا إلى ذواتهم الإسلامية الكامنة، والتي كانت بالفعل – دون أن ننتبه إلى مؤشراتها السابقة – هي الذات الحقيقية للجماعات في منطقتنا. منذ ما قبل نجاح الثورة الإسلامية، كنا نرى الصراع الكامن بين اليساريين من خلفية سنية واليساريين من خلفية شيعية في صفوفنا. وكانت الأحاديث غير العلنية، التي تجري بيننا وبين أحد الفريقين، مليئة بكلام طائفي ونظرة سلبية من كل فريق تجاه الآخر".

ومما سبق وبحثناه أعلاه يتبيّن بالفعل أن الإسلام كامن في وعي ووجدان الجماعات في منطقتنا. هذا الزعم يؤكّده ما تقدّم، وتسمح به الأسباب والظواهر التالية:

١. <u>الإسلام دين ودنيا</u>: شائعةٌ هي هذه المقولة. الإسلام بنظر معتنقيه هو دين يتقرّبون به إلى الله، ولكنّه أيضًا منظّمٌ لكافة شؤون حياتهم. فالفكرة الأساس التي يتكلم بها كل مبشّر بالدين الإسلامي في بيئات غير إسلامية، هي أن هذا الدين فيه حلول لكافة مسائل الحياة، وفيه سننٌ مفصّلة

وواضحة لكل ما يعترض الإنسان وحياته العملية، من مشاكل وأسئلة. إن جغرافيا الإسلام هي "أمّة" بالنسبة للمسلمين، وأي دين متأصّل في الجوانب الروحية والحياتية العملية بالنسبة لمعتنقيه، يصعب أن يخرج من وجدانهم ووعيهم.

٢. الإسلام إيديولوجيا كامنة تقدم يوتوبيا ملموسة لمعتنقيها: في كل الإيديولوجيات التي تحرّكت في مناطق وبلدان وبين مجموعات مسلمة، كان هناك شيء من الإسلام. كان هناك، كإيديولوجيا كامنة وراء كل الإيديولوجيات الوحدوية والقومية واليسارية في المنطقة العربية. فمن الرابطة المصطفاة بين الإسلام والمتخيَّل الاجتماعي لليسار بشكل عام، إلى اليوتوبيا الملموسة التي تقدّمها المجموعات الإسلامية السياسية (إقامة دولة الحق والتحضيرات المهدوية على الأرض...)، إسلام كامن ووعد ملموس (ليس بالضرورة بموضوعية أو عن وعي) أحسّ به "المسيحي" الداعي إلى البعث والمنظر له، "ميشال عفلق"، وأحس بضرورته لتحقيق مشروعه الوحدوي العروبي، ولذلك أسلم ربما.

٣. الإسلام هو إسلام المتغلّب وإسلام المستضعفين: في تاريخ المنطقة، والبلاد المسلمة بشكل عام، الحاكم المتغلّب صاحب الشوكة، يحكم باسم الإسلام، ويتبرّر حكمه بواسطة الإسلام، فالحكم المشرعن من الفقهاء، هو لصاحب الشوكة، الذي بدونه لا يمكن إعلاء شأن المسلمين وحفظ جنبهم من "مخططات الأعداء المتربصين بالأمة". والإسلام في الوقت عينه، هو مَعين الثورة على الظلم في قلوب "المستضعفين"، وكم من ثورة في التاريخ الإسلامي، قامت باسم الإسلام.

٤. الإسلام هو إسلام الامبراطوريات الكبرى وإسلام المقاومة: من الأموين إلى العباسيين والمماليك والعثمانيين والصفوين...، الإسلام دين الدولة، و"إيديولوجيتها"، وأداة صراع بالنسبة للحكام. فالصفويون والعثمانيون مثلًا، وهم جميعهم أعراق تركية، عندما اختلفوا وتحكّم آل عثمان بالأرض التي ستُعرف لاحقًا بالسلطنة العثمانية، انتقل الصفويون إلى بلاد فارس بالمقابل. ولئن اختار العثمانيون الطريق السنّي في الإسلام، اختار الصفويون في المقابل الطريق الشيعي، ليكون علامة دينية على الخلاف مع العثمانيين وأداة للتحشيد ضدّهم، وبنوا أول امبراطورية شيعية في التاريخ بالاستناد إلى تعليم عالم دين شيعي من منطقة "الكرك" (قريبة من "زحلة") اسمه المحقق الكركي. والإسلام في الوقت عينه هو إسلام المقاومة وليس فقط في زمن مقاومة "الامبريالية الأميركية" و"الملحد السوفياتي" و"المغتصب الصهيوني" (أي "مقاومات" حزب الله وتنظيم القاعدة)، بل كان كذلك في كل زمن. فقد كانت الدعوة إلى حكم رجال الدين، وحكم الولي الفقيه في إيران، من خلال كتاب "الحكومة الإسلامية" لخميني وهو في منفاه في النجف، ردًّا لثأر ومقاومةً للشاه وحكمه، وهو الذي نفى "خميني" إلى الخارج بعد قيادة الأخير لتظاهرة في حوزة "قم" عام ١٩٦٣ اعتراضًا على إصلاحات الشاه المتمثلة بمنح المرأة الحق بالاقتراع

وبسحب أراضي الوقف الشيعي وتوزيعها على البدو في إطار تحضّرهم وإدخالهم في الأعمال الزراعية لتحقيق الكفاية الغذائية لإيران.

٥. الإسلام العابر للحدود - مسائل الفتوى والتقليد: كثرٌ هم المسلمون السنة في بلد ما، الذين يرجعون بفتاواهم إلى عالم دين مسلم من بلد آخر. وكثرٌ هم المسلمون الشيعة الذين يقلّدون عالم دين من خارج حدود أوطانهم. فمرجعية السيد "السيستاني" مثلًا، تتخطى العراق، لتصل إلى كل البلدان التي فيها شيعة. دينٌ يدفع معتنقيه إلى الالتزام بسؤال المراجع ولو كانت بعيدة في الجغرافيا عنها، هو دين كامن في الوعي والوجدان، ويحس معتنقوه أنه يستطيع الإجابة عن أسئلتهم دون التوقف عند جغرافيا معيّنة أو خصوصيات مجتمع معيّن. فمرجع التقليد ليس بحاجة لدراية أحوال مجتمع ما لإعطاء فتوى لطالب فتوى من هذا المجتمع، لأن هذه الحدود غير معترف بها لدين يعيش في الوجدان ولا يقف عند حدود جغرافية واجتماعية.

إن الثورة الإسلامية في إيران، كانت عاملًا أساسيًا في فهم كمون الإسلام في نفوس الجماهير العربية والعالمثالثية المسلمة بالإجمال، بالنسبة للجيل الذي عايش فترة الستينيات والسبعينيات. فمن رأى ردّة فعل الشعوب المسلمة وكيفية استقبالهم لشعارات "الله أكبر" و"لا إله إلا الله" التي اجتاحت شوارع طهران، يعرف ماذا يعني الإسلام لمعتنقيه، ولو أن تظهير هذا المعنى الكامن، يخفت في بعض الفترات.

البند الثاني: التحوّل من اليسار إلى الإسلام هو مسألة إيمانية أو براغماتية؟

إن "توفيق الهندي"، وبعد عودته من فرنسا وانخراطه وصديق "درزي" له في العمل الطلابي اليساري على هدى "خط الجماهير" الماوي، قرّرا (هو ورفيقه) كتابة كتاب مشترك يلخّص المشروع الذي يعملان عليه (وحدة عربية قومية ديمقراطية)، وعنوانه "موضوعات الثورة العربية" تحت اسم كاتب وهمي هو "فؤاد عمرو"[١٥٦].

إنّ من يقرأ الكتاب ويطّلع على المشروع المطروح فيه وعلى اللغة العقائدية المستعمَلة وعلى الصفات التي كانت تُوزّع هنا وهناك على أفرقاء وحركات وأحزاب في الساحة اللبنانية وفي البلدان العربية، يتبادر إلى ذهنه فورًا سؤال جوهري: "كيف لمن يحمل هذا النوع من الفكر اليساري العقائدي أن يتحوّل إلى فكر عقائدي آخر، متناقض إلى حدّ كبير؟ كيف لمن يطرح موضوعات الثورة العربية من منطلق وحدوي، بسرديات يسارية، أن يتحوّل إلى ما كان يسمّيه البعض يمينًا مسيحيًا أو إلى قاعدة مذهبية درزية؟". هذا السؤال مشروع، رغم البراغماتية الظاهرة في التفكير، والواضحة من طريقة تناول

[١٥٦] فؤاد عمرو (اسم وهمي)، *"موضوعات الثورة العربية"*، درا الرأي، بيروت، ١٩٧٦، ٢٤٦ صفحة. (الشكر لمكتبة جامعة الروح القدس – الكسليك التي وُجِد الكتاب عندها، والشكر للقيّمين على المكتبة وعلى مركز "فينيكس للدراسات" خاصة، على سماحهم لي بالحصول على الكتاب لفترة ثلاثة أسابيع)

المسائل والخطط والاستراتيجيات في الكتاب. لا بل إن هذه البراغماتية بالذات، قد تكون المدخل الأول لتوضيح الزعم بأن التحول من اليسار إلى الفكر الديني بشكل عام، هي عند قيادات اليسار الثوري، مسألة منفعة وبراغماتية وليست مسألة قناعات. ولكن لا بد من التساؤل الجدلي هنا ايضًا: "هل كان الاعتقاد السابق باليسار وفكره اعتقادًا عن قناعة أم عن براغماتية؟". الإجابة المباشرة، هي في هذه الحال غير ممكنة موضوعيًا، ولكن لا يخفى ان **"الحالة"** السائدة التي كان يشكلها الفكر اليساري في منطقتنا في تلك الفترة، كانت حالة عامّة تطال شعور ووجدان شرائح كبيرة من المفكرين والمثقفين والمناضلين الثوريين. وإن كنت سأعطي الآن مثالًا آخر، "مسيحيًا"، عن المسألة، فلأني سأفرد ما تبقى من البحث للشق الإسلامي. ولكن هذا المثال ضروري لتوضيح مسألة **"الحالة"** (النفسية) التي كان يشكلها الفكر اليساري، وكيف أن **الجوّ** الذي أرساه، طال مجموعات متعددة ومتناقضة في بعض الأحيان، ومختلفة طائفيًا، ولا يمكن شرح تأثيره فيها بتبسيط "قناعة أم براغماتية".

بيئة المثال، هي القوات اللبنانية، وبالتحديد المجموعات التي عملت بجوار الدكتور "سمير جعجع" منذ أن كان قائدًا لمنطقة الشمال في القوات، ومتمركزًا في "دير القطارة"، إلى استلامه قيادة القوات اللبنانية بعد "انتفاضة ١٥ كانون الثاني" ١٩٨٦، والتي أُعطيَت عنوان "إسقاط الاتفاق الثلاثي". وإذا أردنا التحديد أكثر، إن بيئة المثال الأدقّ هي "معهد بشير الجميل" للضباط في "غوسطا" (في دير مار شليطا القديم[١٥٧]) الذي أراده "جعجع" كمدرسة حربية لتخريج الضباط، وشخصية "سمير جعجع" بالذات. فيروي لي أحد المسؤولين عن الإعداد الفكري في المعهد[١٥٨] (لن أذكر اسمه بناءً على طلبه، وهو شمالي من "رفاق جعجع" منذ بداية عملهم العسكري) أن "جعجع" منذ انطلاق عمله في صفوف الكتائب اللبنانية، وخاصة منذ استلامه قيادة منطقة الشمال، كان متأثّرًا بفكر اللاهوتي "بيار تيار دو شاردان" وكتاباته عن الظاهرة الإنسانية، كما كان يقرأ دائمًا كل ما يتعلق بلاهوت التحرير، وتركت كتب "غوتييريز" و"بوف" تأثيرًا كبيرًا عليه. يُكمل هذا المسؤول روايته عن البعد اليساري في الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التي طبقها سمير جعجع في ما كان يُعرف "بالمنطقة الشرقية" لبيروت. ويذكر مسالتَيْ "الصندوق الوطني" للقوات ومشروع التوأمة بين قرى وبلدات لبنانية وقرى وبلدات في الخارج، ويقول هذا المسؤول – وفق قراءته وقراءة بعض المقربين جدًا من "جعجع" في تلك الفترة – أن هذه الإصلاحات جرّت على "جعجع" حنق تجار كبار (أو طبقات بورجوازية عليا بحسب التعبير اليساري) وشبكات مصالح كانت تستفيد من التسيّب الحاصل قبل الإصلاحات. هذا الحنق، وهذا الانزعاج، تمّ

---

[١٥٧]جومانا نصر، *"شربل أبي عقل: معهد غوسطا ودورة شهداء "القوات" (٢)"*، المسيرة، العدد ١٥٨٢، ٢٢ تشرين الأول ٢٠١٦. منقولًا عن موقع القوات اللبنانية، تم الدخول إليه بتاريخ ١٣ تشرين الثاني ٢٠١٦، http://www.lebanese-forces.com/2016/10/22/charbel-abi-akel-joumana-nasr

[١٥٨]من حوار أجريته معه في جونيه، بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ٢٠١٦

تأطيره في بعض الدوائر وتصريفه إعلاميًا وعلى الأرض، عبر شبكات كانت تدور في فلك هؤلاء، وهو ما ساهم بالحملة الدعائية السلبية ضدّ ما كانت تقوم به القوات.

وبالإضافة إلى "جعجع"، فقد كان في صفوف "القوات اللبنانية" عدد من المفكرين الذين أتوا من خلفيات يسارية (الماركسية والماوية). ويذكر المسؤول إياه الذي التقيته، على سبيل المثال لا الحصر "إيلي كيروز"، النائب الحالي عن قضاء "بشرّي"، الذي كان ماركسيًا، و"توفيق الهندي" الذي كان يساريًا ماويًا. كما يذكر "سهيل الديك" و"وليد فارس" وهو الآن أحد مستشاري الرئيس الأميركي "دونالد ترامب". فقد أسس "فارس"، مثلًا، حزبًا سماه "الحزب الديمقراطي الاشتراكي المسيحي" ويبدو واضحًا من التسمية هذه، مدى تأثره بالفكر اليساري. كما قد جرى في إحدى الفترات استعراض سلاح "القوات اللبنانية" بحضور السفير السوفياتي وحده، ولعب بعض القواتيين الآتين من اليسار دورًا في إقامة هذه العلاقة، ولو القصيرة المدى.

يتبيّن مما سيق أعلاه، أن اليسار كَـ"جوّ" أو "حالة" كان سائدًا في تلك الفترة من القرن العشرين، فحتّى من يُقال عنهم "يمين مسيحي" كانوا متأثرين باليسار وأفكاره، سواء أكان قبل انتقالهم إلى صفوف "القوات اللبنانية" أم استمرارهم على هذا الأمر بعد انضمامهم أيضًا.

بناءً على ذلك، وبالعودة إلى الزعم بأن التحوّل من اليسار إلى الإسلام كان بالنسبة للقواعد مسألة حقيقية إيمانية، وبالنسبة للقادة مسألة منفعة وبراغماتية، فإن تقييمًا نقديًا لليسار الإسلامي ولتجربي قادة كتيبة فتح الطلابية الماويين، يؤكد ذلك. وهناك مسألة أساسية – قبل التقييم – تؤشر إلى مسألة المنفعة والبراغماتية، وهي مسألة انتقال يساريين مسيحيين إلى الإسلام. فانتقال "المسيحي اللاتيني[١٥٩] منير شفيق" إلى الإسلام، لم يكن لأن الإسلام متأصل في وجدانه ووعيه، بل لأنّه استشف قدرة هذا الدين على تحريك وتثوير الجماهير، وهو الذي كان يبحث طوال حياته عن أداة ثورية تستطيع جمع العدد الأكبر من شعوب المنطقة في قضية واحدة، هي تحرير فلسطين. وكذلك كان انتقال غيره من ماويي حركة فتح "المسيحيين" إلى الإسلام، كالمسرحيّ "روجيه عساف"[١٦٠].

١. <u>في تقييم اليسار الإسلامي</u>: بحسب "نصر حامد أبو زيد"، تعود آثار اليسار الإسلامي، إلى كتابات "سيد قطب" و"مصطفى السباعي" عن الإسلام والاشتراكية. ويعتبر "أبو زيد" أن تحوّل هؤلاء - خاصّة "قطب" - عن التأويل الاجتماعي للدين، لصالح التأويل الذي يقول بـ"الحاكمية الإلهية"، لا يمكن فهمه استنادًا إلى صدام الإخوان مع نظام يوليو الستينات فقط، بل يجب الأخذ بالاعتبار

[١٥٩] من حواري مع توفيق الهندي

[160] Nicolas Dot-Pouillard, op. cit., p. 16

الطبيعة النفعية لتأويل "قطب"، الذي كان يستجيب أوائل الخمسينيات لمثيرات نفسية هي قيم العدالة الاجتماعية والصراع ضدّ الرأسمالية المحلية والعالمية، وأسقط "قطب" هذه القيم "*إسقاطًا مباشرًا نفعيًا على الإسلام دون تحليل عميق لبنية الإسلام ذاته في مجاله الداخلي. وهذا النوع من التأويل الإسقاطي – أو التلوين – من شأنه أن يخفي بعض جوانب المجال الداخلي للظاهرة، التي تظل في حالة كمون في انتظار المثير الذي يُجلّيها*"[١٦١]. الخلل الأول إذًا عند اليسار الإسلامي، هو أن عملية التوفيق بين اليسار والإسلام كانت عن منفعة، مثلما كان الانتقال من اليسار إلى الإسلام عملية منفعة، بالنسبة لقادة العملية. أما المشكلة الثانية في خطاب اليسار الإسلامي، فهي وقوعه في منحى توفيقي على مستوى الخطاب الفلسفي/الديني، جرّ عليه اتّهامه بالماركسية والعمالة من جانب النظام والمدّ الديني من جهة، وبالتلفيقية والتبريرية من جانب قوى اليسار من جهة أخرى، و"*كانت التوفيقية المرتبطة بهاجس التوحيد بين الأخوة الفرقاء في جسد الأمة هي الاستجابة الأيديولوجية لذلك التحدي*"[١٦٢]. أي أن الصفة العملية الأساس للمشكلة الثانية هي "التقية".

٢. <u>في تقييم التحول إلى الإسلام داخل صفوف الكتيبة الطلابية لفتح</u>: يمكن إجراء هذا التقييم من خلال نقد نص أساسي كتبه "أبو حسن" و"حمدي" (موجود كملحق في نهاية كتاب منير شفيق الذي نستند عليه)، بعنوان "أسئلة حول الإسلام والماركسية من وراء القضبان". يظهر من هذا النص، أن مقاربة الماويين المنتقلين إلى الإسلام الحركي، للإسلام، مختلفة عن مقاربة الإسلاميين الحركيين الذين يتميّز خطابهم بأصولية أو سلفية إسلامية. فهم انتقلوا إلى إسلام "يفيدهم ويخدم غايتهم". ويمكن اختصار مقاربتهم لهذا الإسلام بالتالي:

- <u>الانتقائية</u>: إن الخطاب الأصولي أو السلفي للإسلاميين الأقحاح يسلّم **بالتراث** كمعطى لا مجال للتشكيك به وبصحة الاستناد إليه. بينما بالنسبة لماويي فتح المنتقلين إلى الإسلام، فإن حجّتهم "*لا تقوم على أن كل ما هو تراث هو صحيح، ولكن بذات الوقت يجب ألا نقول أن كل ما هو تراث مرفوض باعتباره ماضيًا وسلفيًا*"[١٦٣]. وبالتالي يمكن الانتقاء من التراث ما يصلح، واستبعاد ما لا يصلح. والإسلام أو منهجه، بحسب قولهم، "*يجيبان أيضًا عن احتياجات المرحلة المعاصرة ومتطلباتها*"[١٦٤]، ولم يقولوا إن الإسلام أو منهجه

---

[١٦١] نصر حامد أبو زيد، مرجع سابق، ص. ١٢٧-١٢٨

[١٦٢] المرجع ذاته، ص. ١٣٠-١٣١

[١٦٣] منير شفيق، "*شهداء ومسيرة - أبو حسن وحمدي وإخوانهما*"، ملحق – "*أسئلة حول الإسلام والماركسية من وراء القضبان*" - محمد محمد بحيص (أبو حسن) ومحمد باسم سلطان (حمدي) (نشر في دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٠)، ص. ٩٣

[١٦٤] المرجع ذاته، ص. ٩٣

يجيبان عن احتياجات كل مرحلة من مراحل حياة البشر، بخلاف الخطاب الإسلامي الأصولي أو السلفي الذي يتميّز به الإسلام الحركي.

- حكم الضرورة: في هذا النص، يقول "أبو حسن" و"حمدي" أنهما انتقلا إلى التنظير بالإسلام الثوري بحكم الضرورة، فبحسب قولهما، *"إذا بحثنا في سمات الثورة في بلادنا سنجد أنها سمات إسلامية فلا نظامًا جديدًا في أحشاء مجتمعنا غير النظام الإسلامي. هذه حقيقة توصلنا إليها ونحن غير راغبين فيها، في البداية، ولم تكن تلتقي مع رغباتنا وهوانا وأفكارنا ونظرياتنا، فكان علينا أن نبذل الجهد لدراسة الإسلام"*[١٦٥].
- مرحلية الحل الإسلامي: إن الطريق الإسلامي هو المدخل لحل المشاكل ومعالجة قضايا الأمة، وليس هو الحل النهائي، بل هو معبر لحل آخر أفضل (ربما)، ولا يمكن التسليم بالحكم لرجال الدين فهم لا يملكون الحلول لكل شيء، فبحسب "أبو حسن" و"حمدي"، إن *"الانتقال إلى أرض الإسلام في معالجة قضايا الأمة لا يشكل غير الخطوة الأولى الصحيحة والضرورية التي تضعنا ضمن الاتجاه الصحيح، ولكن لا يعني ذلك أن أمامنا حلولًا جاهزة لمختلف القضايا والمعضلات ولا يعني أن تقديم تلك الحلول بصورة سليمة مسألة مضمونة من قبل من في يدهم أمر الفتوى والاجتهاد، فالعملية أعقد من ذلك بكثير، ولا يجب أن يحمل المرء أوهامًا بامتلاك مفتاح سحري"*[١٦٦].

وبالإضافة إلى النص الذي كتبه "أبو حسن" و"حمدي"، يمكننا إجراء تقييمنا أيضًا من خلال مقابلات "منير شفيق" الإعلامية التي تكلم فيها عن تلك المرحلة. بالنسبة لشفيق، إن الجانب الأساسي الذي كانوا يرونه في الإسلام هو الجانب الجهادي والحضاري الداعم للقضية الوطنية[١٦٧]. أي أن القضية الوطنية هي الأساس وهي الوجهة وهي الغاية، والإسلام الجهادي هو من وسائل الوصول إلى هذه الغاية.

يتبيّن لنا، بحسب ما سبق في هذا الفصل، بأن هناك إمكانية لنشوء رابطة مصطفاة بين المعتقد الديني، وهو الإسلام هنا، وبين المُتخيَّل الاجتماعي لليسار بشكل عام، نتيجة وجود مشتركات عديدة بين التصّورين أهمها أنهما مقاربتان كونيتان تتوجّهان إلى الإنسان والإنسانية ككل، ومقاربتان مجتمعيتان

---

[١٦٥] المرجع ذاته، ص. ١٠٠

[١٦٦] منير شفيق (الملحق)، مرجع سابق، ص. ١٠٧

[١٦٧] مراجعات | مع منير شفيق - الحلقة الرابعة، قناة الحوار، الدقيقة ٤٦. نُشر الفيديو على موقع Youtube بتاريخ ٢٤ آذار ٢٠١٢، وتم الدخول إليه بتاريخ ٥ آب ٢٠١٦، https://www.youtube.com/watch?v=AIZLLG-9N_Q

تقدران الحياة المجتمعية (communautaire)، تتخذان وضعية نقدية من بعض أشكال الرأسمالية، ولديهما تقسيم ثنائي للعام، وتنتحيان منحًى تبشيريًا، وتتكلمان بالمفهوم المسبق للحق، وتعتبران أن العقيدة هي إحدى مقومات الإنسان وأن القتل في سبيلها فضيلة وشهادة. ولكن الشرط الأساسي لنشوء الرابطة المصطفاة بينهما، هو توفّر الظروف التاريخية والثقافية والسياسية المساعدة، وهذا ما رأينا أنّه وُجد بنتيجة تراكم أحداث ابتدأت من سقوط الخلافة/السلطنة العثمانية، مرورًا بفشل الشيوعية الروسية في التعاطي مع الإسلام، وفشل الحراك الوحدوي العربي ونكساته وخيبة أمل العرب من دعم السوفيات لإسرائيل، ودخول الماوية وأفكار الثورة الثقافية الصينية (وأهمها "خط الجماهير" و"حروب التحرير الشعبية") إلى المنطقة.

ونتج عن نشوء هذه الرابطة – التي سيتبيّن لاحقًا أنها مرحلية – ولادة نوع من لاهوت تحرير إسلامي على شاكلة لاهوت التحرير في أميركا اللاتينية (الذي جمع بين الماركسية والمسيحية الكاثوليكية والبروتستانتية في أميركا اللاتينية) كانت له ترجمة عملية واحدة على أرض الواقع وهي "منظمة مجاهدي خلق في إيران". ولكن هذا الجمع بين الإسلام واليسار كان مرحليًا، وجاء نجاح الثورة الإسلامية في إيران من جهة، وفشل الثورة الثقافية الصينية من جهة أخرى، لينقل حالة الجمع ما بينهما، إلى حالة انتقال من اليسار إلى الإسلام، دارت رحاها في كل المنطقة وكانت "سَريّة فتح الطلابية / كتيبة الجرمق" مثالًا عنها.

هذا المسار الذي انطلق من اليسار بكل أشكاله، ومر بمحاولة للجمع بين اليسار والإسلام، وانتقل إلى التحول من اليسار إلى الإسلام، يثبت أن هذا الدين كامن في نفوس شعوب المنطقة، وهذا ما فهمه المنظرون والقادة الذين كانوا يبحثون دائمًا عن ثورة وعن عامل تثوير للجماهير، فوجدوا في الإسلام ضالتهم، وانتقلوا إليه انتقالًا براغماتيًا عن منفعة.

الفصل الثالث

العلاقة الجدلية بين اليسار والإسلام بعد تسيّده

تغيّرت ملامح المنطقة بعد الحدث الإيراني عام ١٩٧٩، وظهور الإسلام الجهادي في أفغانستان في مواجهة الاتحاد السوفياتي. انطلق الإسلام الحركي، منذ تلك التواريخ، في مسار تسيّده على الساحة الثورية في دول العالم الثالث المسلم، وأتت لحظة سقوط الاتحاد السوفياتي لتعلن خفوت نجم الأحزاب اليسارية (الشيوعية خاصة) لحد الأفول ربما، وخلت الساحة تقريبًا للإسلام الحركي. فمن بقي في "سَريّة فتح الطلابية / كتيبة الجرمق" توجّه نحو العمل الإسلامي و"الجهادي" في فلسطين تحت راية "سرايا الجهاد الإسلامي" التي لعب "منير شفيق" و"أبو حسن" و"حمدي" (قبل اغتيال الأخيرَيْن) الدور الأساسي في تأسيسها. وانتقل "الماويون" السنة الذي كانوا يتحرّكون في طرابلس، خاصة باب التبانة، مع "خليل عكاوي" (أبو عربي)، إلى الإسلام الحركي مع تأسيس "حركة التوحيد" ومساهمة "عكاوي" الكبرى في إنشائها والانضواء في صفوفها. وفي المقلب الشيعي، عاد الإيرانيون الذين كانوا يتدربون في مخيمات فتح ومع شباب "كتيبة الجرمق" إلى طهران، وهم أتوا أصلًا إلى لبنان للتدرب تحضيرًا للثورة التي كانوا يحضّرون لها مع "الخميني" وهو كان ما يزال في منفاه. أما العناصر الشيعية اللبنانية، فأغلبها انتقل إلى صفوف المجموعة الإسلامية الحركية التي نشأت حديثًا حينها، والتي ستتسمّى لاحقًا باسم

"حزب الله". وحتى بالنسبة للمخيمات الفلسطينية في لبنان، فقد بدأ الخط "اليساري الوطني" لفتح والحركات التي تشبهها، بالضمور، لصالح دور الحركات الفلسطينية الإسلامية.

هذا الإسلام الحركي الذي أخذ من اليسار الكثير، على الصعيد العملي (العسكري والتنظيمي...) والنظري والخطابي، استكمل علاقته بهذا اليسار فيما بعد، ولكن سمةً جدليّةً وسمت هذه العلاقة. من الاصطدام في إيران بين رجال الدين ومؤيديهم من جهة والأحزاب اليسارية واليسارية-الإسلامية من جهة أخرى، إلى الإشكاليات التي شابت علاقة اليسار اللبناني بالأحزاب الإسلامية الحركية الناشئة، وبخاصة حزب الله، إلى علاقات "الاستتباع" (هذا الزعم يحتاج إلى تبرير، سيأتي لاحقًا) والتنسيق مع بعض اليسار (في لبنان وخارج لبنان) والمواجهة الصامتة مع البعض الآخر...، مسار جدلي لم ينتهِ إلى اليوم، وفيه الكثير من الإشكاليات التي تحتاج إلى تفكيك.

سيُخصص هذا الفصل للإجابة على باقي الأسئلة التي كانت بالأصل هدف البحث، أي: ماذا أخذ الإسلام الحركي من اليسار؟ وكيف تُفهم جدلية تطور العلاقة بينهما وصولًا إلى اليوم؟

القسم الأول: اليسار بالنسبة للإسلام: مدرسة ومعسكر وخطاب

سنتناول في هذا القسم، تأثير اليسار على الإسلام الحركي من ناحية التنشئة العسكرية لقوى حركية إسلامية سنية وشيعية، كما سنتناول تأثّر هذا الإسلام بالخطاب وبالتنظيم اليساريين.

الفقرة الأولى: إسلام حركي منشّأ عسكريًا برعاية اليسار في لبنان

كانت فلسطين البوصلة، دائمًا، أقلّه في العناوين وفي الخطاب، سواء أكان هذا الخطاب خطابًا قوميًا عربيًا أم ماركسيًا لينينيًا أم ماويًا أم إسلاميًا حركيًا. وكانت حركة فتح، الممسك الحقيقي بقرار جبهة التحرير الفلسطينية، تمتلك أدوات التدريب والتسليح العسكري التي تحتاجها كل الحركات الثورية التي دارت، في فترة الحرب اللبنانية، في فلك "الحركات الوطنية" أو في فلك الإسلام الحركي.

وعلى الرغم من الطابع اليساري للفكر السائد في حركة فتح، إلا أن امتزاج تاريخ أهم قادتها، بالوعي الإسلامي وبالفكر والحراك الإسلاميين، وتأثّر الحركة بالفكر الماوي ومفهوم "خطّ الجماهير" عند "ماو" – خاصة في سَرِيّة فتح الطلابية / كتيبة الجرمق لاحقًا – ألغيا (أي الامتزاج والتأثّر) المعوّقات الإيديولوجية والنفسية أمام الالتقاء مع الإسلام الحركي في مجالات وساحات عدّة. فكانت مخيّمات فتح، مركزًا رئيسيًا للتدريب على السلاح ولإعطاء المدرَّبين الخبرات العسكرية الأساسية، وكان الإسلاميون، أو من تحوّلوا إلى الإسلام لاحقًا، مِن بين مَن تدرّب في هذه المخيمات. ولعب التدريب هذا، دورًا مهمًا في

تصوير حركة فتح أمام المموّلين العرب المسلمين، كحركة راعية للحراك الإسلامي. فوفق ما ينقل سعود المولى عن "القاعدة عسكرية" التي أقيمت لِ "جند الله" في مخيم الرشيدية الفلسطيني، قرب مدينة صور، فإنّ "كادرًا" من "جند الله" أخبر إن قاعدتهم تلك كانت إلى "جانبها قواعد أخرى" لمجموعات إسلامية، مثل "الحركة الإسلامية المجاهدة" التي ضمت في صفوفها "شبانًا من طاجيكستان وكازاخستان، متحمسين للدفاع عن الدين الإسلامي"، وذكر أن المنظمين والمشرفين على هذه القواعد من المنظمات الفلسطينية كانوا "*يصوّروننا ونحن نؤدي الصلاة، أو نقوم بالتدريب، وذلك لبيع (الصور) في دول إسلامية تدعم مثل هذه النشاطات*"[١٦٨].

إنّ دور اليسار، خاصة في لبنان، وبالأخص من خلال حركة فتح، في "تمليك" الحركيين الإسلاميين أداوت الحرب، دور معروف بالنسبة لكل من شارك في تلك الفترة في الحراك إلى جانب الحركة، ولو أن الكتابات قليلة بهذا الشأن، ولو أن الحركيين الإسلاميين اليوم – سنّة وشيعة - لا يتكلّمون عن الدور الذي لعبته فتح في تدريبهم وتسليحهم وتعليمهم فنون الحرب وتقنياتها. إلّا أن الكتابات اليسارية لا تخلو من مراجعات معمّقة لتلك الفترة، خاصة كتابات من يتّخذون موقعًا نقديًا ونقضيًا من تلك المرحلة، وهم على بَوْنٍ وخلاف مع التيارات الإسلامية في المنطقة. فهناك اعتراف "*بأن التيار التقدمي العربي في المجتمع والسياسة والفكر، ومن ضمنه كثير من الماركسيين، أفرادًا وقوى، قد ساهم في المد السلفي والديني الذي بدأ من أواسط السبعينات، بل وكان أحيانًا أحد مظاهره، مما دفع ويدفع الكثير من الماركسيين اليوم إلى كتابات هي أشبه بفعل الندامة، إن لم نقل بالاعتذار المجامل، وربما النفاق الفكري والسياسي لدى بعضهم*"[١٦٩].

هذه الاستفادة الإسلامية من الخبرات القتالية التي قدمها لهم اليسار، وبالتحديد في مخيّمات حركات فتح، عدا عن أنها تسهّلت بفعل العوامل التي أوردناها في الفصل الأول، إلا أنّ عاملًا إضافيًا (نفسيًا في البدء، ثم نفعيًا لاحقًا؟) ساهم في تسهيل ذلك، وهو الخلفية الإسلامية لِـ"ياسر عرفات". هذا ما سوف نبرزه هنا، مضافًا إلى شواهد عن رعاية اليسار، في مخيمات "فتح"، للإسلامَيْن الحركيَّيْن، السنّي والشيعي.

البند الأول: ياسر عرفات: الإخوانيّ الأصل والإسلاميّ الخطاب

---

[١٦٨] سعود المولى، مرجع سابق، ص. ٣١٣

[١٦٩] من ردّ محمد كامل الخطيب على كريم مروة بعنوان: "تساؤلات عن الدين والماركسية"، نُشر في جريدة النداء بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٢، واستقيته من: *"مفكرون عرب يناقشون كريم مروة في القومية والاشتراكية والديمقراطية والدين والثورة"*، مرجع سابق، ص. ٩٣

" بين عامي ١٩٥٤ و١٩٥٨، كانت ولادة الطلائع الأولى لحركة فتح من رحم الإخوان المسلمين في غزة ودول الخليج واعتمادها الكفاح المسلح وانتشارها القوي في البلدان العربية وخصوصًا سوريا والأردن ولبنان، ما أمّن قواعد لجوء وتنظيم وتدريب للإسلاميين"[١٧٠]. فقد انطلق أهمّ قادة فتح، من منشأ إسلامي، إخواني بالتحديد، ولعل أبرزهم يسار عرفات. فَـ"عبد الرحمن عبد الرؤوف عرفات القدوة الحسيني" (اسم ياسر عرفات الحقيقي) المولود في القاهرة في الرابع والعشرين من شهر آب عام ١٩٢٩، أمضى العقود الثلاثة الأولى من حياته في مصر، حيث درس، ودخل في النشاط السياسي وتحوّل إلى مناضل يحمل فكرًا ثوريًا. منذ صغره، وهو في سن العاشرة، كان يقسم رفاقه أطفال الحيّ إلى مجموعات، ويقودهم ويعلّمهم شعارات إسلامية ليصيحوا بها في الأحياء[١٧١]، وقد اكتشف ميله الدينيّ، من خلال تواصله مع قريبه – لجهة أمه - سليم أبو سعود، الذي كان يسكن في جوار المسجد الأقصى في القدس. انضمّ عرفات لاحقًا إلى تنظيم الإخوان المسلمين في مصر، على ما يقوله "حسن دوح"، وهو من عناصر الإخوان، وساهم في تدريب عرفات عسكريًا أيام الجامعة[١٧٢]. وقد تأثر عرفات بخطاب الإخوان المسلمين، وهم المجموعة الإسلامية الأكبر في العالم العربي، خاصة ما يتعلّق بإطاحة الحكم في مصر لإحلال حكم الإسلام محله، والتخلّص من سطوة الغرب وتأثيره، وتدمير إسرائيل.

على الرغم من كونه مختلفًا قليلًا عن نمط القادة الإسلاميين الذين أسسوا لاحقًا مجموعات كحركة حماس مثلًا – مؤسسها عبد الله عزام كان من قادة فتح أساسًا – إلّا أن الشخصيات والتجارب التي شكلت القدوة بالنسبة له، لم تكن تلك الدائرة في فلك القادة أو المفكرين القوميين العرب، بل تلك الدائرة في فلك نضالات وتجارب المسلمين الأوائل. وما اختياره لاحقًا لقب "أبو عمّار"، إلا استلهامًا لِـ"ياسر أبو عمار"، الذي، بحسب عرفات، "اعتُقل وعُذّب كي يتخلّى عن دينه، وما تخلّى، بل أُعدِم على أيدي الكفّار... لقد كان شهيد الإسلام الأول، وتحوّل اسمه إلى رمز للإخلاص الكامل للدين والإيمان في العالم العربي"[١٧٣]. هذا الكلام لياسر عرفات، دفع جورج حبش ليلّعق في إحدى المقابلات أنه لولا تُرك الأمر لعرفات، لكانت انتهت الدولة الفلسطينية إلى شكل يشبه المملكة العربية السعودية.

وعرفات، هو من القلائل – أو ربما الوحيد – من بين قادة منظمة التحرير الفلسطينية، الذي كان يُدخل في خطابه خطابًا إسلاميًا أو يستعمل عبارات من آيات القرآن أو من النصوص الإسلامية الأساسية، وكانت تنتهي معظم خطاباته، أيام تواجده في فلسطين، بالآية رقم ٦٠ من سورة الأنفال: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا

[١٧٠]سعود المولى، مرجع سابق، ص. ١٣٤

[171] Barry Rubin and Judith Colp Rubin, *"Yasir ARAFAT, a political biography"*, Oxford University press, 2003, p. 14.

[172] Rubin and Rubin, op. cit., p. 18

[173] Charles Saint-Prot*, "Yasser Arafat: Biographie et Entretiens ",* Paris 1990, p. 81.

اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ". وهو الذي كان قد استعمل تعبير "جهاد" إبّان زيارته للحجّ إلى مكة عام ١٩٧٨، حين كان يدعو إلى تحرير فلسطين من خلال الكفاح المسلح، واصفًا ذلك بأنه "واجب تجاه الله"[١٧٤]. وعندما زار طهران بعد نجاح الثورة الإسلامية التي أطاحت الشاه محمد رضا بهلوي، بقيادة الإمام الخميني، وصف الحدث بأنه زلزال، قائلًا "نعم لقد بدأ زلزال، زلزال سيصل لكل العملاء في المنطقة زلزال سيصل إلى كل المستعمرين في المنطقة، وبدأ نورٌ هنا، نور في هذه المنطقة... هذا النور سيعم المنطقة شاءوا أم أبوا، أرادوا أم لم يريدوا، هي إرادة التاريخ، إرادة القدر، إرادة الله... هذه الثورة المباركة عبارة عن وهج وضياء وشعلة ستعم المنطقة كلها"[١٧٥].

هذه الميول الإسلامية الإخوانية، توضح أحد أسباب إنشاء حركة فتح لقواعد عسكرية لتدريب الشباب الإخواني والإسلامي تحت مسمّى ""قواعد الشيوخ"[١٧٦]، ومن أهمها القواعد في غور الأردن، والتي استعان بها الشيخ السوري مروان حديد لإعداد النخبة الأولى لتنظيمه الجهادي – تشكلت هذه النخبة من تلاميذه - عندما لم يستطع إقناع الاخوان المسلمين في سوريا بالإعداد للمواجهة مع السلطة[١٧٧].

البند الثاني: رعاية الإسلام الحركي السني

إن مفهوم الجهاد، ككفاح مسلّح في الصراع مع إسرائيل، لم يكن غريبًا على أدبيات المقاومة الفلسطينية منذ بذور نشأتها الأولى، حيث نظّر عزّ الدين القسام للجهاد "حتى النصر أو الشهادة" منذ العام ١٩٢٩[١٧٨]. ووجد الحركيون الإسلاميون، في بداية نشاطهم الجهادي، ملجأً ومكان تدريب عند حركة فتح. وفيما خص الشقّ السني من الإسلام الحركي في لبنان، فقد كان لفتح الدور الأهم في رعاية تجربتَيْه، سواء في مدينة طرابلس - في باب التبانة تحديدًا – أم في المخيمات الفلسطينية.

فمن المفارقات الخاصة بالجهادية اللبنانية الفلسطينية، بحسب الدكتور سعود المولى، (يصفها المولى بالجهادية "المتسَلفنة" كي يفرّقها عن الحركة السلفية الرسمية الطرابلسية المنشأ) أنها نشأت في حضن

---

[174] Manfred Sing, op. cit., p. 8

[١٧٥] من فيديو بعنوان " ياسر عرفات في طهران" على موقع Youtube، من منتصف الدقيقة الأولى إلى نهاية الدقيقة الثانية، https://www.youtube.com/watch?v=H2_vXUN4Ldg

[١٧٦] سعود المولى، مرجع سابق، ص. ١٦٣

[١٧٧] المرجع ذاته، ص. ١٥٥

[178] Manfred Sing, op. cit., p. 8

تجربتين غير سلفيتين: الثورة الوطنية الفلسطينية التحررية من جهة، والثورة الإيرانية الإسلامية الشيعية من جهة ثانية. فقد نشأت الحركة الجهادية (المتسلفنة) فعليًا على هامش حركة فتح وصراعها الدموي الطويل مع البعث السوري في لبنان، ولم يكن لها علاقة بالحركة السلفية الرسمية الطرابلسية المنشأ. ولا يمكن فهم تطور الحركة الجهادية من دون العودة إلى قراءة تجربة كل من: "حركة التوحيد الإسلامي" في طرابلس وتجربة شباب باب التبانة تحديدًا، والتجربة الجهادية الفلسطينية في مخيمات لبنان والمتفرعة بمعظمها عن تنظيم "الحركة الإسلامية المجاهدة" في عين الحلوة، وهما تنظيمان كانت ترعاهما حركة فتح في لبنان[١٧٩]. وينقل المولى عن الشيخ زهير الشاويش، أنه كان للقضية الفلسطينية وللحراك الثوري بين اللاجئين الفلسطينيين، دور في تدبير المؤامرات الانقلابية وتشكيل الخلايا والتنظيمات التي تتبنى هذا الخيار، ناهيك عن دور حزب التحرير ومؤسسة النبهاني في نشر هذه الأفكار، خصوصًا بين الفلسطينيين في سوريا والأردن والعراق ولبنان[١٨٠]. كما ينقل عن الشيخ إبراهيم الصالح أن حركة فتح كانت مصدر السلاح والتدريب لشبان من طرابلس جابوا شوارع المدينة في ذكرى المولد النبوي، في تظاهرة حملت شعارات إسلامية جهادية، حصلت في أجواء "احتقان" طرابلسي ضد ما يسمى "اليمين المسيحي" في بدايات الحرب، وتمّ خلالها إطلاق نار كثيف[١٨١].

ولعل المثال الأهم في مدينة طرابلس عن رعاية حركة فتح للحركيين الإسلاميين، هو دعمها العسكري والسياسي لحركة التوحيد الإسلامي[١٨٢]، ولرعايتها نشاط خليل عكاوي (أبو عربي) – الذي كان هو ومجموعته أحد أهم المساهمين في إنشاء حركة التوحيد - منذ أن كان ماركسي الهوى والفكر حتى تحوّله إلى الإسلام الحركي. فقد قاتل عكاوي جنبًا إلى جنب مع المجموعات الفلسطينية التي كانت بقيادة عرفات، ضدّ الجيش السوري في طرابلس. وظلّ عكاوي حتّى مقتله حليفًا صادقًا ووفيًا لياسر عرفات[١٨٣].

أما في المخيمات الفلسطينية، فقد نشأت منذ الحرب الأهلية اللبنانية ١٩٧٥-١٩٧٦ مجموعات إسلامية جهادية مسلحة في مخيمَي عين الحلوة ونهر البارد موّلتها وسلحتها حركة فتح وكانت قريبة من خليل الوزير (أبو جهاد)، وكان الشيخ إبراهيم غنيم هو الرأس الفقهي والسياسي لتلك المجموعات[١٨٤]. وكان من بعض آثار تلك التجارب، أن انتقل فيما بعد بعض عناصر فتح إلى الإسلام الحركي أو إلى تدريب مجموعات إسلامية في الدول العربية، كحالة شحادة جوهر مثلًا، الذي كان "شبلًا" من أشبال حركة فتح،

---

[١٧٩] سعود المولى، مرجع سابق، ص.٣٠٥

[١٨٠] المرجع ذاته، ص. ١٦٢

[١٨١] سعود المولى، مرجع سابق، ص. ٣١٣

[182] Manfred Sing, op. cit., p. 19

[183] Nicolas Dot-Pouillard, op. cit., p. 8

[١٨٤] سعود المولى، مرجع سابق، ص. ٣٢٩

ثم التحق بعصبة الأنصار، ثم ذهب إلى العراق بأمر من قيادة عصبة الأنصار لغرض تدريب عناصر القاعدة[١٨٥]، أو حالة عبد الله هزيم، وهو لبناني من "حرار" في عكار، كان في أمن حركة فتح، قبل أن ينضم إلى جماعة الضنية (عام ٢٠٠٠)[١٨٦]. كما كانت هذه المخيمات ملجأً للخلايا العسكرية الطرابلسية المهاجرة والمشردة (بعد العملية السورية في باب التبانة) والخائفة في باب التبانة، والتي كانت على صلة ببقايا أجهزة فتح، وسمّت نفسها "قوات ٩ شباط" مستمدة هذه التسمية من اليوم الذي اغتيل فيه أبو عربي[١٨٧].

يضاف إلى ذلك ما ترويه بعض المصادر عن رعاية حركة فتح للمجموعات الأولى التي ستتشكل فيما بعد تنظيم "القاعدة"، كما وتروي مرور "عبد الله عزام" و"أسامة بن لادن" في لبنان، ولكنّي لم أستطع إيجاد مصدر موثوق للمسألة هذه، على الرغم من أنّي رأيت صورة لبن لادن وهو في لبنان، ولكن في فترة شبابه، حيث كان ما يزال تلميذًا في مدرسة في "برمانا" (ولكن من أراني الصورة لم يسمح لي بأخذ نسخة عنها).

البند الثالث: رعاية الإسلام الحركي الشيعي

إنّ التأثير اليساري بالإسلام الحركي الشيعي، يُتناول من أكثر من زاوية: التدريب العسكري لشباب ذات توجّه إسلامي شيعي في مخيمات فتح (خاصة سرية فتح الطلابية / كتيبة الجرمق والتي سنأتي على تناول تجربتها في هذه الدراسة خاصة فيما يتعلق بالانتقال من اليسار، الماوي تحديدًا، إلى الإسلام)، الانتقال من الماوية إلى الإسلام الحركي بالنسبة لشباب شيعة كانوا في فتح، والتأثير الفكري لمفكرين يساريين لبنانيين صاغوا بفكرهم ونقدهم للنظام اللبناني التصوّر الأرسخ للحركيين الإسلاميين الشيعة تجاه لبنان وقضايا المنطقة.

إن بداية ضلوع حركة فتح في تدريب شباب شيعي ذات توجّه إسلامي كانت مع تدريب عناصر حركة أمل نتيجة العلاقة الممتازة التي كانت تربط ياسر عرفات بالإمام موسى الصدر، وتدريب عناصر إسلامية إيرانية ولبنانية ستكوّن فيما بعد نواة حرس الإمام الخميني الشخصي، ونواة حزب الله اللبناني، وعصب الحراك الثوري الذي أسقط الشاه في إيران وأنشأ الحرس الثوري الإيراني. وقد "ورث" ياسر عرفات من "مكتب تحرير الشعوب" الذي كان قد أنشأه "جمال عبد الناصر" لتدريب المعارضين

[١٨٥] المرجع ذاته، ص. ٣٤٢

[١٨٦] المرجع ذاته، ص. ٣٣٥، الهامش رقم ٧٩٠

[١٨٧] المرجع ذاته، ص. ٣٢٣

للأنظمة التي تعارضها "مصر"، عددًا ليس بقليل من الإيرانيين الذين أصبحوا فيما بعد قياديين أساسيين في إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية. ويؤكد "محمد حسنين هيكل" قصة تدريب الإيرانيين في مخيمات "مكتب تحرير الشعوب" (قبل انتقالهم إلى مخيمات فتح في لبنان) حيث يقول: "*ونجح ثلاثة أعضاء أساسيين في المعارضة في الذهاب إلى مصر، وهم إبراهيم يزدي، وصادق قطب زاده، ومصطفى شمران، وقد تقلّدوا فيما بعد مناصب قيادية في الحكومة الثورية الجديدة. بعد وصولهم إلى القاهرة في منتصف الخمسينات اتصلوا بأجهزة المخابرات المسؤولة عن رعاية اللاجئين السياسيين. وأبدوا لهم رغبتهم في التدريب على السلاح، لأنهم قرروا أن حرب العصابات هي السبيل الوحيد الآن أمام المعارضين للشاه، وتم إرسالهم إلى معسكر "انشاص" خارج "القاهرة" (وهي ضيعة سابقة للملك فاروق) وكانت حينذاك المكان الذي يتلقى فيه أعضاء جبهات التحرير المختلفة تدريباتهم. وهناك التقوا بالفلسطينيين والإرتريين وجماعات أخرى من أفريقيا. ولكن بعد قليل دب النزاع بينهم وبين مضيفيهم، لأن القسم المختص في المخابرات المصرية كان يريد من اللاجئين الإيرانيين أن ينضموا للعمل في الإذاعات الموجهة من القاهرة للهجوم على الشاه، لكنهم رفضوا، مصرين على أنهم قد حضروا إلى القاهرة للتدريب على فنون القتال فحسب. وأن الكلمات لن تفلح في الإطاحة بحكم الشاه. ولم يفلح أحد في إقناعهم بأن احتمالات المقاومة المسلحة في إيران كانت في حكم المستحيل. وأن الدعاية عن طريق الإذاعة سلاح قوي للغاية في ترسانتهم، إلى أن تحين اللحظة المؤاتية. لكن النزاع استمر وقرروا مغادرة مصر، (وكان عددهم قد زاد إلى خمسين) ذهب بعضهم إلى الولايات المتحدة، والبعض الآخر إلى لبنان لمزيد من التدريب*"[١٨٨].

كان الالتقاء الأول بين اليساريين وخاصة حركة فتح، وبين الشباب الشيعي في لبنان، هو التجمّعات المدينية التي هاجر إليها الشيعة من البقاع وجنوب لبنان، وبخاصة منطقة النبعة وبرج حمود التي شهدت أحياؤها ولادة معظم التيارات السياسية المتطرفة، والتي كان حاديها (أي حادي هذه الولادة) وراعيها لقاء بعض الشبان الأرمن بالمنظمات الفلسطينية[١٨٩]. ولم تلبث المنظمات الفلسطينية وحركة فتح خاصة، أن ضمّت إليها أعدادًا كبيرة من هؤلاء الشباب الجنوبيين والبقاعيين[١٩٠]. كما درّبت الحركة عددًا لا يستهان به من الشباب الشيعي العربي الذي يدور في فلك حزب الدعوة، والشباب الشيعي الإيراني (من منظمتَيْ "فدائيان خلق" و"مجاهدي خلق")[١٩١] الذي يتأثر بالجو الإسلامي الذي بدأ يبثّه الإمام الخميني وهو ما زال بعدُ منفيًا في حينها إلى النجف، ويحضّر الأرضية لثورته التي ستأتي بعد عدّة سنوات. وكان إيراني

---

[١٨٨] محمد حسنين هيكل، *"مدافع آية الله: قصة إيران والثورة"*، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السادسة، ٢٠٠٢، ص. ٩٨

[١٨٩] وضاح شرارة، مرجع سابق، ص. ٧٣

[١٩٠] المرجع ذاته، ص. ٧٦

[١٩١] شفيق الغبرا، مرجع سابق، ص. ٣١١

اسمه "الدكتور صادقي" في لبنان، ممن يشرفون على تجنيد الشباب الذين فشلوا في تحصيلهم العلمي المدرسي نتيجة انشغالهم بالعمل الإسلامي، ليتم تدريبهم العسكري (هنا نتكلم عن أعوام ١٩٧٢-١٩٧٣) في مخيمات حركة فتح أو "القيادة العامة"[١٩٢]. وكان الدكتور مصطفى شمران، والذي سيصبح فيما بعد أول وزير دفاع في إيران بعد الثورة، اليد اليمنى للإمام موسى الصدر، والمشرف على تدريب عناصر حركة أمل وعلى تدريب عدد من الشباب الذي سينتقل لاحقًا إلى إيران، وكان يتم ذلك بالتعاون مع حركة فتح، خاصة سَريّتها الطلابية، والتي كان أول من سقط لها، شاب اسمه مجاهد الضامن، سقط بانفجار لغم وهو يدرب عناصر حركة أمل على القتال[١٩٣].

وممن كانوا ينشطون أيضًا في الحراك الإسلامي الشيعي المرتبط بالخميني، وهو على علاقة جيّدة بفتح، شخص اسمه محمد صالح الحسيني، والذي كان أخوه ذي ميول يسارية ومقرّب من منير شفيق (أبو فادي)، المنظّر الأهم لسَريّة فتح الطلابية. يروي شفيق الغبرا في كتابه أن الحسيني جاءه يومًا قائلًا: "أنا أعمل لقضية التغيير في إيران"، وترك له في لقائهم الأول كتابات الخميني وناقشه في الإسلام السياسي وقدّم له كتاب مؤسس حزب الدعوة الإسلامية (محمد باقر الصدر) اقتصادنا. هذا مع العلم أن محمد صالح الحسيني هو ابن لسيد إيراني معروف من طهران، وأصبح في لبنان عضوًا قياديًا في فتح ومقربًا من ياسر عرفات وأبو جهاد، وكان، بتكليف من الخميني، المسؤول العسكري والفعلي للمعارضة الإيرانية الإسلامية خارج إيران، وقد تحمّل مسؤولية تدريب عناصر المعارضة الإيرانية العاملة مع الخميني في فتح، وعمل في لبنان مع الإمام موسى الصدر، وكانت له أيضًا علاقات مع حزب الدعوة وأطراف المعارضة الإسلامية العراقية[١٩٤]. وحين عهد الشاه الإيراني، إلى جعفر الشريف إمامي بتشكيل حكومة، في صيف ١٩٧٨، عاد مئات من دعاة الكفاح المسلح الذين أعدّوا بلبنان، إلى إيران. كان منهم ممثل الخميني لدى جبهة التحرير، آية الله علي جنتي، الذي عمل في منظمة فتح، وابن آية الله منتظري، محمد، المدعو "رينغو"، وعشرات من حركة أمل التي كان منها بعض حرس خميني الشخصي. إبنا خميني، مصطفى وأحمد، تدربا في معسكرات حركة أمل، كما وأتمّ ما لا يقل عن ٧٠٠ عضو من حزب الدعوة، حتى ١٩٧٦، تدريبهم على أيدي فلسطينيين من فتح، بينما زار عرفات في هذه الأثناء خميني في النجف مرتين[١٩٥]. وعاد أيضًا عناصر مجموعة "فدائيان خلق" التي أصبحت أكثر كفاءة بعد أن أقامت اتصالًا بمنظمة جورج حبش، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وأرسلت بعض أعضائها للتدريب مع الجبهة في لبنان[١٩٦].

[١٩٢] وضاح شرارة، مرجع سابق، ص. ٩٢

[١٩٣] شفيق الغبرا، مرجع سابق، ص. ٢٤٣

[١٩٤] شفيق الغبرا، مرجع سابق، ص. ٢٤١-٢٤٢

[١٩٥] وضاح شرارة، مرجع سابق، ص. ١٠٩

[١٩٦] محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص. ٩٧-٩٨

وعند انتصار الثورة الإسلامية في إيران، كان أول من زار الخميني لتهنئته في طهران، هو ياسر عرفات. فقد رأى أنه ساهم إلى حد ما بانتصار الخميني بحكم تأييده الدائم للمعارضة الإيرانية وتبنّي أنصارها تسليحًا وتدريبًا. كذلك فإن علاقة عرفات المباشرة بمحمد صالح الحسيني عززت فرص العلاقة المباشرة مع الثوريين الجدد، وأعلن عرفات من هناك: "الثورة في إيران فكّ للحصار علينا"[١٩٧]. كما سيزور لبنان، بعد الثورة ببضعة شهور، آية الله خلخالي، المشرف الأول على الإعدامات في إيران، حيث جال على قواعد فتح والحركات الفلسطينية الأخرى في الجنوب اللبناني[١٩٨].

ولعل من أبرز القادة العسكريين الذين تخرّجوا من فتح، ومن كتيبتها الطلابية بالتحديد، وانتقل إلى صفوف حزب الله اللبناني، هما عماد مغنية (القائد العسكري المعروف)، وطراد حمادة الذي أصبح لاحقًا وزيرًا عن حزب الله في حكومتين (وزيرًا للزراعة في حكومة الرئيس نجيب ميقاتي في ٢٠٠٥/٤/١٩ ووزيرًا للعمل في حكومة الرئيس فؤاد السنيورة في ٢٠٠٥/٧/١٩)[١٩٩]. كما وكان الدكتور سعود المولى، من عناصر سَرية فتح الطلابية / كتيبة الجرمق، الذين انتقلوا فيما بعد إلى صفوف حزب الله، قبل أن يخرج من الحزب عام ١٩٨٨. وكان هناك شيخ شيعي، اسمه "حسن ل." ينشط في تلك الأجواء، استطاع فيما بعد تجنيد ٤٠٠ شاب شيعي من منظمة فتح لصالح حزب الله (لم يكن قد نشأ الحزب بشكله العلني بعد)، قبل أن تصيب المشاكل علاقته مع اليسار ويهرب إلى قم، ليعود بعد انتصار الخميني ويسكن في لبنان في منطقة الشياح[٢٠٠].

وتأثرت المجموعات الإسلامية الحركية الشيعية بالتقنيات العسكرية التي اطّلعت عليها في المخيمات التدريبية الفلسطينية، فعلى غرار عمليات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية القيادة العامة، "استنبط" حزب الدعوة في العراق أولًا ثم في لبنان، اقتحام الأبنية الحكومية المحروسة والمحصنة، بسيارات مفخخة يقودها انتحاريون[٢٠١]، كذلك طبّق عناصر حزب الله المنتقلون حديثًا إليه من فتح وكتيبتها الطلابية، ما خبروه من عمليات خارجية، خاصة مسألة خطف الطائرات واتخاذ رهائن، وإعداد عبوات وتفجير مبانٍ.

إلى جانب الأثر العسكري الذي تركته المجموعات اليسارية – خاصة حركة فتح وكتيبتها الطلابية – على الشباب الحركي الإسلامي الشيعي، فقد لعب منظرون ماركسيون دورًا كبيرًا في قولبة الوعي الشيعي العام ونظرته إلى لبنان وقضايا المنطقة، خاصة مهدي عامل (واسمه الحقيقي حسن حمدان) ونقده للنظام

[١٩٧] شفيق الغبرا، مرجع سابق، ص. ٣٤٢
[١٩٨] المرجع ذاته، ص. ٣٤٧-٣٤٨

[199] Manfred Sing, op. cit., p. 18

[٢٠٠] وضاح شرارة، مرجع سابق، ص. ١١٨
[٢٠١] المرجع ذاته، ص. ١١٠

اللبناني على أنه حكم الطائفة-الطبقة المارونية وكومبرادوريتها الاقتصادية المسؤولة مباشرّةً عن الحرمان الذي يطال الشيعة في لبنان. ومن يقرأ أدبيات مهدي عامل، ويقارنها بأدبيات حزب الله في فترة الحرب اللبنانية وببعض الأدبيات المستمرة منها إلى اليوم، يرى وجه الشبه، ويرى التأثير الكبير لخطاب الماركسي "الشيعي" مهدي عامل، على خطاب الحزب الإسلامي "الشيعي" (وسنفصل ذلك لاحقًا في هذه الدراسة).

الفقرة الثانية: تأثُّر الإسلام الحركي باليسار على الصعيد التنظيمي والخطابي-السياسي

البند الأول: تشابه على الصعيد التنظيمي

منذ بداية الالتقاء مع الإسلام في أوروبا الشرقية، كانت الاشتراكية بالنسبة للنخب المسلمة التقدمية نموذجًا تنظيميًا وليس هيكلًا تنظيريًا لإعادة تنظيم المجتمع وفق مبادئ "البروليتاريا الأممية"[٢٠٢]. المظهر التنظيمي الأول المهمّ بالنسبة لهذه النخب المسلمة كان اللجوء إلى "العمل المباشر" (action directe) وتقنية العمل التآمري السري، فقد أدركوا، ولو متأخرين، أن النجاح البولشيفي يعود إلى تنظيمهم الحديدي والهيكلية التنظيمية المتراصة، والانضباط العقائدي[٢٠٣]. كما تعلموا من الاشتراكية تقنية "l'action des masses" (العمل الجماهيري). فالبنسبة لقادة هذه الحركات المسلمة الذين كانوا من الطبقات الارستقراطية، أتت هذه المسائل لتضيء على كيفية التماس مع الجماهير، وهم البعيدون في إقطاعاتهم عن طبقات الفلاحين والمزارعين و"الجماهير". إن نجحت المسألة، سوف يكونون على رأس حراك اشتراكي يتخطى عقبات الطبقية، ويبقيهم على رأس إدارة شعوبهم ومسارهم[٢٠٤]. ويتنبّه "أوليفيه روا" عندما يتناول موضوع الخلافة لدى "حزب التحرير" الإسلامي، أن "*خليفة حزب التحرير متجسّد عمليًا*

---

[202] Bennigsen & Lemercier-Quelquejay, op. cit., p. 49

[203] المرجع ذاته, p. 50

[204] المرجع ذاته, p. 51

في الحزب نفسه وليس في فرد: إن مفهوم الحزب بوصفه فاعلًا سياسيًا في ذاته موروث من الماركسية"[٢٠٥].

أما بالنسبة إلى هيكلية تنظيم حزب الله، فهي تشبه إلى حد ما الهيكلية التنظيمية للأحزاب اللينينية، وكان "أسعد أبو خليل" قد أشار إلى ذلك في كتاباته[٢٠٦]. فالمركز الأعلى في الحزب هو مرتبة "الأمين العام" وهذا من المشتركات مع الهيكلية اللينينية. وللحزب "مجلس شورى" يلعب دور اللجنة المركزية في الأحزاب الشيوعية، والقرار له، مثلما هو للجنة المركزية. والحزب هو طليعة الأمة، والأمة هي "أمة حزب الله"، تقودها لجنته المركزية، أو مجلس شورته. وبحسب قراءة "وضاح شرارة"، فإن تكوين حزب الله يبدأ بنواة صغيرة مؤلّفة من القادة الأساسيين والأمنيين الأساسيين الشباب، تحيط بهذه النواة مجموعة دوائر، تكون من جهة الفاصلة بينها وبين المجتمع، ومن جهة أخرى (خاصة الدائرة الرابعة والأخيرة) دائرة الالتقاء مع "الجماهير"، أو مع المجتمع.

البند الثاني: نقل الخطاب اليساري في نقد النظام اللبناني

إن متابعة الخطب والتصريحات والمقابلات التي كانت تقدّم مواد مهمة عن طريقة تفكير قادة الحزب، تبيّن بعض خطوط الالتقاء مع الخطاب اليساري، فيما خص النظام اللبناني. وربما نقل الحركيون الإسلاميون، تراثاتهم الفكرية والإيديولوجية اليسارية في هذه المسألة، معهم إلى صفوف الحراك الإسلامي، وبقوا متأثرين بها.

أولى النقاط التي تلتقي بها الطروحات السياسية لحزب الله (أو للشيعية السياسية بشكل عام في لبنان) مع طروحات اليسار اللبناني، هي الدعوة إلى إلغاء الطائفية السياسية واعتماد قانون انتخابي نسبي على أساس لبنان دائرة واحدة. في هذا الأمر تأثر بالتراث اليساري في ما خص النظرة إلى الواقع في لبنان. وهذه عيّنة صغيرة، مأخوذة من كتابات "كريم مروة" عن طروحات اليسار في هذا الشأن: "*إن مواجهة الطائفية، كصيغة للنظام والكيان، وكشكل للعلاقة بين فئات الشعب، وكإيديولوجيا تستند إليها البورجوازية، بعامة، والفئات العليا المهيمنة منها، على وجه التحديد لتأبيد سيطرتها الطبقية، وتأبيد نظام الامتيازات والتمييز ولمنع التطور الديمقراطي، ومواجهة العامل التقسيمي المتجسد في الطائفية*[٢٠٧]... *إن ميثاق ١٩٤٣، الذي على أساسه تكرس الكيان اللبناني، هو ميثاق زورت فيه، وشوهت، حقيقة الانتماء*

[٢٠٥] أوليفيه روا، مرجع سابق، ص. ١٠٣

[206] As'ad Abu Khalil, *"Hizbullah in Lebanon: 'Islamisation of Leninist organisational principles'"*, Middle Eastern Studies, (27) July 1991, pp 396-397, p. 397

[٢٠٧] كريم مروة، مرجع سابق، ص. ٥٣٧

القومي للبنان. وقد غُيّبت هذه الحقيقة وراء اعتبارات طائفية هي امتداد لمصالح طبقية، وسياسية، وعشائرية، نشأت في الصراع، خلال سنوات طويلة من السيطرة الأجنبية، العثمانية أولًا ثم الفرنسية فيما بعد[٢٠٨] *... من هنا الإصرار على إقران هذه الوحدة، دائمًا وبشكل مطلق، بإلغاء الأساس الطائفي للنظام، وبإعادة بنائه على أسس ديمقراطية مدينية، وبالارتكاز على التحديد الواضح للانتماء إلى القومية العربية*[٢٠٩]". وبالإضافة إلى التأثر باليسار، فإن طرح إلغاء الطائفية السياسية مضافًا إلى اعتماد النسبية في الانتخابات على أساس لبنان دائرة واحدة، هو من باب المصلحة لدى "الشيعية السياسية" باعتبار أن نسبتهم إلى مجموع السكان تسمح لهم بمواقع في النظام، أكثر مما نص لهم عليه اتفاق الطائف، إذا ما أردنا اعتماد المقاربة المباشرة بالتمثيل دون مراعاة الصيغة والتعددية اللبنانية. والمستغرب، أن يطرح حزب حركي إسلامي، إلغاء الطائفية، سياسية كانت أو غيرها، وهذا دليل على أن هذا الطرح، الذي يتّخذ ظاهرًا تقدميًا، هو في الحقيقة طرح "غلبة" (بحسب تعابير ابن خلدون التي أحبها اليسار الثوري واستعملها) ويضمر غير ما يظهر.

وإذا كانت أدبيات حزب الله والإسلام الحركي بشكل عام، قد استعانت بالأدبيات الماركسية مع بعض التلوين الإسلامي، كتحويل الكادحين والمسحوقين إلى "مستضعفين"، والإبقاء على معاداة الامبريالية، وإذا كان بعض قادة حزب الله يمقلون بعض تعابير اليسار اللبناني (الشيعي خاصة)، كتعبير "معاهدة الذل" (اتفاق ١٧ أيار) المتناقَل من لسان "مهدي عامل" في عبارته "دولة حزب الكتائب، دولة معاهدة الذل مع إسرائيل"[٢١٠]، إلى لسان السيد "نصر الله" عندما قال "ومن الذي وقع بحبره اتفاقية الذل مع إسرائيل؟"[٢١١]، فإن التشابه في النظرة إلى النظام اللبناني بين المنظومتين (الإسلامية واليسارية) أبعد من هذه الشكليات.

فمن يقرأ لليساري "الشيعي مهدي عامل" (اسمه الحقيقي "حسن حمدان"، وفي اختياره لاسمه الحركي دلالة، فتعبير "مهدي" تعبير تراثي شيعي أصيل فهو الإمام الغائب والمنتظَرة عودته، وتعبير "عامل" فيه تأشير إلى دلالتين: عامل من جذر العمل، أي الذي يعمل، أي البروليتاريا، و"عامل" الجبل الذي ارتبط تواجد الشيعة في لبنان به)، خاصة في نقده للنظام اللبناني على أنه "حكم الطائفة-الطبقة[٢١٢] المارونية وكومبرادوريتها الاقتصادية التي تعيش على عرق جبين الفلاح الكادح"، ويقارنه مع أدبيات حزب الله

---

[٢٠٨] المرجع ذاته، ص. ٥٣٨

[٢٠٩] المرجع ذاته، ص. ٥٣٨

[٢١٠] مهدي عامل، *"في الدولة الطائفية"*، الفارابي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٩، ص.١٢

[٢١١] *"كلمة السيد حسن نصر الله في تخريج طلاب في "مجمع سيد الشهداء""*، 10452lccc، ١٥ أيار ٢٠٠٩. تم الدخول إلى الموقع بتاريخ ٣٠ أيلول ٢٠١٦، http://www.10452lccc.com/hezbollah07/nasrallah15.5.09.htm

[٢١٢] مهدي عامل، مرجع سابق، ص. ١٧٦

خاصة في فترة الحرب اللبنانية يرى وجه الشبه. فمن وجهة نظر "المحرومية الشيعية" (والتي كانت خطابًا سائدًا لدى شيعة لبنان، وما زالت)، إن أصل الحرمان وسببه هم الموارنة في لبنان. وإن كان "مهدي عامل" يقول في كتابه عن "ميشال شيحا" أن "*شيحا مثلًا، لا يخشى أن يؤكد، في واحد من نصوصه، ومن موقع فكره الطائفي نفسه، أن السلطة الفعلية هي في أيدي الموارنة والسنة، فلهما الهيمنة دون سائر الطوائف*"[213]، فإن أدبيات حزب الله لا تبتعد كثيرًا عن التشبه بهذا المنطق حين تقول: "*إن المعاناة الاقتصادية التي يعيشها الناس في لبنان...، عائدة إلى مساوئ النظام السياسي القائم، وتخبطه في أزمات ناشئة عن ارتهانه للنفوذ الأميركي-الصهيوني عبر فئة متصهينة متحكمة في رقاب الناس تجد في الضغط الاقتصادي وتجويع الشعب وسيلة لإضعاف شوكة المقاومين وإسقاط نهج المقاومة الإسلامية حتى يتسنى لها تمرير مشاريعها السياسية التي تحافظ على امتيازات المارونية-الصهيونية وتكرس هيمنة الصهاينة في هذا البلد وتحفظ أمنهم وتحقق أطماعهم في أرض جبل عامل ومياهه. إن حل هذه الأزمات وإنقاذ الشعب من ويلات هذا النظام، لن يتمّا إلا بالاعتماد على نهج المقاومة الاسلامية في التعامل مع الصهاينة وعملائهم، وذلك من خلال حسم المعركة مع أخطار المارونية-الصهيونية حتى يتم إسقاطهم وتحرير البلاد من تسلطهم*"[214].

وعلى شاكلة ما كان يتندّر اليساريون من بعض التعابير السائدة في لبنان أيام الحرب اللبنانية (وحتى قبلها)، على ما تورِد "دلال البزري[215]" في مذكراتها: "*الاقطاع السياسي الحاكم، واليمين المؤيد له... هؤلاء هم المتآمرون على قضيتنا: "لا غالب ولا مغلوب"، "قوة لبنان في ضعفه" شعارات نسخر منها ... تلك "القرنبيطة" التي تتوسط علمنا*"[216]، كذلك فإن هناك تشابهًا في بعض النقد مع الخطاب السائد لدى حزب الله. فبالنسبة لتعبير "قوة لبنان في ضعفه"، يقول السيد نصر الله: "*يصل الأمر بنا للآسف نتيجة خضوعنا وتأثرنا بالحرب النفسية أن يبدأ القائمون على الحرب النفسية بفلسفة الضعف وتحويله الى فلسفة ونظرية واستراتيجية، مثلا النظرية التي كانت في لبنان وهي أن قوة لبنان في ضعفه، وهو أمر عجيب لأنه مخالف للطبيعة، ولكن الإبداع اللبناني اخترع هذه النظرية وأصبحت استراتيجية وألفوا حولها الكتب، وهي آتية من الاحساس بالضعف ولكن هذه النظرية تهاوت وسقطت وقوة لبنان في قوته، لأن لا*

---

[213] المرجع ذاته، ص. ٢١

[214] من نص البيان الختامي الصادر عن المؤتمر السنوي للطلاب المسلمين (حزب الله) في الخارج في آب ١٩٨٧، الوارد في الصفحة ٥ من صحيفة النهار الصادرة بتاريخ ١٩٨٧/٨/١٧ تحت عنوان "*مؤتمر الطلاب المسلمين اختتم أعماله – حزب الله: الأساس بالنسبة إلينا بقاء لبنان ساحة للصراع مع إسرائيل*".

[215] كاتبة وناشطة يسارية منذ فترة الحرب اللبنانية. تتخذ الآن موقفًا نقديًا من حزب الله.

[216] دلال البزري، مرجع سابق، ص. ١٠١-١٠٢

منطق لأن يكون هناك قوة في ضعف"[٢١٧]. ويقول النائب عن حزب الله "نوار الساحلي"، بدوره، "*أنّ العدو اندحر بفعل سلاح المقاومة والمقاومين ليكون النصر رداً على عار اتفاق ١٧ أيار الذي أسس فيه البعض لمقولة قوة لبنان في ضعفه، وكان الرد بفعل الثالوث الذهبي: الجيش والشعب والمقاومة لتدمر عصابات العدو الصهيوني بفعل السلاح المقاوم*"[٢١٨].

البند الثالث: بوصلة فلسطين

في البدايات، وقبل دخول الماوية والثورة الثقافية الصينية بأفكارها إلى وعي اليساريين في لبنان، لم تكن القضية الفلسطينية هي الشغل الشاغل لليسار. ولكن مع هزيمة ١٩٦٧، ونشوء حركة فتح، وإعادة النظر بالنظريات الماركسية على هدي "خط الجماهير" و"حرب التحرير الشعبية" و"الكفاح المسلح"، أصبحت "القضية الفلسطينية" المحرّك الأهم في وعي ووجدان اليساريين في لبنان، خاصة أن حراكهم كله ارتبط "بمنظمة التحرير الفلسطينية" وخاصة حركة "فتح". كما أن فلسطين بالنسبة للخطاب القومي العروبي، والشيوعي (من بعد المراجعة) الداعي إلى الوحدة العربية، حجر زاوية هي وقضيّتها، كون العائق الأول أمام وحدة العرب، هو "هذا الكيان الغريب المزروع في وسط جسد الأمة"، أي إسرائيل.

وكما أن المواجهات بين اليساريين والإسلاميين الحركيين أواخر الثمانينيات كانت على احتكار كار المقاومة، فإن احتكار القضية الفلسطينية، وتوجيه الخطاب المستحدث بحسب بوصلة فلسطين، كان لا بد من أن يأخذ الإسلام الحركي من اليسار خطابه الفلسطيني، ويبني على سردياتِه، سردياتَه الجديدة. ولكن يُلاحَظ في هذا الأمر، أن البوصلة الفلسطينية تفعل فعلها في الخطاب الحركي الإسلامي الشيعي، أكثر ما تفعله في الخطاب الحركي السني. لا بل يُلاحظ أن بعض المدارس السلفية السنية، ينظّر للانتظار وعدم قتال إسرائيل الآن، إلى حين أن يتمكن المسلمون من حشد القوى والأسلحة الضرورية لهزيمة هذه الدولة المسلحة بأحدث الأسلحة الغربية، لأن في القتال الآن مهلكة للمسلمين، ومضيعة لقواهم، ولا أمل بالنصر.

---

[٢١٧] "*الحرب النفسية (سماحة السيّد حسن نصر الله)*"، منتدى صوتك، نُشرت بتاريخ ٢١ كانون الأول ٢٠٠٩. تم الدخول إلى الموقع بتاريخ ٣٠ أيلول ٢٠١٦، http://www.sawtakonline.com/forum/threads/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%B3%D9%85%D8%A7%D8%AD%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D9%91%D8%AF-%D8%AD%D8%B3%D9%86-/%D9%86%D8%B5%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87.71067

[٢١٨] "*مسيرات واحتفالات في لبنان والخارج بعيد المقاومة والتحرير: الثلاثية حقّقت الانتصار على «إسرائيل» وتحمي لبنان من التكفيريين*"، البناء، ٢٧ أيار ٢٠١٥. تم الدخول إلى الموقع بتاريخ ٣٠ أيلول ٢٠١٦، http://www.al-binaa.com/archives/article/46580

ولم يكتفِ حزب الله بتسلّم البوصلة الفلسطينية من اليسار اللبناني الذي نشأ برعاية "عرفات" في لبنان، بل أصبح راعيًا للقضية أكثر من أصحابها في بعض الأحيان. فنرى السيد "نصر الله" في إحدى خطبه يوجّه نقدًا لاذعًا لياسر عرفات، ويدعو علنًا لاغتياله: *"العالم، عالم الشرفاء اليوم، يتطلع إلى اللحظة التي يوضع فيها الحد لهذه المهزلة ولهذه الخيانة ولهذا السقوط، ألا يوجد في الشرطة الفلسطينية في ضباطها وجنودها الذين يريدهم عرفات حراسًا للإسرائيليين، بين هالضباط والجنود ما في شي واحد متصوّب برصاص إسرائيلي، ما في شي واحد الإسرائيليين قاتلينلو أهلو وخيو وإمو وبنتو، ما في شي واحد معتديين على عرضو، ما في شي واحد عندو شوية إحساس بالكرامة، ما في شي واحد شريف، يخرج على عرفات كما خرج خالد الاسلمبولي ليقول إن وجود ياسر عرفات على وجه هذه الأرض هو عار بحق فلسطين وعار بحق العروبة وعار بحق الإسلام؟"*[٢١٩]. وفي أمكنة أخرى وجّه إعلام الحزب نقدًا قاسيًا لحركة حماس، خاصة بعد أن تركت الحركة محور "المقاومة والممانعة" على إثر الحرب السورية، وعدم تمكنها من البقاء فيه نتيجة ضغط بيئتها "السنية"، مثلما ورد في مقال لحسين الديراني[٢٢٠]: *"زلزال تحرير مدينة حلب السورية من قبضة وسطوة السلفيين التكفيريين الإرهابيين أماط اللثام عن وجوه القوم وانكشف الغطاء، من هذه الوجوه الكالحة التي أصابها الزلزال وانكشفت بشكل جليّ وواضح هي حركة حماس التي ما استطاعت أن تخفي مشاعرها وحقدها المذهبي الدفين على من كان يمدها بالعون والمال والسلاح والأمن حين كانت حركة مقاومة في وجه الاحتلال الصهيوني. نعم سوريا التي كانت تؤيدها وتمدها بكل أسباب القوة العسكرية والسياسية، والحماية الأمنية لقادتها، والمقاومة الإسلامية حزب الله كان رجالها يحملون الصواريخ على أكتافهم كالعتالين ويدخلون الأنفاق لإيصالها إليهم، والجمهورية الإسلامية الإيرانية التي كانت توصل الأموال إليهم بصناديق مقفلة، كل هذا ذهب أدراج الرياح مع أول صيحة مذهبية نتنة خرجت من أفواه تجار الدين المتسكعين على أبواب الحكام الفجرة منذ بداية العدوان العالمي على سوريا"*[٢٢١].

القسم الثاني: اليسار مستتبَعًا، اليسار مواجِهًا، اليسار مسانِدًا

---

[٢١٩] *"حسن نصرالله ينتقد ياسر عرفات"*، Youtube، ٨ تشرين الأول ٢٠١٠. تم الدخول إلى الموقع بتاريخ ٣٠ أيلول ٢٠١٦، https://www.youtube.com/watch?v=B1QICm8qjZg

[٢٢٠] صحافي وكاتب مقرب من حزب الله

[٢٢١] حسين الديراني، *"حركة حماس من البنادق إلى الفنادق إلى الانتحار"*، بانوراما الشرق الأوسط، ١٧ كانون الأول ٢٠١٦. تم الدخول إلى الموقع في التاريخ ذاته، http://mepanorama.net/709038

في هذا القسم، سنتناول العلاقة بين اليسار والإسلام بعد تسيّد هذا الأخير على الساحة السياسية. هذه العلاقة المتنقلة بين المواجهة والاستتباع ومواجهة الاستتباع تُميّز اليسار المحلّي، بينما تصل العلاقة التي تربط بعض اليسار الإقليمي والعالمي ببعض أحزاب الإسلام الحركي في أيامنا المعاصرة، إلى حد تنظيم مؤتمرات الدعم.

الفقرة الأولى: أزمات في العلاقة بين الإسلام المتسيّد واليسار في لبنان

بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران وانتقال العدد الأكبر من الثوريين العالمثالثيين إلى العمل الحركي الإسلامي، رجحت كفة الإسلام الحركي على الساحة الثورية. وبعد سقوط الاتحاد السوفياتي، "يُتِّم" اليسار، و"تسيّد" الإسلام الثوري. وعلى الرغم من المساهمات الكبيرة لليسار الثوري في تمكين الإسلاميين وفي إعطائهم الخبرات العسكرية والفكرية والخطابية والتنظيمية الضرورية لانطلاق مسيرتهم الحركية، إلا أن العلاقة بين الإثنين لم تكن إيجابية، بعد نجاح الإسلام في الوصول إلى مراده.

يقول بعضهم، أن الإسلام الحركي استعمل اليسار للوصول، وعندما وصل، لم يتخلَّ فحسب عنه، بل حاربه وقاتله، ويعطون مثالًا على ذلك، ما حصل في إيران بين رجال الدين ومؤيديهم من جهة، وبين حزب "توده" الشيوعي أو "منظمة مجاهدي خلق" اليسارية-الإسلامية من جهة أخرى، أو ما حصل في لبنان بين حزب الله الناشئ حديثًا من جهة، والأحزاب اليسارية خاصة الحزب الشيوعي اللبناني من جهة أخرى.

إن ما يهمّنا هنا، هو الحالة اللبنانية، وبالأخص حالة "حزب الله" وعلاقته باليسار اللبناني بشكل عام بعد انتهاء الحرب اللبنانية، كون الحزب يشكل الحالة الحركية الإسلامية الأقوى، والوحيدة التي لديها تأثير معتبر على الساحة اللبنانية. فكيف كانت هذه العلاقة، وما المراحل التي مرت بها؟

البند الأول: احتكار المقاومة حتّم المواجهة

بعد مرحلة التعاون وأخذ الخبرات والتحول من اليسار، وعند تسيّد الإسلام الحركي على الساحة الثورية في لبنان، لم تكن العلاقات مع هذا اليسار على أفضل وجه. ولعل من يقرأ ردود بعض الإسلاميين على المراجعات المعلنة والأسئلة المفتوحة التي طرحها اليسار على نفسه في فترة نهاية الثمانينيات أوائل التسعينيات، يرى بوضوح كيف أن الجمع بين الفكر اليساري والفكر الإسلامي الأصولي هو جمعٌ هشّ، آنيّ، يفتقر إلى المشتركات التي لا بد منها في أية عملية جمع، ويركن إلى توفيقية مصلحية نفعية فيها من

التقية والبراغماتية ما يكفي ويزيد. فلا يمكن للإسلام الحركي الأصولي أن ينظر إلى الدين الإسلامي بكونه "تراثًا" أو "ظاهرة تاريخية" مثلما ينظر له اليسار. وها هو الشيخ "جعفر المهاجر" (وهو من غُلاة الشيعة في لبنان، والمقرب من حزب الله، والذي يعمل على إيجاد "تاريخ شيعي" في لبنان بالتعاون مع المؤرخ "سعدون حماده" ينفي ما هو مكتوب عن لبنان في كتب التاريخ المدرسي، وينفي الثنائية المارونية-الدرزية المؤسسة لجبل لبنان ولإمارته)، يردّ على "كريم مروّة" بعد طرح هذا الأخير مسألة للبحث والنقاش ناتجة عن مراجعة يقوم بها اليسار في حينه (أواخر الثمانينيات): "*ها هو الأستاذ كريم مروة يعود إلى بيته، عودة الابن الشاطر، بعد أن غادره منذ سنوات طويلة، أمضاها ضيفًا على الجيران الأبعدين. ثم ها هو يشيد بميزات" تراث" العائلة، وينصح بضرورة الاستفادة من حواضر البيت. والحقيقة أن هذا الأمر اكتشفته جماهيرنا البسيطة دون عناء، وها هي تمضي في تعزيز اكتشافها يومًا بعد يوم، شاقة طريقها بصعوبة وسط مختلف أشكال القمع السلطوي والتهزيل الإعلامي المدروس. والحقيقة أيضًا أن عودته كانت باهظة، كلفت قيام الثورة الإسلامية منذ عشر سنوات، و"البيرسترويكا" منذ أربع أو خمس سنوات. ومع ذلك فأهلًا وسهلًا، نقولها كالشيء لا لأننا كنا في البيت ساعة أطل، وإلا فإن البيت بيته كما هو بيتنا على حد سواء، لا فضل لأحد على أحد في الانتماء إليه، والإستظلال بسقفه، والتمتع بدفئه الحميم. ولكم كنا نتمنى لو كانت عودته من الباب الرئيسي، وليس من باب خلفي، فذلك الباب مفتوح على مصراعيه ليس عليه حاجب ولا بوّاب... الإسلام ليس "تراثًا" ولا "ظاهرة تاريخية" ولا أي شيء من هذا القبيل. إنه واقع، حي، فاعل. بل هو الواقع، الحي، الفاعل من أي النواحي أتيته، سواء من ناحية ثقافة الجماهير، أم حوافزها السياسية، أم تكوين ضميرها، ام ولائها... إن معنى وصف الإسلام بالتراث أنه نتاج وضع تاريخي واجتماعي ينتمي إلى زمن مضى وانقضى، هذا كلام يشفي ولا يجدي. وهناك من يرمي ببصره إلى المستقبل من خلال الحاضر، أولئك الذين يحسنون الإصغاء إلى واقع الجماهير المستضعفة المتململة القادمة على موجة الثورة الإسلامية الكبرى، بعد أن وجدت فيها الأنموذج والمثال الهادي. هل هذا "تراث" أم "ظاهرة تاريخية" أم "مستوى التطور الراهن لبلداننا"؟ كلا يا صديقي، إنه المستقبل، إنه (نحن) بمقدار ما تعني هذه الكلمة الذات والذاتي، وحتى أنت، عندما تكون أنت نفسك، انتماء غير منقوص، وليس مجرد "مصدر من مصادر معرفتي بتاريخ بلادي ومعرفتي بواقعها، ومصدرًا من مصادر وعيي ووعي المجتمع الذي أعيش فيه وشكلًا من أشكال الوعي السائد في هذا المجتمع (...) وأداة من أدوات البناء"... حينما تبدأ أنت "الماركسي العربي" (بالمناسبة، هذه العربي لا ضرورة لها) في قبول فكرة أن فتاة ترتدي الحجاب الإسلامي، أو أن شابًا يحرص على أداء فروضه الدينية، يمكن، بل إنهما حتمًا، أكثر تقدمًا من امرئ لا عمل له إلا رمي أمته بالعجز والعقم، وتقديم الدليل تلو الدليل، بالقول والعمل، أنه في صف الآخر، حيث كل شيء أفضل. حينذاك نكون قد بدأنا في تجاوز*

حقبة طويلة من التلذذ بممارسة فن تجنب الذات (وهو فن يتقنه ويتمتع به مثقفونا المتغربون) واستنباط قيمنا الفكرية والسلوكية من عقدة الاتضاع"[٢٢٢].

هذا على سبيل النظر والفكر، ولكن المواجهة لم تكن فقط كلامية، بل كانت بالدم أيضًا. فما أن تولّى مثلًا الشيخ هاشم منقارة إمارة مدينة الميناء المتصلة بطرابلس، *"قام مسلّحو إمارته باجتثاث الشيوعيين الذين كانت الميناء من معاقلهم"*[٢٢٣]. وهذه كانت حالة شائعة في المنطقة (من أسبابها أن بعض الأنظمة أطلق يد الإسلاميين لمواجهة التأثير اليساري)، ومصر كانت مثالًا مهمًّا، حيث جرى اغتيال الكاتب "فرج فودة" عام ١٩٩٢ وهو من الداعين إلى تحديث الإسلام، وجرت محاولة اغتيال الكتاب الحائز على جائزة نوبل "نجيب محفوظ"، وتم تهديد حياة "نصر حامد أبو زيد" ما اضطره إلى ترك مصر عام ١٩٩٥، وهو الذي كان تتجرّأ على تطبيق أدوات تحليل النص وعلومه، على النص القرآني[٢٢٤].

أما في لبنان، فقد كان الاتفاق الاستراتيجي بين الجمهورية الإسلامية في إيران ونظام الرئيس الراحل "حافظ الأسد" قد بدأ يدخل حيّز التنفيذ، ولبّه "احتكار كار المقاومة" من قبل التنظيم الإسلامي الجديد، الذي ولد من رحم الحرس الثوري وأجهزته العاملة في لبنان – ولكن بخبرة قتالية في صفوف اليسار ومخيمات حركة فتح سابقًا - أي حزب الله. وكان في هذا الاحتكار لكار المقاومة إيجابيّتان لطرفَيْه: فقد قدّم لحزب الله أداةً للتسيّد على الساحة الإسلامية واللبنانية، وقدّم للنظام السوري ضحية مجانية في القتال مع إسرائيل، يصرفها شرعيةً في الداخل "السني" السوري مقدّمًا نفسه على أنه الداعم للمقاومة وللقضية الإسلامية الأولى (قضية فلسطين)، وهو الخارج من مشاكل مع "السنة" في بلاده إثر ما حصل في مدينة "حماه" مع الإخوان المسلمين السوريين. حتّم هذا الاتفاق، خروج كل القوى اليسارية والشيوعية التي كانت تقاتل في الجنوب، وتخليها عن أدوارها في مقاتلة إسرائيل، ومن تأخر منهم في فهم المسألة بالتنبيه، فهمها بالدم. وبالنسبة لكثيرين من اليسارين والشيوعيين اللبنانيين، فإن النظام السوري بالتعاون مع حزب الله أو حركة أمل أو بعض القوميين السوريين، أو مع هؤلاء جميعًا، هم المسؤولون عن تصفية "اليسار المقاوم في الجنوب اللبناني". من "حسين مروّة" الذي قتله ثلاثة ملثمين وهو مريض في الفراش عام ١٩٨٧، إلى ثلة من أهم مفكري الحزب الشيوعي قضوا اغتيالًا، أهمهم "حسن حمدان" (المعروف بـ"مهدي عامل")، "سهيل طويلة"، "خليل نعوس"، و"ميشال واكد". ويروي "مسعود محمد" وهو ممن نشطوا إلى جانب الشيوعيين في الجنوب وكان على علاقة صداقة بهذه الأسماء أعلاه، أن *"القاتل لم يكن*

---

[٢٢٢] من ردّ للشيخ جعفر المهاجر بعنوان *"الإسلام ليس تراثًا"*، المنشور في جريدة السفير بتاريخ ١٨ تموز ١٩٨٩. منقول عن كريم مروة، مرجع سابق، ص. ٦١-٦٤

[٢٢٣] سعود المولى، مرجع سابق، ص. ٣١٨

[224] Fred Halliday, *"The Left and the Jihad"*, Open Democracy, April 6th, 2011. Accessed September 20th, 2016, https://www.opendemocracy.net/globalization/left_jihad_3886.jsp

مجهولاً، أفصح عن نفسه بوقاحة، أثناء تقبل التعازي بالشهيد مهدي عامل في مركز الحزب الشيوعي في وطى المصيطبة، حين خاطب رئيس فرع المخابرات في القوات السورية آنذاك غازي كنعان، الشهيد جورج حاوي وقيادة الحزب قائلاً " هل كان ضرورياً ان تدفعوا هذ الثمن؟". فغازي كنعان كان قد طلب من قيادة الحزب إحاطته والتنسيق معه في كل عمليات "جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية"، وإحاطته بتحركاتها، وبرنامجها، وأهدافها، كان يعمل على تدجين المقاومة. وسرد لي الياس عطاالله قائد جبهة المقاومة الوطنية، قصة لقائه وجورج حاوي الغير ودي مع عبد الحليم خدام لنفس الغرض، حيث خرج الياس عطاالله حينها بانطباع سلبي، واستنتج انه سيفرض على الحزب الخروج من المقاومة"[٢٢٥]. كما يورد "مسعود محمد" في مقاله، شهادة لنائب رئيس الحزب الشيوعي السيدة "ماري الدبس" في جوابها حول سؤال لجريدة "المناضل-ة" المغربية عن علاقة حزبها بحزب الله، تقول فيها: "*شهدت تلك العلاقات تحولات كبيرة منذ عقدين. قبل عشرين عاما، شن حزب الله حربا بلا هوادة ضد الشيوعيين. أعتقد أن الاتجاه السلفي الإسلامي الممثل بوجه خاص بحزب الدعوة –حزب سلفي بقواعد في العراق وإيران، ليست شيعية وحسب، بل ذات أغلبية شيعية- كان يرى في الحزب الشيوعي نقيضه في كل شيء. كان يسعى لإلغاء كل فكرة عن العلمانية والانفتاح وفلسفة مغايرة الخ. بدأت العلاقات متوترة للغاية ووصل حزب الله حد اغتيال العديد من رفاقنا، وبوجه خاص مثقفين وأطر جامعية*". وعن الاغتيالات عام ١٩٨٥ يقول "جورج حاوي" التالي: "*لا عاقل في العالم يضع خطة لتصفية الحزب الشيوعي الذي كان عدد أعضائه ٢٠ ألفا، إنما كانت هناك محاولة جدية لضرب قيادات الحزب ومفكريه من أجل تحجيم وتسهيل القبض عليه وتدجينه... أثناء تأبين الشهيد سهيل طويلة قلت: "ليس شيخا أو سيدا من يفتي بقتل الشيوعيين، بل هو حاخام". وقلت إن "اليد التي تمتد إلى الشيوعيين ستقطع عاجلا أم آجلا". نعم لقد قطعنا الكثير من الأيدي التي امتدت إلى الشيوعيين، نحن مش قلال، قُتل منا وقَتلنا منهم. المسؤول عن محاولة تصفية الحزب الشيوعي* ***هو هذه الحالة التي جرى فيها تحويل البرنامج الوطني للحركة الوطنية حالة مذهبية***"[٢٢٦].

البند الثاني: من المواجهة إلى الاستتباع

[٢٢٥]مسعود محمد، "*لا مذهب للظلامية ... قتل المفكر حسين مروة نموذجاً*"، Beirut Observer، ٢٤ شباط ٢٠١٦. تم الدخول إلى الموقع بتاريخ ٢٠ أيلول ٢٠١٦، http://www.beirutobserver.com/2016/02/133147/

[٢٢٦]"*الحزب الشيوعي بعد ثمانين عاماً: منعطفات المآثر والمآسي*"، الشاهد، ٢٢ أيار ٢٠١١، منشور أصلًا في النهار بتاريخ ١٤ نيسان ٢٠٠٤. تم الدخول إلى الموقع بتاريخ ٢٠ أيلول ٢٠١٦، http://ashahed.blogspot.com/2011/05/blog-post_226.html#.WFj3Ivl96bg

بعد استتباب الأمر في الجنوب لصالح "حزب الله"، وانتهاء الحرب اللبنانية وتوقيع اتفاق الطائف، ودخول السياسة اللبنانية بمجملها في الفلك السوري، خفت الحراك اليساري وضمر الوجود السياسي للشيوعيين، وهم الذي حُيِّدوا عن المناصب في الانتخابات الأولى التي جرت بعد انتهاء الحرب (١٩٩٢)، وزادوا تراجعًا وانتكاسًا بعد توقيع "اتفاق أوسلو" بين "منظمة التحرير الفلسطينية" و"إسرائيل" عام ١٩٩٤، وتكرس ذلك "بانتهاء" ثاني أكبر تنظيم يساري في لبنان وهو منظمة العمل الشيوعي. في تلك الفترة وبعدها، كان التمثيل السياسي لليسار منحصرًا بمن "يركبون بوسطات" الأحزاب الكبيرة، "الطائفية الهوى والهوية" والدائرة في الفلك السوري. وفقد اليسار تأثيره في العمل النقابي و"أُلحقت" النقابات والحراك العمّالي بالأحزاب الرئيسية (خاصة الأحزاب الشيعية، وهو أمر ما يزال مستمرًا إلى اليوم، حيث يقال، وعلى سبيل التندّر الذي يحوي شيئًا من الحقيقة، أن تحريك ملفات عمالية ونقابية و"مطالباتية" يتم في الشارع كلما كان الرئيس بري يريد شيئًا في السياسة). وبالإضافة إلى ذلك، فإن أحد أهم المنابر الصحافية للدفاع عن حزب الله ونقل وجهة نظره هو صحيفة الأخبار، التي يديرها ويكتب فيها يساريون، سابقون وحاليون. من مؤسسها "جوزيف سماحة"[٢٢٧] إلى رئيس تحريرها "إبراهيم الأمين"[٢٢٨]، وصولًا إلى الصحافي الأردني "ناهض حتّر" الذي أُفرِدت له مساحات غير قليلة في الصحيفة للتنظير لثورية حزب الله وللبعد اليساري في فكر الحزب وأمينه العام. وقد جُمعت مقالات "حتّر" هذه، في كتاب بعنوان "حسن نصرالله وقضايا التحرر الوطني"[٢٢٩].

البند الثالث: يسار في مواجهة الاستتباع

في أثناء ضمور تأثير اليسار وخفوت دوره، صعد جيل شاب في صفوف الجامعات، يساري الهوى تأثّرًا بعائلته أو محيطه، وكان ذلك قبيل الانسحاب الإسرائيلي من لبنان عام ٢٠٠٠. وكانت بداية إعادة الانطلاق *"في الجامعات من خلال مجموعات طلّابية مستقلّة عن الحزب الشيوعي اللبناني، وضمّت متأثرين بالفكر، وبتاريخ الشخصيات اليسارية اللبنانية، ومنهم الكثير من أبناء الحزبيين السابقين أو أقرباء لهم. فكان تأسيس مجموعات مثل "بلا حدود" في الجامعة الأميركية في بيروت، و"العمل المباشر" في البلمند، و"طانيوس شاهين" في الجامعة اليسوعية، و"بابلو نيرودا" في الجامعة اللبنانية الأميركية،*

---

[٢٢٧] وهو الذي التحق خلال دراسته في كلية الاداب في بيروت، بحزب العمال الثوري العربي قبل أن ينضم الى منظمة العمل الشيوعي في لبنان عام ١٩٧٢ اثر خلافٍ مع ياسين الحافظ على الموقف من المقاومة الفلسطينية.

[٢٢٨] إقرأ "ابراهيم الأمين: شيعي شيوعي بين علم كوريا والمجلس الشيعي" على موقع جنوبية، الذي تُذكر فيه شيوعية إبراهيم الأمين.

[٢٢٩] ناهض حتّر، *"حسن نصرالله وقضايا التحرر الوطني"*، شبكة ميسلون للدراسات والإعلام، بيروت، الطبعة الأولى، كانون الثاني ٢٠١٦.

وغيرهم في الجامعة العربية والجامعة اللبنانية... وقام اليساريون بمحاولة إنشاء تنظيمات سياسية، مثل "الخط المباشر" ولكن هذه الأخيرة باءت سريعاً بالفشل."[٢٣٠].

وعند الانسحاب الإسرائيلي من لبنان عام ٢٠٠٠، انقسم اليسار بين يسار مُستتبَع بسياسة محور سوريا-حزب الله، ويسار يريد ردّ الثأر الماضي، بين يسار مؤيّد "للوجود السوري" ويسار معارض "للاحتلال السوري". نجد مثلًا من بين هؤلاء، مجموعة من يساريي منظمة العمل الشيوعي ومن اليساريين المستقلين تضم "بلال خبيز" و"فادي عبدالله" و"فادي توفيق" و"كارل شرّو" و"مروان رشماوي" و"نديم قطيش" و"طوني شكَر" و"وليد صادق"، توقّع على بيان في أيار ٢٠٠١، تقول فيه أن الانسحاب الإسرائيلي وموقف الحكومة اللبنانية الملتبس جرّدا حزب الله من الدعم الشعبي الداخلي وحوّلاه الآن إلى "فرقة عسكرية" (Military band)، ما اضطره للهروب إلى الأمام وتبني تحرير فلسطين كقضيته الجديدة (بعد أن انتهت صلاحية عنوان "تحرير لبنان")، وهي القضية التي تم استغلالها دائمًا ووضعها كواجهة لأهداف وغايات مختلفة[٢٣١]. وفي العام ٢٠٠٤ كان تأسيس "اليسار الديموقراطي" (وسيكون ذلك مترافقًا في المقابل مع بدء تجميع جبهة يسارية عالمية لدعم حزب الله كما سنرى لاحقًا)، "*فانطلقت الحركة الجديدة في عملية بناء متسارعة جمعت خلالها المئات من الناشطين خاصة من المجموعات الطلابية والشبابية، والمستقلين من الحزب الشيوعي، ومعتكفين من منظمة العمل الشيوعي، ومفكرين وقياديين وصحافيين وناشطين مستقلين. وما كاد ينتهي اليسار الديموقراطي من التأسيس حتى انطلقت انتفاضة الاستقلال، فساهم اليسار بها بجدارة، وبسبب ذلك زادت الانشقاقات عن الحزب الشيوعي، وكان أهمها الحركة اليسارية اللبنانية. بالمقابل بقي الحزب الشيوعي غارقاً في تخبّطه خارج اللعبة السياسية بعيداً عن الأكثرية الساحقة من الرأي العام اللبناني، فاقداً بذلك محورية دوره بالعمل اليساري، التي تحولت الي اليسار الديموقراطي الذي أمسك بالمبادرة. ومع شدة الصراع السياسي، وحضور التنظيم الجديد، عادت الحيوية إلى اليسار وعاد دوره، وتكلّلت الحيوية بانتخاب أول يساري منظّم إلى المجلس النيابي اللبناني وهو أمين عام اليسار الديموقراطي الياس عطاالله لمقعدٍ نيابي في طرابلس. وكان ذلك رغم*

---

[٢٣٠] مارك ضوّ، *"اليسار اللبناني في مراحله الثلاث بعد الحرب"*، NOW، ٢٨ نيسان ٢٠١٥. تم الدخول إلى الموقع بتاريخ ٢٠ أيلول ٢٠١٦،
https://now.mmedia.me/lb/ar/%D8%AA%D8%AD%D9%82%D9%8A%D9%82%D8%A7%D8%AA/565190-%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%B3%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%AD%D9%84%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%84%D8%A7%D8%AB-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8

[231] *"Hezbollah with 'bare' arms"*, Karl Sharro Blog, May 2001. Accessed September 20th, 2016, http://karlsharro.co.uk/hezbollah_bare_arms.html

ضربات موجعة للحركة منها إغتيال سمير قصير، وجورج حاوي، ومرض حكمت العيد، والتهديدات الأمنية لقيادات اليسار الديموقراطي."[٢٣٢].

ولكن وبعد توالي الصراعات الداخلية في اليسار الديمقراطي، واقتحام مركزه من قبل عناصر حركة "أمل" في ٧ أيار ٢٠٠٨، عاد وتراجع دوره في الحراك ال "١٤ آذاري" خاصة بعد أن عادت الأحزاب التقليدية إلى واجهة اللعبة في صفوف ١٤ آذار. هذا اليسار الذي كمنت حالته، وخسر مرجعيته بسقوط الاتحاد السوفياتي، أصبح "مُستتبعًا" لأنه فقد المبادرة، سواء من جهة التحاق قسم منه بمحور سوريا-حزب الله، أو التحاق القسم الآخر بجوّ الرئيس رفيق الحريري (قبل اغتياله) وبجوّ خطه السياسي (بعد اغتياله). فكان تمويل اليسار، من الجهتين، يأتي من مجموعات لا تتفق مع نظرة اليسار "للمسألة الاقتصادية ومسألة الرجعية الدينية". وإذا كان من سبيل للتندّر هنا، فهو أن بعضًا من اليسار المواجه لحزب الله، واجه من على منبر مموّل أميركيًا، وأقصد هنا موقع NOW[٢٣٣]. فهذا الموقع الذي ضم يساريين مشهورين بمعارضتهم لحزب الله، كان يُدار بكليته من قبلهم، من أمثال "حازم الأمين" و"ديانا مقلّد" و"حنين غدار" وغيرهم (وكلهم شيعة، وهم ربّما المقصودون بكلام أمين عام حزب الله عندما قال "شيعة السفارة")، وبحديث لي مع أناس كان يعملون في الموقع[٢٣٤]، أكدوا أن التمويل أميركي، وأكّدوا، في الفترة التي بدأ الكلام فيها عن أن الأميركيين أوقفوا تمويل النشاط الإعلامي ضد حزب الله (إثر بدء المفاوضات النووية مع الإيرانيين) أن تمويل موقع NOW قد توقّف، ولهذا رأينا أنّ عمله انتهى تقريبًا، وانتقل صحافيوه إلى أماكن أخرى. "حنين غدار" مثلًا، انتقلت إلى "معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى"، وهي التي كانت لها شهادة في الكونغرس الأميركي سابقًا (في الوقت الذي كانت ما تزال تعمل فيه في موقع NOW في لبنان) ضدّ حزب الله، قوبلت هنا بمقالات من صحافيين مقربين من الحزب تتهمها فيها بالعمالة. ولكن المعارضة "الشيعية-الشيوعية" لحزب الله لا تقتصر على هذه الأمثلة، فموقع "جنوبية" مثلًا - الذي يرأس تحريره الصحافي "علي الأمين" – يضم مجموعة غير قليلة من الشيعة الشيوعيين (سابقين وحاليين) الذين يبنون نقاشًا مستمرًا حول وضعية حزب الله ويسندون به (أي بهذا النقاش) معارضتهم للحزب. نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، "عماد قميحة" و"علي الأمين" و"مصطفى فحص". والجدير بالذكر هنا، هو أن هؤلاء الشيوعيين (السابقين منهم والحاليين) الشيعة المعارضين لحزب الله، يجدون سندًا في رجال الدين الشيعة المعارضين أيضًا للحزب، كمثال الشيخ "عباس الجوهري". فالمسألة لم تعد مسألة صراع عقائد، بل أصبحت – ولربما كانت دائمًا – صراعًا سياسيًا.

---

[٢٣٢]مارك ضوّ، مرجع سابق

[٢٣٣]هو موقع إلكتروني للأخبار، والتقارير، والتحاليل وأكثر، عن لبنان، والاغتراب اللبناني والشرق الأوسط

[٢٣٤]فضّلوا عدم ذكر أسمائهم.

على ضفّتَيْ الاصطفاف، استُفيد من اليساريين، واستفاد هؤلاء اليساريون ماليًا أو حضورًا سياسيًا، ولكن من قبل مجموعات هم على اختلاف عقائدي معها، إذا كنا سنأخذ اليسار بكليته المفاهيمية والعقائدية التي ارتسمت إيام ما كان يشكل "حالة" تؤثر في وعي كثيرين (بغض النظر عن انتماءاتهم) ولو بنسب مختلفة. وضمور الدور، مضافًا إلى شحّ التمويل (الذي تأثر أيضًا بحالة الرئيس سعد الحريري المالية) هو الذي أجبر اليسار على إعادة تقييم أوضاعه، وربما كان "الحراك المدني" الذي شهده لبنان على إثر أزمة النفايات، أولى القنوات التي بدأ يظهر فيها اليسار الجديد، المنفضّ عن ضفّتَيْ الاستتباع القديمتين.

الفقرة الثانية: اليسار العالمي داعمًا الإسلام الحركي

في بداية تسعينيات القرن العشرين، أي بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، بدأ اليسار الأوروبي بالنظر إلى الأقليات المسلمة في بلاده باعتبارها "البروليتاريا" الجديدة، وبأن القضية الفلسطينية هي آلية تجنيد عناصر جديدة. وكانت تجربة اليسار الثوري في العالم الثالث المسلم، مع الإسلاميين الحركيين، أو مع الإسلام بشكل عام، تجربة يمكن لليسار الأوروبي أخذ العبر منها في التقرب من المسلمين، "البروليتاريا" الجديدة". وتطوّر مسار الالتقاء بين الإسلام الحركي العالمثالثي، وبين اليسار الأوروبي الساعي إلى إعادة نهوض، متّكئًا على نقاط تجمع الإثنين، أهمها "العداء للإمبريالية الأميركية والمشروع الصهيوني"، حتّى وصل هذا الالتقاء إلى حد التنسيق على الأرض لتحريك الشارع الأوروبي، وكانت تظاهرة "لندن" المليونية ضد غزو العراق عام ٢٠٠٣، أحد أهم الأمثلة على التعاون بين المنظمات المسلمة وحزب العمال الاشتراكي (التروتسكي) والحزب الشيوعي (الستاليني) في بريطانيا[٢٣٥].

أعاد اليسار الغربي استحضار كتابات الأصوليين الإسلاميين، مثل "سيد قطب" و"أبو الأعلى المودودي"، مفتّشًا فيها عن التقاء بين الإسلام والاشتراكية، أو بين الإسلام والأفكار اليسارية، وعن أوجه الشبه بين الهيكليات التنظيمية للأحزاب الإسلامية الحركية والحزب الشيوعي السوفياتي. وتحوّل هؤلاء اليساريون الغربيون، إلى أعتى المدافعين عن كل ما يخص الإسلام في الغرب، فمثلًا، جرى دعم مجمل مشاريع بناء المساجد في إيطاليا، من قبل اليسار الإيطالي الذي كان يشن حربًا إيديولوجية ضد الكنيسة الكاثوليكية[٢٣٦].

---

[235] Colin Shindler, *"The European Left and Its Trouble With Jews"*, New York Times, October 27th, 2012. Accessed September 20th, 2016, http://www.nytimes.com/2012/10/28/opinion/sunday/europes-trouble-with-jews.html

[236] William Kilpatrick, *"Double Trouble: The Leftist Threat and the Islamist Threat"*, Crisis Magazine, March 20th, 2014. Accessed September 20th, 2016,

إن هذا المسار الذي بدأ بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، ترافق مع ظهور كتابات يسارية أوروبية تقرّب المسافة بين الإسلام واليسار عندهم، وتسهل عملية التقارب، ككتاب بعنوان "النبي والبروليتاريا"[٢٣٧] للقائد التروتسكي البريطاني "كريس هارمن"، وكتابات "ألان غريش"، الكادر المؤثر في الحزب الشيوعي الفرنسي، في ال "Monde Diplomatique" حول المسألة[٢٣٨]، وغيرهم. وكانت تطرح أسئلة كثيرة على اليسار، من أطراف غربية غير يسارية، حول هذا التقارب، وحول "ازدواجية المعايير التي يعتمدها اليسار في النظر إلى الحركات الدينية الأصولية في العالم، وسكوتهم الدائم عن الإسلام الحركي الأصولي"، فتوسّع اليسار في التنظير للمسألة. فكانت مثلًا إجابته عن سؤال "أليس للراديكالية الدينية الإسلامية ارتباط بالدين الإسلامي تحديدًا"، بأن "الراديكالية الإسلامية هي ردّ على الإمبريالية الغربية"، بحسب الفيلسوف السلوفيني "سلافوي زيزك". كما جاءت بعض المرافعات ال "ما بعد حداثوية" دفاعًا عن الراديكالية الإسلامية، على لسان أستاذ الأدب "ميشال هاردت" والفيلسوف الإيطالي "أنطونيو نيغري"، الذي يؤكّد أن الإسلام بحد ذاته هو مشروع "ما بعد حداثوي"، ويقول: "*إن ما بعد حداثَةُ الأصولية تكمن في رفضها للحداثة بكونها سلاحًا للسيطرة في يد أوروبا وأميركا... إنه، وفي حدود تعبير الثورة الإيرانية عن رفض عميق للسوق العالمية، يمكننا اعتبار هذه الثورة كأول ثورة ما بعد حداثية*"[٢٣٩].

إن كثرًا ممن لا يوافقون اليسار الأوروبي مساره هذا، يردون ازدواجية المعايير التي يعتمدها في النظر إلى الحركات الدينية الراديكالية، وعدم الاتساق بين مطالبات اليسار الأوروبي (حقوق المرأة، حقوق المثليين، ...) والمنهج الإسلامي الأصولي الذي تعتمده الحركات الإسلامية، إلى الفراغ الذي شعر به اليسار بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، وحاجة هذا اليسار إلى إيجاد حليف في مواجهة عدوّه الأول (الإمبريالية الغربية). ويذهب بعض المغالين في نقد اليسار، إلى أن هذا الأخير يحتاج دائمًا إلى "الآخر العدوّ" لكي يستطيع الاستمرار، إلى "الآخر السيئ" الذي يجب محاربته، وحتى لو كان هذا "الآخر" غير موجودٍ، يجب خلقه وإيجاده[٢٤٠]. ويردّ البعض، اليُسر الذي لاقاه اليسار في ملاقاة الإسلام، إلى أوجه الشبه

---

http://www.crisismagazine.com/2014/double-trouble-the-leftist-threat-and-the-islamist-threat

[237] Chris Harman, *"the Prophet and the Proletariat"*, bpcc, 1994, 171 pp.

[238] Frédéric Koller, *"L'islam déchire la gauche française"*, Le Temps, January 26th, 2016. Accessed September 20th, 2016, https://www.letemps.ch/monde/2016/01/26/islam-dechire-gauche-francaise

[239] Michael Walzer, "*Cette gauche qui n'ose pas critiquer l'islam*", Le Monde, 11 Mai, 2015. Visité le 20 Septembre, 2016, http://www.lemonde.fr/idees/article/2015/05/08/cette-gauche-qui-n-ose-pas-critiquer-l-islam_4630280_3232.html

[240] Jean-Patrick Grumberg, *"La gauche dénonçait la religion opium des peuples, elle se retrouve droguée par l'islam"*, Dreuz, 20 Juillet, 2016. Visité le 20 Septembre, 2016,

التنظيمية[٢٤١] أو العقائدية[٢٤٢] بين الإسلام والماركسية، أو إلى تحوّل الفكر اليساري نحو الاهتمام بموضوع الأقليات، بكل ما تعنيه كلمة أقلية (أقلية دينية مسلمة في أوروبا، أقلية مثلية جنسيًا، ...)[٢٤٣].

مهما كان هناك من جدال نظري في هذا الأمر، إلا أن هناك واقعًا عمليًا لا بد من متابعته وتفكيك أحجياته. وفيما يلي، نماذج عديدة (مفصّلة قدر الإمكان، ولكنها بالتأكيد لا تغطّي كافة المسألة، التي هي بحاجة لأبحاث معمّقة ومطوّلة لا تتسع لها رسالتنا) عن حصول منظومات الإسلام الحركي، خاصة حزب الله، على الدعم من اليسار العالمي، المتطرّف منه والمعتدل، بالإضافة إلى بعض الحالات التي تضم دعمًا من جهات أوروبية يمينية متطرفة، وتدعو إلى التوقّف عندها (خاصة في الحالة الفرنسية):

البند الأول: مؤتمرات تجمع يساريين وإسلاميين بهدف دعم منظمات الإسلام الحركي

كانت القاهرة وبيروت، خاصة بعد عام ٢٠٠٣، مكانًا للالتقاء بين الأحزاب الإسلامية الشرق أوسطية والحراك اليساري الأوروبي والعالمي، من خلال منتديات ومؤتمرات عديدة ومتكررة[٢٤٤]. أولها كان "حركة مناهضة الحرب والعولمة" التي تأسست عام ١٩٩٩[٢٤٥]، والتي عقدت لقاءًا في بيروت في السادس عشر من تموز عام ٢٠٠٤، تقرر خلاله عقد مؤتمر في لبنان بين ١٧ و١٩ أيلول من العام ذاته (وهي الفترة التي كان القرار ١٥٥٩ قد صدر عن مجلس الأمن، وكانت الولايات المتحدة تقود بحربَيْن في الشرق الأوسط، في أفغانستان والعراق). وكان قد سبقه مؤتمر في العام ٢٠٠٣ في العاصمة الإندونيسية "جاكرتا" صدرت عنه وثيقة تركز "*على كيفية تعزيز حركات مناهضة الحرب ودعم*

---

http://www.dreuz.info/2016/07/20/et-la-gauche-fut-droguee-par-lopium-des-peuples-lislam/

[241] Hamdane Ammar, *"L'islam, dernier recours de la gauche pour rester au pouvoir"*, Riposte Laique, 7 Février, 2014. Visité le 20 Septembre, 2016, http://ripostelaique.com/lislam-dernier-recours-de-la-gauche-pour-rester-au-pouvoir.html

[242] Alexandre Del Valle, *"La gauche révolutionnaire complice du totalitarisme islamiste"*, Alexandre del Valle Blog, 18 Juin, 2016. Visité le 20 Septembre, 2016, http://www.alexandredelvalle.com/single-post/2016/06/17/La-gauche-r%C3%A9volutionnaire-complice-du-totalitarisme-islamiste

[243] Alexandre Devecchio, *"Extrême-gauche et Islam : une alliance contre-nature?"*, Le Figaro, 24 Juillet, 2014. Visité le 20 Septembre, 2016, http://www.lefigaro.fr/vox/politique/2014/07/23/31001-20140723ARTFIG00311-extreme-gauche-et-islam-une-alliance-contre-nature.php

[244] Nicolas Dot-Pouillard, op. cit., p. 20

[٢٤٥] ملتقى الشبكة النسائية العالمية، (مشاركة دون عنوان ودون إسم كاتب). تمت زيارة المنتدى بتاريخ ٢٠ أيلول ٢٠١٦، http://www.fin3go.com/vb2/archive/index.php/t-2678.html

نشاطاتها ووضع أسس جديدة لعملها، خصوصاً لجهة إشراك الحركات الإسلامية في النضال العالمي لمناهضة الحرب"[٢٤٦]. عُقد المؤتمر اللاحق في بيروت بالتوقيت المقترح، وتوجّهت كلماته نحو "التنديد بالسياسات وبالحروب الأميركية، ونحو دعم حركات المقاومة والتحرر في العالم العربي خاصة في فلسطين والعراق ولبنان"[٢٤٧]. وكانت الكلمة الافتتاحية في المؤتمر، لناشطة يسارية من "منظمة العمل الشيوعي"، وهي "نهلى الشهال" والتي تنشط ضمن المنتدى الاجتماعي الاوروبي، وحركة مناهضة الحرب والعولمة في فرنسا (وهي صديقة قديمة لخليل عكاوي "الأبو عربي")[٢٤٨]. شارك في المؤتمر أكثر من ٣٠٠ ناشط يمثلون أمثر من ٢٠٠ حركة تدور في الفلك اليساري والإسلامي (مجملها من دول العالم الثالث)، وصدر عنه "إعلان ملتقى بيروت الدولي حول استراتيجية حركات مناهضة الحرب والعولمة". وشارك حزب الله فيه، وكان للدكتور "علي فياض" كلمة قال فيها "*إن هذا المؤتمر حقق نجاحاً ملحوظاً في بلورة خطاب سياسي وأجندة عمل لتأييد المقاومة في العراق وفلسطين ولبنان. واثبت ان بالإمكان حشد الرأي العام الأوروبي لمؤازرة القضايا العربية والإسلامية. كما وكشف عن وجود قابلية حقيقية لتطوير مشاركة الإسلاميين في مؤتمرات حركة مناهضة العولمة*"[٢٤٩].

وإلى جانب "حركة مناهضة الحرب والعولمة"، هناك مؤتمرات أخرى تُقام في لبنان وسوريا وإيران، تجمع يساريين وإسلاميين بهدف دعم حزب الله وحركة حماس (قبل الشقاق الذي حصل بين حماس و"محور المقاومة والممانعة" إثر الأحداث السورية). من هذه المؤتمرات مثلًا "مؤتمر بيروت لدعم المقاومة" الذي عقد مؤتمرًا له بين ١٦ و١٩ تشرين الثاني عام ٢٠٠٦، بتنظيم من "حزب الله" بالاشتراك مع "الحزب الشيوعي اللبناني" وعدد من المجموعات المدنية (اليسارية بمجملها) في لبنان. وهذا المؤتمر الذي أتى بعد حرب تموز ٢٠٠٦، ضمّ إليه أيضًا وفدًا كبيرًا من "حركة مناهضة الحرب والعولمة"، وهو كان، بحسب "وائل خليل"، أحد المشاركين فيه، "*فرصة رائعة للقوى المناهضة للإمبريالية لإعلان دعمها غير المشروط للمقاومة اللبنانية ولحزب الله في هذه الفترة الحاسمة. وبالإضافة إلى ذلك مثل المؤتمر محاولة لربط حركة مناهضة العولمة والحرب في العالم بالحركات المقاومة في لبنان والمنطقة العربية بشكل عام، وكما عبر العديد من المشاركين، فإن حركة مناهضة الحرب تقف في نفس الخندق مع*

---

[٢٤٦] قاسم قصير، "*بمشاركة حركات وشخصيات دولية وقوى سياسية لبنانية - مؤتمر في بيروت لتعزيز مناهضة الحرب والعولمة*"، المستقبل، ٦ أيلول ٢٠٠٤. تم الدخول إلى الموقع بتاريخ ٢٠ أيلول ٢٠١٦، http://www.almustaqbal.com/v4/Article.aspx?Type=np&Articleid=83417

[٢٤٧] جهاد عقل، "*لماذا التحريض على مؤتمر بيروت للحركة العالمية لمناهضة الحرب والعولمة؟*"، الجبهة، ٢١ أيلول ٢٠٠٤. تم الدخول إلى الموقع بتاريخ ٢٠ أيلول ٢٠١٦، http://www.aljabha.org/INDEX.ASP?i=6987

[248] Nicolas Dot-Pouillard, op. cit., p. 7

[٢٤٩] قاسم قصير، "*الوفد العراقي ينسحب احتجاجاً على النتائج - "مناهضة العولمة" تختتم مؤتمرها بـ"إعلان بيروت"*"، المستقبل، ٢١ أيلول ٢٠٠٤. تم الدخول إلى الموقع بتاريخ ٢٠ أيلول ٢٠١٦، http://www.almustaqbal.com/v4/Article.aspx?Type=np&Articleid=85850

المقاومة في المعركة ضد عدو مشترك، ضد الإمبريالية... ودعا العديد من المشاركين إلى توثيق الصلات بين الحركات الإسلامية وبين حركات اليسار في العالم وإلى تجاوز الخلافات فيما بين تلك القوى حيث أنها تواجه عدو واحد. فقد أشار خالد حدادة أمين عام الحزب الشيوعي اللبناني إلي تجربة التحالف القائمة بين حزب الله والحزب الشيوعي والتي سبقت الحرب على لبنان بشهور. وبدوره دعا نعيم قاسم، نائب الأمين العام لحزب الله، إلى تحالف يضم كل قوى المقاومة والمستضعفين والأحرار على مستوى العالم وإلى تجاوز الخلافات العقائدية في سبيل المعركة الأهم ضد الاستعمار. ودعا خربيرتو ألفارس، الناشط بحركة مناهضة الحرب بالمكسيك، إلى توسيع المعركة ضد الإمبريالية خارج المنطقة لأنها معركة العالم الحر أجمع وإلى خوض "معركة الأفكار" ضد الدعاية الإمبريالية السائدة."[٢٥٠].

البند الثاني: يسار من حول العالم سندًا للإسلام الحركي

تظهر بين الحين والآخر مجموعات يسارية أوروبية أو أميركية، تبدي تماهيًا مع خطاب حزب الله أو مع خطاب المحور الذي يضم الحزب. ففي اليونان، وبعد استخدام السلاح الكيميائي في سوريا عام ٢٠١٣، حذّر حزب "سيريزا" وهو الحزب المعارض الأساسي، الحكومة اليونانية من المشاركة في أي عملية "امبريالية" عسكرية على سوريا، قائلًا بأن السوريين هم الوحيدون الذين يحددون مصيرهم، والذي يجب أن يحددوه بوسائل سياسية وسلمية تنهي الحرب الأهلية الدموية[٢٥١]. يتقاطع هذا الخطاب مع خطاب الجبهة الممانعة التي تدعم النظام السوري.

في مقابل ذلك، وبشكل قد يدعو للعجب، تتشابه مواقف بعض اليسار اليوناني من سوريا مواقف اليمين المتطرف اليوناني، وهو ما يُطلق عليه حديثًا اسم "اليمين الفاشي" (أو النازي) متمثّلًا بمجموعات Black Lily وGolden Dawn. وتواترت معلومات عن مشاركة عناصر "الزنبقة السوداء" (Black Lily) في الحرب السورية إلى جانب مقاتلي النظام وحزب الله، وتدرّبها مع عناصر الحزب. هذه المجموعات اليمينية (بحسب التصنيف المعتاد) التي تمزج بين التوجهات القومية والنهج الفوضوي (anarchist) والتطرف اليميني والخطاب المعادي للرأسمالية، تركّز على العمل المباشر، وترى نفسها

---

[٢٥٠] وائل خليل، *"مؤتمر بيروت لدعم المقاومة"*، الإشتراكي، ١ كانون الأول ٢٠٠٦. تم الدخول إلى الموقع بتاريخ ٢٠ أيلول ٢٠١٦، http://revsoc.me/arab-and-international/mwtmr-byrwt-ldm-lmqwm-16-19-nwfmbr-2006/

[251] *"Syriza on Syria: no 'imperialist' intervention"*, EnetEnglish, August 28th, 2013. Accessed September 20th, 2016, http://www.enetenglish.gr/?i=news.en.article&id=1421

في "الموقع الثالث" (third positionist) خارج تصنيف يمين/يسار. وهذه المجموعة اليونانية، هي عضو في مجموعة أوروبية أوسع اسمها "جبهة دعم سوريا" (ESFS) ساهمت في حشد مظاهرات كثيرة في أوروبا دعمًا للأسد، بدعم من المجموعة الفاشية الإيطالية CasaPound ومن البلجيكي الذي يصنف نفسه أنه "في الموقع الثالث" "روبن سوسييرز"[٢٥٢]. ومن المعلوم أن اليد اليمنى لِـ"أدولف إيكمان"، الضابط النازي "أولواس برونر" (Alois Brunner) عاش بقية حياته بعد هروبه من ألمانيا، في سوريا[٢٥٣]، وكانت له مساهمات أمنية وعسكرية إلى جانب الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد.

هذا اليمين اليوناني الذي يركز على المسألة القومية وتعظيم الدم والسلالة اليونانيين، والذي يلتقي مع اليسار في المسألة السورية، خاصة من ناحية الأسد، يرى في المقابل - وهنا مدعاة العجب – أن الشيوعيين هم أولئك الأمميون الذين يسعون لإنهاء الأمة اليونانية[٢٥٤].

أما في بريطانيا وصحافتها، فلعل أشهر اليساريين المدافعين عن الإسلام الحركي في المنطقة بوصفه "مقاومة"، خاصة "حماس" و"حزب الله"، هو "روبرت فيسك". كثيرة هي المقالات التي يدافع فيها فيسك عن التنظيمين، وعادةً ما ينتقد التغطية الإعلامية الغربية لهما وما يسميه "توجيه الرأي العام الغربي نحو قوالب مفاهيمية جاهزة فيما خص حزب الله وحماس"[٢٥٥]. ولعل "فيسك" هو من أكثر المدافعين عن حزب الله، ضد ما يسميه "ازدواجية المعايير" الغربية في وصف الحركات والأعمال[٢٥٦].

أما أبرز السياسيين اليساريين في بريطانيا، الذين يدافعون على الإسلام الحركي ويتعاونون معه، هو "جيريمي كوربين". فهذا النائب التروتسكي التقليدي والذي ينتمي إلى اليسار المتطرف، هو المشهور

---

[252] Brian Whelan, *"Are Greek Neo-Nazis Fighting for Assad in Syria?"*, Vice, October 1st, 2013. Accessed September 20th, 2016, http://www.vice.com/read/are-greek-neo-nazis-fighting-for-assad-in-syria1

[253] Alex MacDonald, *"Europe's far-right activists continue to throw their weight behind Syria's Assad"*, Middle East Eye, December 2nd, 2014. Accessed September 20th, 2016, http://www.middleeasteye.net/in-depth/features/europes-far-right-activists-continue-throw-their-weight-behind-syrias-assad

[254] Sofia Vasilopoulou & Daphne Halikiopoulou, *"RISING GOLDEN DAWN: INSIDE GREECE'S NEO-NAZI PARTY"*, Sustainable Security, November 1st, 2016. Accessed December 3rd, 2016, https://sustainablesecurity.org/2016/11/01/rising-golden-dawn-inside-greeces-neo-nazi-party/

[255] *"Robert Fisk on false representation of Hezbollah"*, Youtube, June 27th, 2007. Watched on September 20th, 2016, https://www.youtube.com/watch?v=QaCN9qZJNsw

[256] Jeremy Havardi, *"The sad delusions of Robert Fisk"*, The Commentator, July 25th, 2013. Accessed September 20th, 2016, http://www.thecommentator.com/article/3984/the_sad_delusions_of_robert_fisk

بعدائه لإسرائيل والراعي الأول لِـ"حملة التضامن مع فلسطين". دعا مثلًا "كوربين" عام ٢٠٠٩ مجموعة من "حماس" و"حزب الله" إلى مجلس النواب البريطاني لإلقاء كلمة، وهو كان قد صرّح قبل يوم من موعد انعقاد المجلس، وفي اجتماع لأعضاء ائتلاف "أوقفوا الحرب" (حركة من الحركات التي يدعمها والتي جابت شوارع لندن حاملة لافتات "كلنا حزب الله"[٢٥٧]) بأنه "مسرورٌ لاستضافة أصدقائنا في حزب الله الذين سيلقون كلمة غدًا في مجلس النواب عندنا". كما استضاف عام ٢٠١٢ "موسى أبو ماريا" وهو عضو في "الجهاد الإسلامي"، ومعروف عن "كوربين" أيضًا دعمه العلني للشيخ رائد صلاح رئيس الحركة الإسلامية في شمال إسرائيل[٢٥٨]. كما شارك "كوربين" في احتفالية نظمها السيّد "حسن الصدر" - وهو ممثل السيد "مقتضى الصدر" في بريطانيا – في شباط ٢٠١٥، في "الذكرى الخامسة والثلاثين لانتصار الثورة الإسلامية في إيران"، دعا فيها (أي كوربين) المجتمع الدولي لإلغاء كافة العقوبات على إيران[٢٥٩]. ويرتبط "كوربين" بمجموعات يسارية متطرفة، أهمها أصحاب نظريات المؤامرة لما حدث في ١١ أيلول (ولعل أبرزهم "تييري ميسان" الذي سنأتي على ذكره لاحقًا)، ويروي عنه صديقه "ليو ماكّنستري" الذي استمر بالعمل الانتخابي إلى جانبه عشر سنوات، أنّه "من المتعلّقين بكل ما هو كفاح مسلح، وهو ثائر دائم لن يتغيّر، يتحمّس أكثر ما يتحمّس لدعوة المجموعات الراديكالية إلى اجتماعات شهر آب في مجلس العموم البريطاني، وأنه يقول دائمًا بأنه لا يستطيع أن يصادق أحدًا ليس يساري الهوى"[٢٦٠]. لِـ"كوربين" عامود دائم في صحيفة "نجمة الصباح" (The Morning Star) وهي الصحيفة الشيوعية في بريطانيا. ويتبيّن من قراءة الافتتاحيات المتعلقة بمنطقة الشرق الأوسط في الصحيفة هذه، أن سردياتها تسبه سرديات محور "المقاومة والممانعة"، فقد كتبت منذ أيام عما يجري في مدينة "حلب" السورية، منتقدةً من يصفون مقاتلي المعارضة هناك بأنهم "مقاتلون من أجل الحرية" (Freedom Fighters) وبأن خسارتهم حدث سلبي وسيئ، فتقول بأنهم ليسوا بمقاتلين ساعين من أجل

---

[257] Alan Johnson, *"Europe's Left in Crisis"*, World Affairs, June 5th, 2014. Accessed September 20th, 2016, http://www.worldaffairsjournal.org/blog/alan-johnson/europe%E2%80%99s-left-crisis

[258] Ari Soffer, *"UK Labor Leadership Candidate Hosted Hezbollah in Parliament"*, Arutz Sheva, June 16th, 2015. Accessed September 20th, 2016, http://www.israelnationalnews.com/News/News.aspx/196823

[259] Andrew Gilligan, *"Jeremy Corbyn, friend to Hamas, Iran and extremists"*, The Telegraph, July 18th, 2015. Accessed September 20th, 2016, http://www.telegraph.co.uk/news/politics/labour/11749043/Andrew-Gilligan-Jeremy-Corbyn-friend-to-Hamas-Iran-and-extremists.html

[260] Jake Wallis Simons, *"Labour's Hamas connection"*, Politico, June 24th, 2015. Accessed September 20th, 2016, http://www.politico.eu/article/labour-hamas-london-ira/

الحرية، وخبر خسارتهم ليس سيئًا، فهم إرهابيون يحتلون شرق حلب، ويقاتلون من أجل قضية وتصور قَرَوَسْطيَّيْن دمويّيْن[٢٦١].

في بريطانيا، كما في بقية بلدان العالم التي يوجد فيها اليسار، خاصة المتطرف منه، نرى اللازمة عينها بالنسبة لهذا اليسار: "يجب الوقوف إلى جانب كل من يعارض ويقاوم أميركا وإسرائيل، بغض النظر عن هويته". يعتبر اليسار الأوروبي أن حركات الإسلام السياسي هي بالضرورة معادية للإمبريالية الغربية، ويساندونها في أكثر الأحيان دون الدخول في تفاصيل الفوارق بينها أو حقيقة مواقفها من المسائل.

وبالإضافة إلى اليونان وبريطانيا، فإن ما يدعو للاستغراب في فرنسا مثلًا، هو أن داعمي الإسلام الحركي (خاصة حزب الله ومحور "المقاومة والممانعة") ليسوا فقط من اليسار أو اليسار المتطرف، إنما أيضًا من اليمين المتطرف التابع "للجبهة الوطنية" (Front National)، وليس ذلك عن عبث، بل عن تنسيق مسبق بين شخصيات محورية وعلاقات قربى، تربط بين التوجّهين.

إحدى الشخصيات الرئيسية الفرنسية التي تدور في فلك قوى الإسلام الحركي (خاصة حزب الله) وتعمل بالتنسيق مه محور "المقاومة والممانعة" هو "تييري ميسان" (Thierry Meyssan). يرأس "ميسان" تحرير مواقع صحفية عديدة لبلدان من العالم الثالث، وهو الذي أنشأ موقع "شبكة فولتير" (Réseau Voltaire)[٢٦٢] التي تشكل منبرًا مقروءًا بكثرة، لليساريين واليساريين الراديكاليين والدائرين في فلك الإسلام الحركي وخاصة حزب الله، وأصحاب نظريات المؤامرة الصهيونية وإنكار ما حدث في ١١ أيلول في الولايات المتحدة. بدأ مسيرته المهنية كصحافي عام ١٩٩٤ كمحرر لصحيفة "Maintenant" اليسارية، بعد أن كان انضم في العام السابق إلى ال PRG وهو أحد أقدم الأحزاب في فرنسا، وينتهج خطًا يساريًا وسطًا، ووصل إلى مركز قيادي فيه على صعيد فرنسا ككل. ينتقد "ميسان" في كتاباته التغطية الإعلامية الغربية لأحداث العالم ويوجّه نقده بشكل خاص إلى حلف شمال الأطلسي، وإلى الولايات المتحدة، التي خصص لأحداث ١١ أيلول فيها، كتابًا فحواه أن "المجمع الصناعي-العسكري الأميركي هو وراء حادثة تحطم البرجين لتبرير السياسات الإمبريالية الأميركية القادمة". نظّم "ميسان" مؤتمرًا دوليًا عام ٢٠٠٥ أطلق فيه محورًا اسمه "محور السلام" (Axis for Peace) موجّهًا ضد المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأميركية، كما وطبع كتابًا عام ٢٠٠٧ عن حرب تموز، وهو من الزائرين الداعمين لحزب الله في لبنان، وأسس منذ عام ٢٠١٢ إبان تغطيته للأحداث السورية، مركزًا

---

[261] Editorial, *"Aleppo: The Untold Story"*, The Morning Star, December 13th, 2016. Accessed December 16th, 2016, https://www.morningstaronline.co.uk/a-8eb5-Aleppo-the-untold-story#.WFZ4nfl96bg

[262] http://www.voltairenet.org/

للدراسات الاستراتيجية، يتعاون فيه مع النظام ويساهم في إعداد كوادره السياسية[٢٦٣]. وعلى نمط اليساريين الثوريين في العالم العربي الذين رأوا في الثورة الإيرانية حدثًا جللًا، يعتبر "ميسان" أن انتصار الثورة عام ١٩٧٩ في إيران حدث تاريخي كبير يوازي الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ والثورة البولشفية عام ١٩١٧. بعد عام ٢٠٠٨، ترك أوروبا وأتى إلى سوريا، ومنها انتقل إلى العيش في الضاحية الجنوبية لبيروت حيث يعمل (بحسب قوله) في قناة المنار التابعة لحزب الله[٢٦٤].

نائب "ميسان" في "شبكة فولتير" هو الصحافي اللبناني "عيسى الأيوبي" (مندوب جريدة الديار) الذي دافع عبر الإعلام الفرنسي في تشرين الثاني عام ٢٠٠٤ عن حق قناة "المنار" التابعة لحزب الله في البث في فرنسا. "الأيوبي" من جانب آخر، هو عضوٌ قيادي في الحزب السوري القومي الاجتماعي، الذي شارك حزب الله في عمليات "٧ أيار" في بيروت وشاركه ويشاركه في العمليات العسكرية في سوريا، كما ساهم ببعض الأعمال الحربية في حرب تمّوز، والتي على إثرها أتاه وفد من فرنسا ضم "ميسان" و"ديودونّيه" و"ألان سورال" وشخصين آخرين تابعين للجبهة الوطنية (اليمين المتطرف) هما "مارك روبير" و"أحمد معلق"، واستقبلهم النائب "علي قانصو" (قيادي في الحزب السوري القومي الاجتماعي)[٢٦٥].

و"ديودونّيه" هذا، واسمه الكامل "ديودونّيه مبالا مبالا" (Dieudonné Mbala Mbala) هو من الذين ينسّقون مع "ميسّان" وكانت له زيارة إلى بيروت في ٢٨ آب ٢٠٠٦ (عقب حرب تموز)، حيث زار الضاحية الجنوبية وكانت له لقاءات مع مسؤولين من حزب الله، حيث عبّر عن "إعجابه بالحزب وبمواجهته للصهاينة وللمشروع الإمبريالي الأميركي"، وشوهد إلى جانب "هوغو شافيز" في زيارته الرئاسية إلى سوريا[٢٦٦]. كان "ديودونّيه" على مدى سنوات منكبًّا على محاولة تقريب وجهات النظر – وصولًا إلى حد الجّمع – بين من ينكرون حدوث "الهولوكوست"، والفاشيين الجدد، واليسار الداعم

---

[263] *"Qui est Thierry Meyssan?"*, Alterinfo, 10 Juin 2012. Visité le 20 Septembre 2016, http://www.alterinfo.net/Qui-est-Thierry-Meyssan_a77519.html

[264] *"Le serment d'allégeance de Thierry Meyssan aux mollahs"*, Conspiracy Watch, 28 Février, 2010. Visité le 20 Septembre, 2016, http://www.conspiracywatch.info/Le%C2%ADserment%C2%ADd%C2%ADallegeance%C2%ADde%C2%ADThierry%C2%ADMeyssan%C2%ADaux%C2%ADmollahs_a494.html

[265] « Réseau Voltaire : A Qui Avons-nous Affaire ? », Le Huffington Post, May 31st, 2009. Accessed September 20th, 2016, http://archives-lepost.huffingtonpost.fr/article/2009/05/30/1556740_reseau-voltaire-a-qui-avons-nous-affaire.html

[266] *"Liban : Mbala Mbala au Chevet du Hezbollah"*, Iran-Resist, 1er Septembre, 2006. Visité le 20 Septembre 2016, http://www.iran-resist.org/article2542

للقضية الفلسطينية، والإسلاميين الثوريين في إيران. انطلق في عمله السياسي كيساري، وانتقل عبر "الجبهة الوطنية" (Front National) اليمين الفرنسي المتطرف) وعبر خطاب معادٍ لإسرائيل، إلى تأسيس حزبه الخاص "الحزب المعادي للصهيونية" (Parti Anti-Sioniste – PAS) الذي يضم إليه صديقه "ألان سورال" (الذي رافقه في زيارته إلى بيروت، أعلاه) الذي انتقل مثله من اليسار إلى اليمين المتطرف قبل أن يجد نفسه أخيرًا في صفوف حزب صديقه. ولا تقف روابط "ديودونّيه" مع اليمين عند حدود العلاقة من الخارج، بل إن "جان-ماري لوبّان" هو عرّاب أحد أولاده[٢٦٧]. إن "الغراء" الذي يجمع بين كل هذه التوجهات – المتقابلة في الظاهر وفي العمق – هو معاداة إسرائيل.

وعلى صعيد الاتحاد الأوروبي بشكل عام، فإن أحد طروحات حزب اليسار الأوروبي، هو إنهاء العداء تجاه إيران ورفع العقوبات وتقديم تسويات إيجابية بدل التصعيد والتهديد بعمل عسكري، وخلق شرق أوسط "نظيف نوويًا"[٢٦٨]، وهذا من الطروحات الدائمة للإيرانيين وللمعادين لإسرائيل. كما كان تصريح للحزب اليساري الأوروبي بعد أسبوعين من بدء الحرب بين إسرائيل وحركة حماس في قطاع غزّة عام ٢٠٠٩، دعا فيه إلى "انهاء الاعتداء الإسرائيلي على القطاع وفرض حظر أسلحة على إسرائيل من قبل الأمم المتحدة وإنهاء التعاون بينها وبين الاتحاد الأوروبي، ومحاكمة مجرمي الحرب الإسرائيليين"[٢٦٩].

هذا أوروبيًا، أما أميركيًا، فلعلّ الشخصية اليسارية الأبرز، الداعمة للإسلام الحركي الذي تمثّله حركة "حماس" ويمثله "حزب الله"، هو الكاتب الشهير "نعوم تشومسكي"، وهو الذي كتابات عديدة في نقد المقاربات الإعلامية الغربية تجاه من يعاديها من حركات وتنظيمات وأحزاب. إن "تشومسكي" معروف بقربه من قيادات حزب الله و"محور المقاومة والممانعة" وهو القائل بأن لا مشكلة لديه بالوجه العسكري لحزب الله وباستعمال الأخير للسلاح، فهو يعتبره "مقاتلًا ضد القوى الامبريالية". وبالإضافة إلى "تشومسكي"، هناك البروفيسورة "جوديت باتلر" (Judith Butler)، اليسارية الهوى وهي عضو في "مسرح جنين" في فلسطين وفي "معهد السلام الإسرائيلي-الفلسطيني" في الولايات المتحدة، والتي

[267] Dave Rich, *"The unwelcome arrival of the quenelle"*, Fathom Journal, February 3rd, 2014. Accessed September 20th, 2016, http://fathomjournal.org/the-unwelcome-arrival-of-the-quenelle/

[268] *"Another Middle East is possible"*, European Left, December 29th, 2008. Accessed September 20th, 2016, http://www.european-left.org/positions/working-groups/middle-east/another-middle-east-possible

[269] *"Ceasefire now! Stop the war! EL mobilize for peace"*, European Left, January 10th, 2009. Accessed September 20th, 2016, http://www.european-left.org/positions/working-groups/middle-east/ceasefire-now-stop-war-el-mobilize-peace

صرّحت مرّة أنّه من الضروري والمهم جداً "*اعتبار حماس وحزب الله حركتين اجتماعيتين تقدميتين، تنتميان إلى اليسار، وتشكلان جزءًا من اليسار العالمي*"[٢٧٠].

وفي أميركا اللاتينية، إن العلاقات بين الجمهورية الإسلامية في إيران وحزب الله من جهة، والحكومات والأحزاب اليسارية لعدد من دول أميركا اللاتينية علاقات جيّدة، وتوطّدت كثيرًا منذ عهد الرئيس الإيراني "محمود أحمدي نجاد" وفي جوّ يساري اجتماعي وطني في هذه الدول، معادٍ للإمبريالية[٢٧١].
وهذه هي بعض العيّنات من العلاقات التي تجمع الحكومات اليسارية اللاتينية بإيران الإسلامية[٢٧٢]:

١. فنزويلا: خطابٌ مشترك يجمع البلدين، خاصة في عهد "أحمدي نجاد" و"هوغو تشافيز"، وهو الاستقلال عن الدول الكبرى ومواجهة الامبريالية والرأسمالية. يعتبر "تشافيز" إيران "مثالًا للمقاومة والكرامة والثورة والإيمان القوي... ونحن وإياها، ورغمًا عن الدول المستكبرة، سنبقى نقف إلى جانب الأمم المحرومة والمستضعفة في العالم".
٢. بوليفيا: رغم فقر هذه الدولة، فإن موقعها استراتيجي بالنسبة لإيران في مسار التعاون مع الحكومات اليسارية في أميركا اللاتينية. ويستثمر الإيرانيون فيها في قطاعات الغاز والبترول والصناعات الاسمنتية، وفي مقابل الاستثمارات الإيرانية هناك، سُمح لإيران إنشاء محطة هناك تبثّ برامج مُدارة إيرانيًا، باللغة الاسبانية. وصرّح الرئيس البوليفي "مورالس" عند زيارته طهران في أيلول عام ٢٠٠٨ "إن الجانبين سيستمرّان في مواجهة الامبريالية، وأن لا أحد ولا أي دولة يستطيع فكّ علاقتنا بالدولة الإيرانية الثورية".
٣. نيكاراغوا: سياسة نيكاراغوا الخارجية تمرّ عبر فينزويلا، والرئيس النيكاراغوي "أورتيغا" يرى نفسه "ثوريًا داعمًا للاشتراكية السياسية-الاجتماعية-المعادية للإمبريالية التي يمثلها هوغو تشافيز".

[270] Joseph Klein, “The Leftist Enablers of Hezbollah and Hamas”, Frontpage Magazine, October 10th, 2013. Accessed September 20th, 2016, http://www.frontpagemag.com/fpm/206921/leftist-enablers-hezbollah-and-hamas-joseph-klein

[271] Geoff LeGrand, *“The growing influence of Iran on Latin America's 'new left' governments”*, Alexander’s Gas & Oil Connections, December 6th, 2010. Accessed September 20th, 2016, http://www.gasandoil.com/oilaround/2010/12/the-growing-influence-of-iran-on-latin-americas-new-left-governments

[272] Ely Karmon, *“Iran and its Proxy Hezbollah: Strategic Penetration in Latin America”*, Elcano Royal Institute, April 8th, 2009. Accessed September 20th, 2016, http://www.realinstitutoelcano.org/wps/portal/web/rielcano_en/contenido?WCM_GLOBAL_CONTEXT=/elcano/elcano_in/zonas_in/international+terrorism/dt18-2009

٤. الإكوادور: إثر زيارة مستشار الأمن القومي الإيراني سعيد جليلي في كانون الأول عام ٢٠٠٨ إلى الاكوادور ولقائه رئيسها "كورّيا"، صرّح الأخير بأنّ "العلاقات بين البلدين تتخطى العلاقات التجارية، وبأنه يطمح لزيادة التعاون العسكري والجمركي مع إيران".
٥. براغواي: عند انتخاب المطران الكاثوليكي اليساري الهوى، "فرناندو ميندیز"، رئيسًا للبراغواي في ١٥ آب ٢٠٠٨، كان الرئيس الإيراني من أوائل المهنّئين، وقد ساهمت التجمعات المسلمة في منطقة الحدود الثلاثية في البراغواي، في دعم حملة المطران الانتخابية ماليًا عبر أموال إيرانية وفينزويلية. وقد عيّن المطران، السيد "أليخاندرو حامد فرانكو" وزيرًا للخارجية، وهو كان سفير الباراغواي في لبنان وعلى علاقة ممتازة بحزب الله.

هذه عيّنة دالّة من دول أميركا اللاتينية، اليسارية الهوى، التي تقيم أفضل العلاقات مع الإسلاميين الإيرانيين وحزب الله، وهي هنا قد أتت على سبيل المثال لا الحصر. وقد استفادت إيران من تلك العلاقات الجيدة، لتعمل حتّى على نشر التشيّع في الدولة اللاتينية اليسارية الهوى، وذلك عبر منابر إعلامية وإذاعات ومواقع على شبكة الانترنت[٢٧٣].

رأينا، بحسب ما سيق أعلاه في هذا الفصل، أن هذا الإسلام الحركي - بضفّتَيْه السنية والشيعية - الذي تسيّد الساحة خاصة منذ منتصف ثمانينيات القرن العشرين، استفاد من اليسار المنشأ برعاية ياسر عرفات - الإخوانيّ الأصل والإسلامي الخطاب – على صعيد التدريب العسكري في مخيمات حركة فتح وفي مخيمات "سريّة فتح الطلابية / كتيبة الجرمق"، وأخذ من اليسار (خاصة الماركسي اللينيني منه) شكله التنظيمي، وخطابه السياسي في نقد النظام اللبناني، وسحب منه ورقة فلسطين وحمل بوصلتها. ونشأت

---

[٢٧٣] وهذه عيّنة من المواقع الإلكترونية:
Organization Islamica Argentina, http://www.organizacionislam.org.ar/. - Unión de Mujeres Musulmanas Argentinas, http://www.umma.org.ar/. United Latino Muslims of America (ULMA) [actually an Iranian site for Mexico and the Movimiento Mexicano de Solidaridad con el Pueblo Irani (MMSPI)], http://u-l-m-a.com/default.aspx. Comunidad islamica Shia de Bolivia, http://usuarios.lycos.es/shiabolivia/. Oficina de Divulgación Islámica Fátimah Az-Zahra/San Salvador/El Salvador, available in Spanish, English, French, Italian and Portuguese (!), http://www.islamelsalvador.com/. Corporación de Cultura Islámica, Santiago, Chile, http://www.islamchile.com/pagina.php. Semanario Islámico, Temuco, Chile, http://www.islam.cl/. Fundación Cultural Oreinte, http://www.islamoriente.com/. Red Islam, http://www.redislam.com/. Agencia de Noticias Coránicas de Irán, http://www.iqna.ir/es/. Organización Cultural y de Relaciones Islámicas (OCRI), http://es.icro.ir/. Shia Latinos, http://shialatinos.blogspot.com/. Islam-Shia, http://www.islam-shia.org/.

إثر ذلك أزمة في العلاقة بين هذا الإسلام والمتسيّد وذاك اليسار، تحوّلت إلى مواجهة حتّمها سعي الإسلام الحركي – بالتحديد، الشيعي منه بقيادة حزب الله – إلى احتكار كار المقاومة واستتباع اليسار اللبناني، الذي سيكمن طوال عقد من الزمن قبل أن يعود – بعضه – وينتفض، ليعود ويكمن من جديد وينتفض من جديد، بشكل آخر هذه المرة، وهو الحراك المدني الذي شهده لبنان.

ولكن، وفي خط موازٍ للمواجهة بين بعض اليسار اللبناني للإسلام الحركي الشيعي بعد الانسحاب الإسرائيلي عام ٢٠٠٠، وخاصة منذ عام ٢٠٠٤، انتبه حزب الله إلى ضرورة تحصين نفسه بدعم يساري لبناني وعربي وعالمي، يفيد في التحشيد والتأثير على صناعة القرار في بعض دول العالم. وقد ساعد على ذلك، أزمة اليسار العالمي الذي وجد نفسه وحيدًا دون قضية بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، إلى أن بدأ يرى في الإسلام الحركي معينًا له على البقاء على قيد الحياة، فربط معه على أساس المشتركات الطافية على السطح: معاداة الولايات المتحدة وإسرائيل.

الخاتمة

شرعنا في بحثنا هذا، الذي يتناول العلاقة الجدلية بين اليسار والإسلام الحركي، منطلقين من إشارات متواترة حول المسألة من كل حدب وصوب. ولما كنا ممّن يزعم أهمية تناول هذه المسألة بشكل أكاديمي أكثر فأكثر، كان لزامًا علينا أن نطرح أسئلة وإشكاليات تساعدنا في تبيّن الطريق وتلمّس الحقائق وقراءة التاريخ والسياسة، علّنا نساهم قليلًا في الكثير المطلوب في هذا الإطار.

وصلنا إلى بعض الإجابات عن الأسئلة-الإشكاليات التي انطلقنا منها، وهذه الإجابات هي محاولة واحدة من محاولات عدة مطلوبة، وهي قراءة واحدة من عدة قراءات ممكنة، ولكننا توخّينا النهج العلمي في صوغها وتقديمها، علّها تكون منطلقًا جدّيًا من منطلقات النقاش بشأن هذه المسألة.

لقد تبيّن أن هناك سُبُل تنظيرية وفكرية تسهّل سعي من يريد حصول الالتقاء المصلحي والسياسي بين اليسار والإسلام الحركي. فهناك إمكانية تنظير حول نشوء رابطة مصطفاة بين الإثنين إذا ما تحققت الظروف التاريخية الضرورية لتكملة الصورة. فالإثنان مقاربتان كونيّتان ومجتمعيّتان، وفيهما نقد للرأسمالية، وتقسيم ثنائي للعالم، وللإثنين منحى تبشيري، وإيمان بعقيدة وبجواز القتل في سبيل هذه العقيدة، وأخيرًا، مفهوم الحق في المقاربتين هو مفهوم الحق المسبق. واجتمعت ظروف تاريخية ومجتمعية وسياسية سهّلت أمام المريدين، تحقيق التقارب الفكري والعملي بين اليسار والإسلام.
والظروف هذه، بحسب ما تبيّن معنا هي أربعة: سقوط السلطنة العثمانية وبالتالي سقوط آخر خلافة إسلامية تحققت في التاريخ؛ فشل الشيوعية الروسية في التعاطي مع الإسلام الروسي أولًا ومع الإسلام في العالم ثانيًا؛ فشل الحراك الوحدوي العربي وانفكاك الوحدة المصرية-السورية وخسارة العرب معركتهم الكبرى مع إسرائيل؛ وأخيرًا دخول الفكر الماوي على الخط خاصة تنظيراته في ما خص حروب التحرير الشعبية وخط الجماهير. هذه الظروف مضافة إلى نقاط الالتقاء، ساهمت في نشوء تيار فكري-سياسي هو تيار اليسار الإسلامي الذي حاول خلق بنية فكرية مستقلة له، نشأت عنها تيارات تجمع الفكر اليساري بالعقيدة الدينية الإسلامية. ومما استنتجناه في سياق تفنيد أهم عناوين هذه البنية الفكرية، هو أن اليساريين فهموا حينها أن دين الإسلام هو المحرّك الأهم لوعي الجماعات في المنطقة المكوّنة من دول، سكانها بمجملهم مسلمون. وأنهم، ونتيجةً لهذا الفهم، حاولوا التقريب بين الفكر اليساري وبين دين الإسلام، من خلال "تصحيح" الفهم الخاطئ للمقولات اليسارية التي حفظها الناس عن مفكرين يساريين بارزين. وقد غلب على هذا التقريب أو هذا التوليف التنظيري بين الفكرين، طابع الدعوة إلى إسلام مختلف عن الإسلام الذي عهدته المجتمعات التي عاش فيها مفكرو اليسار. وكأن اليساريين الإسلاميين

يريدون جمعًا "سلسًا" بين فكرهم السابق وبين الدين الإسلامي، لا يكون ناقضًا بشكل جذري لكل ما تنشّأوا عليه سابقًا. فكانت مرحلة اليسار الإسلامي مرحلة وسطى بين اليسار وبين المرحلة التي لحقتها وهي مرحلة الانتقال إلى الإسلام. وكان الانتقال الفردي أو الجماعي من اليسار – ومن غيره – إلى الإسلام، مدفوعًا بظرفين سياسيين مهمّين وأساسيين: فشل الثورة الثقافية الصينية بعد موت ماو تسي تونغ ودخول الصين إلى الأمم المتحدة؛ ونجاح الثورة الإسلامية في إيران وحادثة المنصة في مصر.

وبعد تسيّد الإسلام الحركي، يمكن القول أنه خلال أقل من ١٠٠ عام، عاشت هذه المنطقة – إذا كنا سنصوّر الأمر بشكل موجز – أحداثًا دراماتيكية، بدأت بثورة إسلامية عربية أسقطت خلافة إسلامية طورانية، وانتهت بثورات إسلامية وضعت الإسلام الحركي والسياسي في صلب الدينامية العميقة لحركة التاريخ والسياسة. ولعب اليسار تارةً دور الذي حلّ مكان ما فُقد إثر سقوط السلطنة/الخلافة، وتارة أخرى دور جسر العبور إلى إعادة حكم الإسلام، وكانت له مساهماته الفكرية والعملية في كل ذلك. وكانت المشتركات الشكلية و"المضمونية" بين اليسار والإسلام عاملًا مسهّلًا على صعيد لاوعي الجماعات للانتقال إلى الإسلام، وعاملًا منفعيًا على صعيد وعي القادة الذين أرادوا استغلال قدرة الإسلام التحريكية، لخدمة أهدافهم وقضاياهم. ولكن الدينامية الدينية-الثورية هذه، أكبر من القدرة على التحكم بها من خارجها، وقد أثبتت الأحداث أن الإسلام الحركي، بقيادة رجال الدين، هو من تسيّد على الساحة الثورية والقتالية والسياسية لاحقًا. ومن نظّر من اليساريين، مصلحيًا أو عن توجّه إيماني، للالتقاء بين اليسار والإسلام، إما حُيّد وإما تحوّل إلى التنظير الإسلامي الصرف.

وإذا كان الإسلام اليوم، في تماسه مع العولمة والحداثة، يعاني من أزمة داخلية تبدأ بالصراع الدموي بين أجنحته المذهبية ولا تنتهي بضرورة المراجعة التي أصبحت ملحة لكل ما هو رجعي في بنيته الداخلية[٢٧٤]، فإن اليسار اليوم في أزمة وجودية، لا تقتصر على سقوط "الإمبراطورية" التي أطلقته ورعته، بل تصل إلى حد أزمة خطاب ودور ومشروع. تظهّرت هذه الأزمة في فترة التحضير لتسيّد الإسلام، وفي الفترة التي تلتها مباشرةً واتّسمت بتصفية حسابات سياسية وعقدية بين الإسلام المتسيّد حديثًا وبين اليسار الذي ساهم في هذا التسيّد. ووصل الأمر في العلاقة بين الإثنين، إلى حالات معقّدة من الاستتباع في مكان، ومقاومة خجولة لهذا الاستتباع في مكان، ودعم مصلحي في مكان.

[٢٧٤] وهذا كلام تطلقه منابر إسلامية، وليس تهمة توجّه إلى الإسلام، بل على العكس. وهناك كلام عن توجّه تركي لإعادة صياغة السيرة بطريقة معاصرة، تنقّيها من الأحكام والتصورات التي سادت في مجتمع القرنين السادس والسابع ميلادية، والتي لم تعد تناسب مجتمعات القرن الواحد والعشرين.

إن بداية البحث عن حلول لأزمة الخطاب والدور والمشروع عند اليسار، لا تنطلق إلا بالعودة إلى فهم الذات واستبيان مكامن الخلل. وهذا مسارٌ عملي وبحثي وتفكّري طويل وشاق. وعلّني أساهم في هذه الخاتمة بفتح موضوعين، يقعان في صلب هذا المسار، تلمّست أهميتهما من القراءات التي قمت بها تحضيرًا لهذه الرسالة، ومن المناقشات التي أجريتها، ومن الخلاصات التي وصلت إليها.

الموضوع الأول يرتبط بالمسيحية اللبنانية. مررت على كتابات يسارية عدة – ومن بينها كتابات استعنت بها لهذه الرسالة وأوردتها في لائحة المراجع – من يساريين عرب وإيرانيين، تصوّر المسيحيين في لبنان على أنهم "حصان طروادة الذي دخل من خلاله الابتلاء بالتغرب"، و"كومبرادورية اقتصادية مسؤولة عن حرمان طوائف وطبقات"، و"رجعية انعزالية تقسيمية"، و"منصة للرأسمالية الغربية المتوحّشة". كما مررت على كتابات إسلامية تصوّرهم على أنهم "معاونو الصليبيين القدامى والجدد"، و"شوكة في خاصرة الأمة". وفي المقابل، وجدت كتابات مسيحية تتكلّم عن دور المسيحيين في الحرب "كمنصة الدفاع الأولى عن العالم الحر بوجه العالمثالثية الرثة المتمثّلة بالإسلام الرجعي واليسار المهترئ". فهل إنّ معاداة المسيحية الكاثوليكية هي التي تجمع فعلًا اليسار العالمي والإسلام الحركي، وهل إن معاداة المسيحية اللبنانية هي التي جمعت بين اليسار والإسلام في لبنان؟ وهل المسيحيون اللبنانيون هم بالفعل منصة الدفاع عن العالم الحر بوجه العالمثالثية الرثة؟ هل تولّد الوعي الجهادي للإسلاميين الحركيين الأوائل - المتدربين في مخيمات حركة فتح – بوجه المسيحيين اللبنانيين؟ أسئلة مفتوحة، لا توفي المسألة حقها، ولكنها واجبة البحث.

الموضوع الثاني، وهو أكثر تحديدًا، تنبّهنا إليه مما مرّ أعلاه، خصوصًا في خلاصات الفصل الثالث، وباعتقادنا أنه لا بد من البحث فيه بشكل تفصيلي - ولكن للأسف لا يتسع له هذا البحث - وهو عن كيفية التقاء اليسار الراديكالي واليمين المتطرف الأوروبي، مع الإسلام الحركي في العالم الثالث، على مشتركات معيّنة. إنّ تناول هذه الإشكالية، لا بد أن يمرّ أولًا بقراءة "إرنست نولت" للفترة الممتدة بين الثورة البولشفية في روسيا والحرب العالمية الثانية، بوصفها فترة حربٍ أهلية أوروبية بين الفكر الفاشي-النازي والماركسية[٢٧٥]، وبكون "الثورة المضادة" للثورة الفرنسية، هي بعمقها ثورة كاثوليكية محافظة، بدأت من بعدها فعلًا اللاسامية (Anti-sémitisme) في أوروبا، بعد أن كانت قبلها "لا-يهودية" (Anti-Judaisme). فاليمين الأوروبي اليوم هو وريث هذه "الثورة المضادة" الكاثوليكية المحافظة (التي استولدت النازية والفاشية من قبل)، وهي ثورة في العنوان ضدّ "الليبرالية" التي أنتجتها الثورة الفرنسية، ويكون الالتقاء بالتالي مع اليسار الحديث في أوروبا، التقاءً ضد من يمثل هذه الليبرالية حديثًا، أي ما

[275] Ernst Nolte, *"La guerre civile européenne: National-Socialisme et bolchévisme 1917-1945"*, Tempus Perrin, 2011, 960 pp.

يسمّونه "الامبريالية والرأسمالية الأميركية"، ويكون التقاء الإثنين مع الإسلام الحركي في العالم الثالث، على نقطتين: معاداة هذه الامبريالية الرأسمالية، ومعاداة إسرائيل.

ولكن هذه المسألة، لا تُصاغ بهذا التسرع ولا بهذه السهولة، وهي تحتاج إلى بحث معمق ودقيق، والأسئلة بشأنها كثيرة.

لائحة المراجع

كتب عربية

١- البزري، دلال. "سنوات السعادة الثورية". القاهرة: دار التنوير، الطبعة الأولى ٢٠١٦. ٢٢٤ صفحة.

٢- الغبرا، شفيق. "حياة غير آمنة – جيل الأحلام والإخفاقات". بيروت: دار الساقي، الطبعة الأولى ٢٠١٢. ٤١٦ صفحة.

٣- المولى، سعود. "السلفية والسلفوين الجدد: من أفغانستان إلى لبنان". جديدة المتن: دار سائر المشرق، الطبعة الأولى ٢٠١٦. ٤٠٥ صفحة.

٤- آل أحمد، جلال. "غرب زادكى" (الابتلاء بالتغرب). طهران: المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الثانية ١٩٦٤ – د. ابراهيم الدسوقي شتا (ترجمة). القاهرة: المشروع القومي للترجمة، الطبعة الثانية المترجمة ١٩٩٩، ١٤٤ صفحة.

٥- حامد أبو زيد، نصر. "نقد الخطاب الديني". الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة ٢٠٠٧. ٢٤٠ صفحة.

٦- حسنين هيكل، محمد. "مدافع آية الله: قصة إيران والثورة". القاهرة: دار الشروق، الطبعة السادسة ٢٠٠٢. ٢٧٥ صفحة.

٧- حنفي، حسن. "اليمين واليسار في الفكر الديني". دمشق: دار علاء الدين، ١٩٩٦. ٦٠ صفحة

٨- رواء أوليفييه. "الإسلام والعلمانية". صالح الأشمر (ترجمة). بيروت: دار الساقي، الطبعة الأولى ٢٠١٦. ١٧٦ صفحة.

٩- سروش، عبد الكريم. "الدين العلماني". أحمد القبانجي (ترجمة). بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة الأولى ٢٠٠٩. ٢٦٥ صفحة.

١٠- شرارة، وضاح. "دولة حزب الله: لبنان مجتمعًا إسلاميًا". بيروت: دار النهار، الطبعة الرابعة مع فصل خاص بحرب تموز-آب ٢٠٠٦، ٢٠٠٨. ٤٧٦ صفحة.

١١- شريعتي، علي. "التشيع العلوي والتشيع الصفوي". حيدر مجيد (ترجمة)، قدّم له الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا. بيروت: دار الأمير للثقافة والفنون، الطبعة الثانية ٢٠٠٧. ٣٣٦ صفحة.

١٢- شريعتي، علي. "العودة إلى الذات". إبراهيم الدسوقي شتا (ترجمة). القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الثانية ١٩٩٣. ٣٦٧ صفحة.

١٣- شفيق، منير. "شهداء ومسيرة - أبو حسن وحمدي وإخوانهما". مؤسسة الوفاء، نيسان ١٩٩٤. ١١٥ صفحة.

١٤- عامل، مهدي. "في الدولة الطائفية". بيروت: الفارابي، الطبعة الثانية ١٩٨٩. ٣٥٧ صفحة.

١٥- عمرو، فؤاد(اسم وهمي). "موضوعات الثورة العربية". بيروت: درا الرأي، ١٩٧٦. ٢٤٦ صفحة .

١٦- مروة، كريم، ومجموعة من الباحثين والكتاب العرب. "مفكرون عرب يناقشون كريم مروة في القومية والاشتراكية والديمقراطية والدين والثورة". بيروت: دار الفارابي، ١٩٩٠. ٥٨٨ صفحة.

كتب أجنبية

1- Alexandre Bennigsen & Chantal Lemercier-Quelquejay, *"Sultan Galiev: Le père de la révolution tiers-mondiste"*, Fayard, 1986

2- Barry Rubin and Judith Colp Rubin, *“Yasir ARAFAT, a political biography”*, Oxford University press, 2003

3- Charles Saint-Prot, *"Yasser Arafat: Biographie et Entretiens"*, Paris 1990

4- Chris Harman, *“the Prophet and the Proletariat”*, bpcc, 1994, 171 pp.

5- Ernst Nolte, *"La guerre civile européenne: National-Socialisme et bolchévisme 1917-1945"*, Tempus Perrin, 2011, 960 pp.

6- Leonardo Boff, *"Jésus-Christ, le libérateur"*, Cerf, 1983, 269 pp.

7- Winston Churchill, *"The River War: An Account of the Reconquest of the Sudan"*, Dover Publications, 2006, pp. 432

مقالات أكاديمية أجنبية

1- As'ad Abu Khalil, *“Hizbullah in Lebanon: 'Islamisation of Leninist organisational principles'”*, Middle Eastern Studies, (27) July 1991, pp 396-397

2- Ervand Abrahamian, *“The Guerrilla Movement in Iran, 1963-1977”*, Middle East Research and Information Project, MER 86 - THE LEFT FORCES IN IRAN, March/April 1980

3- Jeffrey L. Klaiber, *“Prophets and Populists: Liberation Theology, 1968-1988”*, in: The Americas, Vol. 46, No. 1 (Jul., 1989), pp. 1-15

4- Manfred Sing, *“Brothers in Arms: How Palestinian Maoists Turned Jihadists”*, in: Die Welt des Islams 51 (2011) 1-44

5- Michael Löwy, *« Le Concept d'affinité élective chez Max Weber »*, in : Archives de sciences sociales des religions, 49e Année, No. 127, Max Weber, La Religion et la Construction du Social (Jul. - Sep., 2004), pp. 93-103

6- Michael Löwy, « *Le concept d'affinité élective en sciences sociales* », in: Critique internationale, No. 2 (HIVER 1999), pp. 42-50

7- Nicolas Dot-Pouillard, *« De Pékin à Téhéran, en regardant vers Jérusalem : la singulière conversion à l'islamisme des 'Maos du Fatah' »*, in: Cahiers de l'Institut Religioscope, Numéro 2, Décembre 2008, 39 pp.

مقالات صحفية عربية

١- "*اليسار الاسلامى: مذاهبه ومفاهيمه والمواقف المتعددة منه*"، الموقع الرسمي للدكتور صبري محمد خليل خيري.

٢- "*الحزب الشيوعي بعد ثمانين عاماً: منعطفات المآثر والمآسي*"، الشاهد، ٢٢ أيار ٢٠١١، منشور أصلًا في النهار بتاريخ ١٤ نيسان ٢٠٠٤.

٣- "*الحرب النفسية (سماحة السيّد حسن نصر الله)*"، منتدى صوتَك، نُشرت بتاريخ ٢١ كانون الأول ٢٠٠٩.

٤- جهاد عقل، "*لماذا التحريض على مؤتمر بيروت للحركة العالمية لمناهضة الحرب والعولمة؟*"، الجبهة، ٢١ أيلول ٢٠٠٤.

٥- قاسم قصير، "*الوفد العراقي ينسحب احتجاجاً على النتائج - "مناهضة العولمة" تختتم مؤتمرها بـ"إعلان بيروت"*"، المستقبل، ٢١ أيلول ٢٠٠٤.

٦- قاسم قصير، "*بمشاركة حركات وشخصيات دولية وقوى سياسية لبنانية - مؤتمر في بيروت لتعزيز مناهضة الحرب والعولمة*"، المستقبل، ٦ أيلول ٢٠٠٤.

٧- مارك ضوّ، "*اليسار اللبناني في مراحله الثلاث بعد الحرب*"، NOW، ٢٨ نيسان ٢٠١٥.

٨- ملتقى الشبكة النسائية العالمية، (مشاركة دون عنوان ودون إسم كاتب). تمت زيارة المنتدى بتاريخ ٢٠ أيلول ٢٠١٦

٩- وائل خليل، "*مؤتمر بيروت لدعم المقاومة*"، الإشتراكي، ١ كانون الأول ٢٠٠٦.

١٠- "*مسيرات واحتفالات في لبنان والخارج بعيد المقاومة والتحرير: الثلاثية حقّقت الانتصار على «إسرائيل» وتحمي لبنان من التكفيريين*"، البناء، ٢٧ أيار ٢٠١٥.

١١- "*كلمة السيد حسن نصر الله في تخريج طلاب في "مجمع سيد الشهداء"*"، lccc١٠٤٥٢، ١٥ أيار ٢٠٠٩.

١٢- "*مجاهدو خلق*"، الجزيرة، قسم "الحركات والأحزاب". (بدون تاريخ)، تم الدخول إلى الموقع بتاريخ ٢٠ آب ٢٠١٦

١٣- بادية فحص (ترجمة)، "*«مجاهدو خلق»... ورحلة الدم الايراني المسفوك قمعا وثأرا (١)*"، جنوبية، ١٤ تموز ٢٠١٦.

١٤- جومانا نصر، "*شربل أبي عقل: معهد غوسطا ودورة شهداء "القوات" (٢)*"، المسيرة، العدد ١٥٨٢، ٢٢ تشرين الأول ٢٠١٦. منقولًا عن موقع القوات اللبنانية.

١٥- حسين الديراني، "*حركة حماس من البنادق إلى الفنادق إلى الانتحار*"، بانوراما الشرق الأوسط، ١٧ كانون الأول ٢٠١٦.

١٦- خليل علي حيدر، "*د. شريعتي... واليسار الإسلامي*"، جريدة قريش، ٢٢ أيلول ٢٠١٥.

١٧- عبد الرحمن عبد الوهاب، "*فقه الثورة*"، جريدة الشعب الجديد، ٢٩ حزيران ٢٠١١.

١٨- مسعود محمد، "*لا مذهب للظلامية ... قتل المفكر حسين مروة نموذجاً*"، Beirut Observer، ٢٤ شباط ٢٠١٦.

١٩- من نص البيان الختامي الصادر عن المؤتمر السنوي للطلاب المسلمين (حزب الله) في الخارج في آب ١٩٨٧، الوارد في الصفحة ٥ من صحيفة النهار الصادرة بتاريخ ١٩٨٧/٨/١٧ تحت عنوان "*مؤتمر الطلاب المسلمين اختتم أعماله – حزب الله: الأساس بالنسبة إلينا بقاء لبنان ساحة للصراع مع إسرائيل*".

مقالات صحفية أجنبية

1- *"Ceasefire now! Stop the war! EL mobilize for peace"*, European Left, January 10th, 2009.

2- *"Hezbollah with 'bare' arms"*, Karl Sharro Blog, May 2001.

3- *"Le serment d'allégeance de Thierry Meyssan aux mollahs"*, Conspiracy Watch, 28 Février, 2010.

4- *"Liban : Mbala Mbala au Chevet du Hezbollah"*, Iran-Resist, 1er Septembre, 2006.

5- *"Qui est Thierry Meyssan?"*, Alterinfo, 10 Juin 2012.

6- *"Another Middle East is possible"*, European Left, December 29th, 2008.

7- *"Syriza on Syria: no 'imperialist' intervention"*, EnetEnglish, August 28th, 2013.

8- *« Réseau Voltaire : A Qui Avons-nous Affaire ? »*, Le Huffington Post, May 31st, 2009.

9- Alan Johnson, *"Europe's Left in Crisis"*, World Affairs, June 5th, 2014.

10- Alex MacDonald, *"Europe's far-right activists continue to throw their weight behind Syria's Assad"*, Middle East Eye, December 2nd, 2014.

11- Alexandre Del Valle, *"La gauche révolutionnaire complice du totalitarisme islamiste"*, Alexandre del Valle Blog, 18 Juin, 2016.

12- Alexandre Devecchio, *"Extrême-gauche et Islam : une alliance contre-nature?"*, Le Figaro, 24 Juillet, 2014.

13- Andrew Gilligan, *"Jeremy Corbyn, friend to Hamas, Iran and extremists"*, The Telegraph, July 18th, 2015.

14- Ari Soffer, *"UK Labor Leadership Candidate Hosted Hezbollah in Parliament"*, Arutz Sheva, June 16th, 2015.

15- Brian Whelan, *"Are Greek Neo-Nazis Fighting for Assad in Syria?"*, Vice, October 1st, 2013.

16- Colin Shindler, *"The European Left and Its Trouble With Jews"*, New York Times, October 27th, 2012.

17- Dave Rich, *"The unwelcome arrival of the quenelle"*, Fathom Journal, February 3rd, 2014.

18- Editorial, *"Aleppo: The Untold Story"*, The Morning Star, December 13th, 2016.

19- Ely Karmon, *"Iran and its Proxy Hezbollah: Strategic Penetration in Latin America"*, Elcano Royal Institute, April 8th, 2009.

20- Fred Halliday, *"The Left and the Jihad"*, Open Democracy, April 6th, 2011.

21- Frédéric Koller, *"L'islam déchire la gauche française"*, Le Temps, January 26th, 2016.

22- Geoff LeGrand, *"The growing influence of Iran on Latin America's 'new left' governments"*, Alexander's Gas & Oil Connections, December 6th, 2010.

23- Hamdane Ammar, *"L'islam, dernier recours de la gauche pour rester au pouvoir"*, Riposte Laique, 7 Février, 2014.

24- http://www.voltairenet.org/

25- Jake Wallis Simons, *"Labour's Hamas connection"*, Politico, June 24th, 2015.

26- Jean-Patrick Grumberg, *"La gauche dénonçait la religion opium des peuples, elle se retrouve droguée par l'islam"*, Dreuz, 20 Juillet, 2016.

27- Jeremy Havardi, *"The sad delusions of Robert Fisk"*, The Commentator, July 25th, 2013.

28- Joseph Klein, *"The Leftist Enablers of Hezbollah and Hamas"*, Frontpage Magazine, October 10th, 2013.

29- Michael Walzer, *"Cette gauche qui n'ose pas critiquer l'islam"*, Le Monde, 11 Mai, 2015.

30- Sofia Vasilopoulou & Daphne Halikiopoulou, *"RISING GOLDEN DAWN: INSIDE GREECE'S NEO-NAZI PARTY"*, Sustainable Security, November 1st, 2016.

31- William Kilpatrick, *"Double Trouble: The Leftist Threat and the Islamist Threat"*, Crisis Magazine, March 20th, 2014.

حوارات

١- الكاهن "سيمون جبرائيل"

٢- أحد المسؤولين عن الإعداد الفكري في معهد الضباط في "غوسطا" التابع للقوات اللبنانية

٣- الدكتور "توفيق الهندي"

مقاطع فيديو

١- *"حسن نصرالله ينتقد ياسر عرفات"*، Youtube، ٨ تشرين الأول ٢٠١٠. تم الدخول إلى الموقع بتاريخ ٣٠ أيلول ٢٠١٦، https://www.youtube.com/watch?v=B1QICm8qjZg

٢- *"ياسر عرفات في طهران"* على موقع Youtube ، من منتصف الدقيقة الأولى إلى نهاية الدقيقة الثانية، https://www.youtube.com/watch?v=H2_vXUN4Ldg

٣- مراجعات | مع منير شفيق - الحلقة الرابعة، قناة الحوار. نُشر الفيديو على موقع Youtube بتاريخ ٢٤ آذار ٢٠١٢، وتم الدخول إليه بتاريخ ٥ آب ٢٠١٦،
https://www.youtube.com/watch?v=AIZLLG-9N_Q

4- *"Robert Fisk on false representation of Hezbollah"*, Youtube, June 27th, 2007. Watched on September 20th, 2016,
https://www.youtube.com/watch?v=QaCN9qZJNsw

الفهرست

المقدمة ١

الفصل الأول: من اليسار إلى اليسار الإسلامي ٦

القسم الأول: في إمكانية التلاقي اليساري الإسلامي ٧

الفقرة الأولى: في بعض المفاهيم والمصطلحات ٧

الفقرة الثانية: إمكانية نظرية للتلاقي بين اليسار والإسلام ١٠

القسم الثاني: في ظروف التلاقي اليساري الإسلامي ١٨

الفقرة الأولى: سقوط السلطنة العثمانية ١٨

الفقرة الثانية: فشل الشيوعية الروسية في التعاطي مع الإسلام ٢١

الفقرة الثالثة: فشل الحراك الوحدوي وخيبة من سوفياتية داعمة لإسرائيل ٢٥

الفقرة الرابعة: الماوية وخطّ الجماهير ٢٧

الفصل الثاني: من اليسار الإسلامي إلى الإسلام ٣٣

القسم الأول: اليسار الإسلامي لاهوتًا وتجسّدًا ٣٣

الفقرة الأولى: "لاهوت التحرير" الإسلامي ٣٣

الفقرة الثانية: تنظيم اليسار الإسلامي الوحيد: "منظمة مجاهدي خلق" ٤٥

القسم الثاني: من اليسار إلى الإسلام ٤٧

الفقرة الأولى: في التحول من اليسار إلى الإسلام ٤٧

البند الأول: أسباب التحول من اليسار إلى الإسلام: نجاح ثورة وفشل ثورة ٤٨

البند الثاني: مظاهر التحول من اليسار إلى الإسلام: كتيبة فتح الطلابية نموذجًا ٥٠

الفقرة الثانية: في تقييم التحول من اليسار إلى الإسلام ٥٦

البند الأول: الإسلام كامن في وعي ووجدان الجماعات في منطقتنا ٥٧
البند الثاني: التحوّل من اليسار إلى الإسلام هو مسألة إيمانية أو براغماتية؟ ٥٩

الفصل الثالث: العلاقة الجدلية بين اليسار والإسلام بعد تسيّده ٦٥

القسم الأول: اليسار بالنسبة للإسلام: مدرسة ومعسكر وخطاب ٦٦

الفقرة الأولى: إسلام حركي منشّأ عسكريًا برعاية اليسار في لبنان ٦٦
البند الأول: ياسر عرفات: الإخوانيّ الأصل والإسلاميّ الخطاب ٦٧
البند الثاني: رعاية الإسلام الحركي السني ٦٩
البند الثالث: رعاية الإسلام الحركي الشيعي ٧١
الفقرة الثانية: تأثُّر الإسلام الحركي باليسار على الصعيد التنظيمي والخطابي-السياسي ٧٥
البند الأول: تشابه على الصعيد التنظيمي ٧٥
البند الثاني: نقل الخطاب اليساري في نقد النظام اللبناني ٧٦
البند الثالث: بوصلة فلسطين ٧٩

القسم الثاني: اليسار مستتبَعًا، اليسار مواجِهًا، اليسار مسانِدًا ٨٠

الفقرة الأولى: أزمات في العلاقة بين الإسلام المتسيّد واليسار في لبنان ٨٠
البند الأول: احتكار المقاومة حتّم المواجهة ٨١
البند الثاني: من المواجهة إلى الاستتباع ٨٤
البند الثالث: يسار في مواجهة الاستتباع ٨٥
الفقرة الثانية: اليسار العالمي داعمًا الإسلام الحركي ٨٨
البند الأول: مؤتمرات تجمع يساريين وإسلاميين بهدف دعم منظمات الإسلام الحركي ٩٠
البند الثاني: يسار من حول العالم سندًا للإسلام الحركي ٩٢

الخاتمة ١٠١

لائحة المراجع ١٠٥